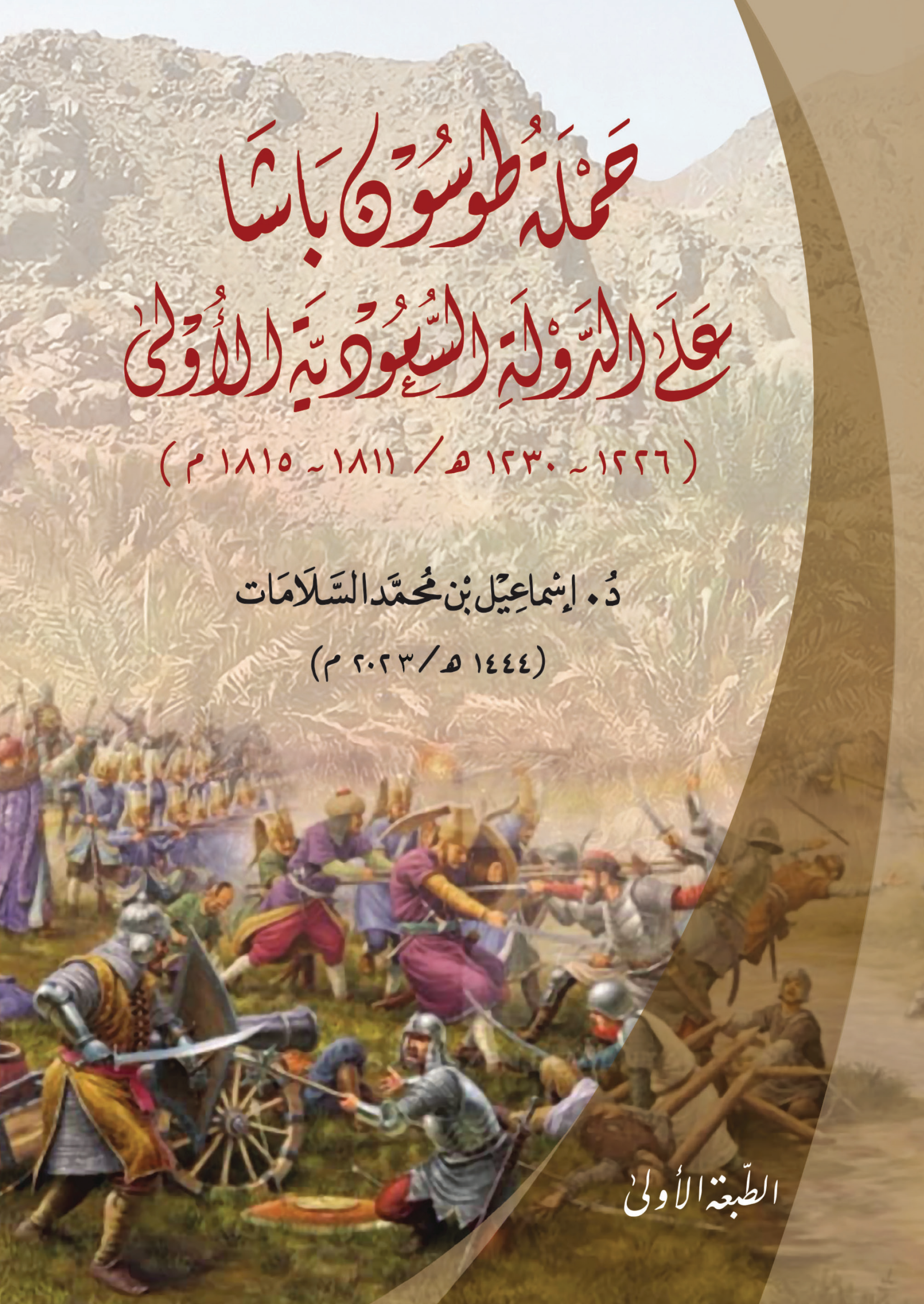


حملة طوسون باشا على الدولة السعودية الأولى

(١٢٢٦ - ١٢٣٠ هـ / ١٨١١ - ١٨١٥ م)

د. إسماعيل بن محمد السلامات

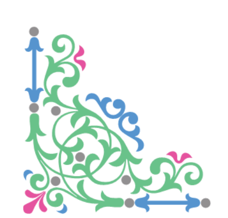
(١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٣ م)

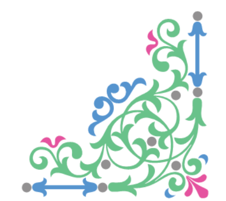
الطبعة الأولى




حَمَلَةُ طُوسُونَ بَاشَا
عَلَى الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ الأُولَى

د. إسْماعِيل بْن مُحَمَّد السَّلَامَات





فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلامات ، إسماعيل محمد

حملة طوسون باشا على الدولة السعودية الأولى

١٢٢٦هـ - ١٢٣٠هـ / ١٨١١م - ١٨١٥م

إسماعيل محمد السلامات - ط1 - بيروت، 1444 هـ

294 ص؛ 17×24 سم

ردمك: 978-603-04-3971-3

1- السعودية - تاريخ - الدولة الأولى   أ . العنوان

ديوي 953.1   1444/6084

رقم الإيداع: 1444/6084

ردمك: 978-603-04-3971-3




الطبعة الأولى

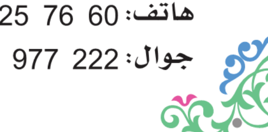
1444هـ - 2023م

توزيع

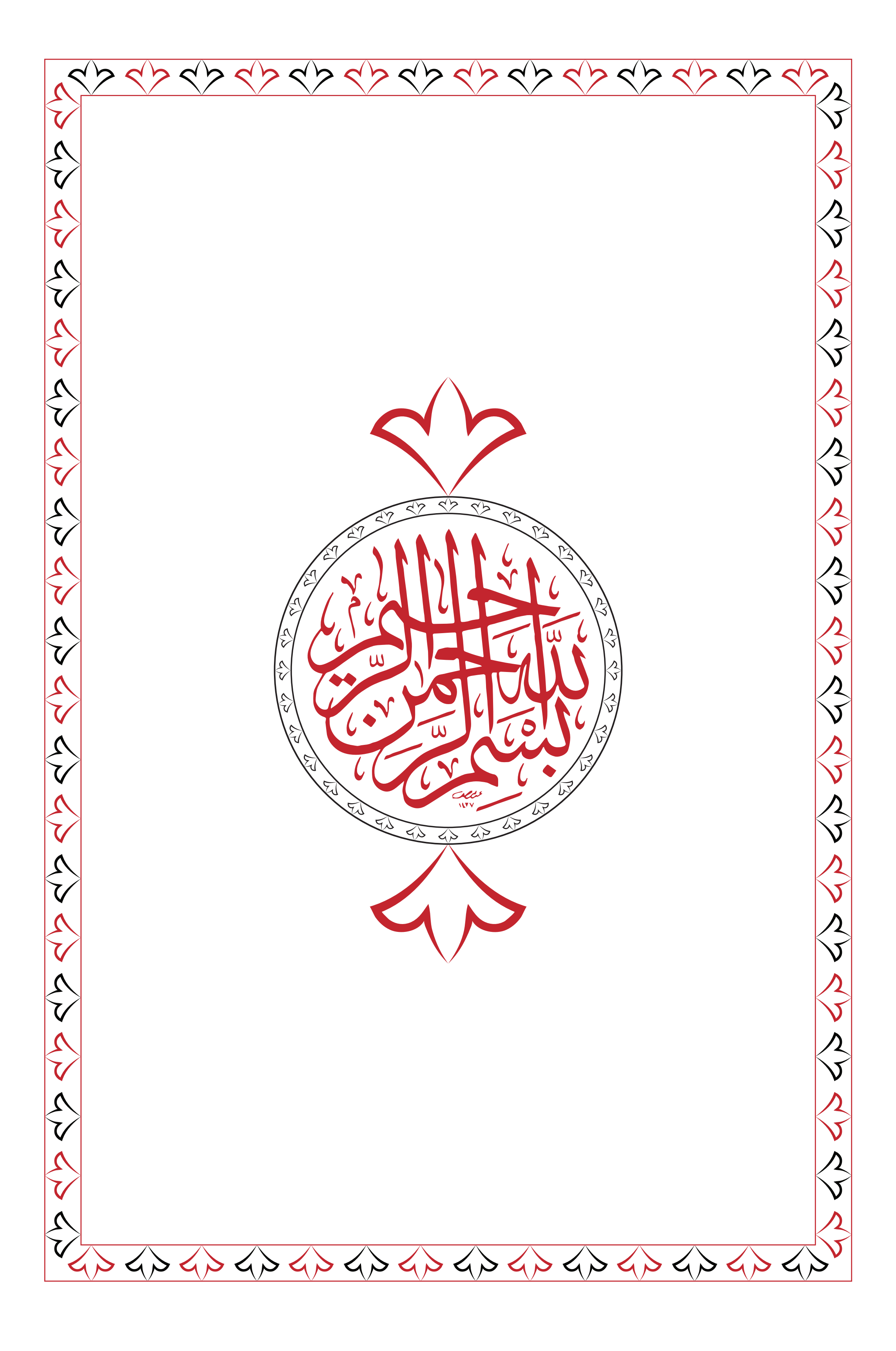


دمشق - بيروت
هاتف: 00963 11 225 76 60
جوال: 00963 944 977 222

بيروت
هـاتـف: 00961 7883 54 86
m.alqima.18@gmail.com






بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء



* المؤسس/ الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود.



* مقام سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود
" حفظه الله ".



* مقام سيدي ولي العهد خادم الحرمين الشريفين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود "حفظه الله".



إلى أرواح الشُّهداء البررة، الذين قضَوا نحبهم دفاعاً عن تُراب الدولة السُّعودية الأولى، ومُقدّساتها، في ملاحم الدفاع والصمود ضد الحملةِ العسكرية الغاشمة ووقائعها.

إلى روح الشَّيخ يعقوب بن يوسف الرشيد الدّغيثر.

شكر وتقدير

يَسرني أنْ أتقدمَ بالشُّكر الجزيل للأخ الأستاذ الدكتور راشد بن محمد العساكر، على مُساعدته العلمية لنا في إنجازهذا البحث التَّاريخي.

التقديم

سلَّطَ الكتابُ الضَّوءَ على حقبة مهمة من التَّاريخ السُّعودي، في دورهِ الأوَّل (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، وذلك بعد سنواتٍ من إلحاحِ السُّلطان العُثماني، وحثِّهِ لوُلاته لمواجهة الخطر السُّعودي، والحدِّ من نفوذه، بعد فشلِ حملات وُلاته في العراقِ، وتهرُّب وُلاته في الشَّام الذي كان مُخيِّباً لآماله. فجاءت حملة طوسون باشا من ولاية مصر أوَّلَ تحرُّكٍ عسكريٍّ جادٍّ للدَّولة العُثمانيَّة، بَذلتْ فيه كلَّ إمكانياتها العسكريَّة والماديَّة، وهُنا تكمنُ أهميَّة موضوعِ البحثِ؛ الذي أبرزَ المقاومة الشَّرسة التي لقتها حملة طوسون باشا من المُقاتلين السُّعوديين، بعد أن لقَّنوا القوَّات العثمانيَّة درساً كيف يُدافع السُّعوديُّون عن أرضهم.

إنَّ محتوى المادة التي قُدِّمت بطريقةٍ مُختلفة عن الدِّراسات الأخرى التي تناولت ذات الموضوع احتوت على صورٍ دراميّةٍ اعتمدت على الوقائعِ التَّاريخيَّة، فجاءت صياغتها بطريقةٍ سهلة، وأسلوبٍ شيّق، ظهر فيها الجُهد المبذول في إبرازِ تلك الأحداث. وهذا العمل يُشْكر عليه الدُّكتور الفاضل/ إسماعيل السَّلامات، لالتفاتهِ للتَّاريخ السُّعودي، ونرجو منه الاستمرارَ في مثل هذه الأعمالِ المهمَّةِ لتاريخنا الوطني.

د. جواهر بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي آل سعود

المُقدمة

دفعني حبُّ ديارِ الحرمين الشَّريفين في المملكة العربية السعودية، والولاء لحُكَّامها العِظام الأمجاد لإنتاج هذا البحث التَّاريخي، بناءً على: تخصُّصي الأكاديمي العالي؛ ورغبتي في تأييد رؤية المملكة العربية السُّعودية ٢٠٣٠ في تنمية التراث الوطني السُّعودي التَّليد، ضمن فعاليات يوم "التأسيس السعودي" (١١٣٩/٦/٣٠هـ) الهادفة إلى ترسيخِ القيم الوطنية الأصيلة في المملكة العربية السُّعودية العُظمى في عهدِ خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظهما الله. لتكون المملكة (أنموذجاً ناجحاً ورائداً في العالم على كافة الأصعدة)[١]، اجتهدتُ في توثيق جانبٍ مُشرِّفٍ ومُهِمٍّ من التَّاريخ السياسي، والحربي والاجتماعي، للدَّولة السُّعودية الأولى في مواجهة الحملات العسكريَّة الخارجية والداخلية الغاشمة عليها.

ونظراً للحاجةِ إلى مزيد من الأبحاث لدراسة ظاهرة حملة طوسون باشا في مرحلتنا الرَّاهنة، جاء هذا العمل باسم: حَمْلَةُ طُوسُون بَاشا على الدَّولة السُّعودية الأولى سنة (١٢٢٦هـ -١٢٣٠هـ/١٨١١م -١٨١٥م)؛ حيث تناول تصويرَ الوقائعِ الحربيَّة للحملة (العُثمانية المصرية) العسكريَّة، وأسبابها في

(١) من أقوال الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله.

أماكنها الجغرافيَّة، وأبعادها الزمانيَّة، ودوافعها الدينيَّة، والسياسيَّة، والحربيَّة، بالإضافة إلى التَّركيز على أدوار الشخصيات التي كان لها اليد الطُّولى في صناعة أحداثها، ويتجلى ذلك بالتعريف بشخصياتها من نواحي وزوايا مُختلفة، تُبرِزُ دورهم الفاعل في المُجتمع: كالمكانة، والانتماء القبلي، والدَّور الاجتماعي، والسّياسي الحربي، مُستهدياً في مادته بما استخرجته من خبايا المصادر التَّاريخية؛ من مخطوطات، ووثائق، وتقارير دوليّة، وكتب المُستشرقين، بالإضافة إلى الدِّراسات الحديثة، وما حُفظ ونُقل عبر الذَّاكرة الجمعيَّة للموروث التَّاريخي السعودي، وحُصر ذلك في موضوعين:

- بناء وتأسيس الدَّولة السُّعودية الأولى (١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م)، وتطوّرها الحضاري على أُسسٍ مُجتمعيةٍ وسياسيةٍ ارتبطت بتحقيقِ الأمنِ والاستقرار والازدهار. فقد ذكر الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذَّكير: أنَّ الأمور السّياسيّة وصراع الدَّولة السُّعودية الأولى مع خصومها، شكلت الأساس لقيامِ الدَّولةِ السُّعودية الأولى[(١)] .

(١) يقول الذَّكير (١٣٠٠ - ١٣٦٤ هـ): "... وبما أنَّ تاريخ هذه الدَّعوة وتطوراتها قد كفانا ابن بشر وابن غنام الكلام عليها بتاريخها من الناحية الدينية فقد قَصَرنا بحثنا في هذا الكتاب على الناحية السياسية التي لم تزل غامضة، لأنَّ المؤرخين القديمين والحديثين لم يُعالجوها كتاريخ سياسي؛ فابن بشر وابن غنام دونوها بصفةٍ دينيةٍ محضةٍ، ورسموا مُخالفي ابن سعود بالردة أو ما هو في معناها، ولم ينظروا الى أعمال هؤلاء الأمراء من الناحية السياسية التي هي السبب المُباشر لهذهِ المُقاومة. ولهذا وجب أنْ نتكلم عن حالةِ هؤلاء الأمراء من هذه الناحية ونُعطيهم حقهم على قدر ما يستحقون وبقدر أعمالهم وأثرهم في التاريخ، لأنهم الآن أصبحوا في ذمةِ التاريخ؛ والتاريخ أمانه في ذمةِ المؤرخ، يجب أنْ يؤديه على أصلهِ نُصحاً بالروايةِ وحرصاً على التحقيق...". انظر: مخطوط مطالع السُّعود في تاريخ نجد وآل سعود، الشيخ مقبل بن عبدالعزيز الذكير، ص: ٦٠، النسخة الورقية. مكتبة د. راشد بن محمد العساكر، الرياض، الحائر، ٢٠٢٣م. وانظر اللقاء مع د. راشد العساكر حول تأسيس الدولة السعودية الأولى وأهدافها:

https://twitter.com/r_alasaker1437/status/1628439346704441344?s=48&t=Q0iXiivXNSoJRqQvpWUzMA

- توصيف أحداث ومعطيات حملة طوسون باشا العسكريَّة الغاشمة على الدَّولة السُّعودية الأولى.

كما اعتمدَ البحثُ في منهجه على المنهج الوصفي التحليلي؛ ليُحيط وصفاً وتحليلاً بكافّة مُجريات هذه الحملة العسكريَّة العُثمانيَّة الغاشمة على الدَّولة السُّعودية الأولى ليصلَ إلى نتائجَ موضوعية لا تُغفلُ أثراً لقائد أو تتركَ جانباً مُشرِفاً لبطلٍ دافعَ عن أرضه بكلِّ قوته ضدَ القوات الغازية.

وبالحديث عن الإطار المكاني لوقائع البحث التَّاريخي: شكَّلت بوادي وقُرى ومُدن الدَّولة السُّعودية الأولى، والحِجاز والشَّام، ومصر، الخريطة الجغرافية لهذا الحدَثِ التَّاريخي المُهم، بينما شكلت بعضُ الشَّخيصات الدينية، والسياسيَّة والعسكريَّة، والاجتماعية الإطار البشري في صُنع حوادثه، وشكَّلت السنوات: (١٢٢٦-١٢٣٠هـ/ ١٨١١-١٨١٥م) الإطار الزماني له.

ومن الأهداف الرئيسية لهذهِ الدِّراسة: تحويلها من نص سردي مكتوب وفق حبكةٍ سردية، إلى نص فني درامي مرئي (سيناريو) يقوم على تقسيم النص الروائي إلى شخصياته الرئيسة والثانوية، وصياغة الحوارات الفنية بين تلك الشخصيات بأسلوب علمي سردي موضوعي يَعكس الصُّورة الواقعية، والحقائق التَّاريخية، والاجتماعية.

فيستعرِضُ هذا البحثُ القصصي أحداثاً ووقائعَ تاريخية، تبدأ وفقاً لتسلسل أحداثها الزمانية بمدخلٍ تاريخي يُقدّم صورةً دراميَّةً لمراحلِ نشأة وتبلور الدَّولة السُّعودية الأولى في عاصمتها التَّاريخية

الدِّرْعيّة على يد الإمام مُحمَّد بن سعود بن محمد بن مقرن، مُروراً بالتسلسلِ الزمني لحُكَّام الأسرة السُّعودية الحالية مُنْذُ سنة ٨٥٠ هـ في بلدة الدِّرْعيّة بالقرب من القطيف في عهد الأمير مانع المريدي الحنيفي البكري، وحتى سنة(١١٣٩هـ) في عهد الإمام مُحمَّد بن سعود بن مقرن.

ثمَّ بعد ذلك صوَّر مرحلة التوسع والنفوذ في عهدي الإمام: عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود، وابنه الإمام سعود بن عبد العزيز، حيث امتدت سيطرتهما من بلاد نجد والحِجاز إلى بلاد العراق والشَّام.

تلا ذلك تصويرٌ لمرحلةِ الدِّفاع و السقوط الذي حصل في عهد الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد، حيث توالت الحملات العُثمانيَّة المصرية الغاشمة على الدِّرْعيّة عاصمة الدَّولة السُّعودية الأولى، حتى أسقطتها على يد المُعتدي إبراهيم باشا سنة (١٢٣٣هـ) .

وبعد هذا السَّرد قَدّم البحثُ، بأسلوب شائق، صورةً لطبيعةِ العلاقة التي كانت قائمة بين الدَّولة السُّعودية الأولى والدَّولة العُثمانيَّة، فبيّنت الجانب العدائي للدَّولة العُثمانيَّة، من خلال إشعالها فتيلَ نار المُعارضة السياسيَّة الداخلية(١)،والمُعارضة السياسيَّة الخارجية لها، داخل نجد وخارجها، حيث قامت بتوجيه وتجهيز العديد من الحملات العسكريَّة من نجد والعراق ومصر للقضاء عليها في عاصمتها التَّاريخية الدِّرْعيّة.

---

(١) تمثلت بمُعارضةِ كل من أمير: الرياض، وحُكام: نجران والأحساء.

ثمَّ شرع البحث بتكوين تصوّر واقعي لطبيعة العلاقة بين الدَّولة السُّعودية الأولى، وأشراف الحجاز، فعرضَ مواقف الولاء الشكلي، ومواقف الخصام العلني لأشراف الحجاز في خطوط مُراسلاتهم وعهودهم مع كلا الطرفين المُتخاصمين: مُحمَّد علي باشا وابنه طُوسُون بَاشا من جهة، والإمام سعود بن عبد العزيز وابنه الأمير عبد الله بن سعود من جهة ثانية.

وتسهيلاً على القارئ و المهتم و"السينارست" في تقريب وتَمثُّل الصّورة الحقيقية لأحداث حَمْلَةُ طُوسُون بَاشا على الدَّولة السُّعودية الأولى، فقد ركز البحث على وصف أشكال وأنواع الفلكلور، والأزياء، والسّلاح، وأنماط السُّلوك، والعادات لجميع الجيوش العسكريَّة المُشاركة في أحداث الحملة، مُجسّدة بذلك أدقَّ التفاصيل لتلك البيئة، بالإضافة إلى تصوير طريقة حياة عوائل قادة الجيوش الغازية التي استقدموها معهم إلى الحجاز، فجسدت طبيعة حياتهم الاجتماعية من حيث: المَسكن، والمأكل، والمشرب، والملبس، وبعض أنواع السلوك في طقوس الأفراح، والأحزان، والعلاقات الاجتماعية.

وعند عَرض فصول هذا البحث التَّاريخي نجد أنَّ:

الفصل الأول: اهتم بتصويرِ دواعي إرسال الحملة من مصر إلى بلاد الحِجاز ونجد، وأساليب هذه الحملة، ومراحل استعداداتها من: تجهيز عسكري، واقتصادي، ودعم لوجستي لضمان أمن الطَّريق البحري والبري لجيوشها، وعتادها من خلال:

• اتفاق والي مصر مُحمَّد علي باشا مع الشَّريف غالب على حراسة وتحصين أمن طُرق ومؤن الحملة.

• العلاقة مع شيوخ القبائل البدوية التي تقطُن على طول هذه الطُّرق مع طُوسُون بَاشا أو مع حليفهِ الشَّريف غالب أو وكلائهم.

وقد قدمنا أيضاً وصفاً طُبغرافياً للطُّرق البحرية: (السويس يَنبُع، السويس العقبة).

والطَّريق البري: (العقبة يَنبُع) للحملة مُنْذُ انطلاقها، وحتى وصولها إلى يَنبُع البحر ويَنبُع البر.

كما قدّم صوراً فنية لعمليةِ تحرُّك وانطلاق حملة طُوسُون بَاشا من ميناء السويس بمصر إلى مرافئ: الوجه والمويلح والعقبة.

ثمَّ وصول قوات الحملة براً من العقبة إلى ميناء يَنبُع بِمُحاذات ساحل البحر الأحمر، وعملية احتلاله، وكيفية خروج أمير يَنبُع الشَّريف جابر بن جبارة العياشي من يَنبُع لينجو بنفسه من الأسرِ والقتلِ.

وانتهى الفصل الأول ببيان مواقف قبائل نجد والحِجاز من حَمْلَةُ طُوسُون بَاشا على الدَّولة السُّعودية الأولى، وذكره لأشهر القبائل التي استطاعت الحملة ضمها إلى صفها (الحويطات، العبابدة، بلي، مزينة، بني عقبة، بني واصل، جهينة).

أما الفصل الثَّاني: فقد وصف حوادث سقوط الحِجاز بيد طُوسُون بَاشا، فأظهر أهمية الحِجاز وعرَّج على وقائع

ملحمتي: الخيف، ووادي الصفراء، و رجوع طُوسُون بَاشا سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م) مُحملاً بخزي هزيمة نكراء على يد جيش الدَّولة السُّعودية الأولى، فقدّم وصفا طُبغرافياً لموقعِ المعركة، وذكر عدد الجيوش المُتصارعة وأنواع خِططهم الحربيَّة وأنواع سلاحهم، وما جرى في المعركة من أفعال ومواجهات، كما ذكر عدد القتلى من الطرفين، وكان منهم بعض القادة العسكريين الذين استشهدوا دفاعاً عن أرض الصفراء من قوات ابن سعود: كأحمد بن مُحمَّد بن سالم أمير قبيلة بني هاجر، والشَّيخ سعد بن إبراهيم الدغيثر من آل يزيد، والشَّيخ هادي بن قرملة رئيس قبيلة قحطان، وبرغش بن راشد الشبيبي، وغيرهم من الأبطال والأشاوس ....

إلى أنْ توقف الوصف بذكرِ الحجة الثامنة للإمام سعود بن عبد العزيز بالمُسلمين سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م).

ثمَّ استطرد البحث بوصف حملة القائد العثماني أحمد بونابرت خازندار لمؤازرة طُوسُون بَاشا في الحِجاز سنة (١٢٢٧هـ/١٨١٢م)، وعملية سقوط الصفراء.

وعرض طريقة احتلال بلدة بَدْر، واحتلال المدينة المُنورة سنة (١٢٢٧هـ/١٨١٢م)، ثمَّ احتلال جدة سنة (١٢٢٨هـ/١٨١٣م) وأخيراً احتلال مكة المُكرمة والطائف سنة (١٢٢٨هـ/١٨١٣م).

وقد تفرّد الفصل الثَّالث بعرض وقائع معارك القوات السُّعودية مع قوات طُوسُون بَاشا في الحِجاز، فذكر كيفية وصول الإمام سعود بن عبد العزيز بجيوشه إلى الحناكية قرب المدينة المنورة،

وهجومه العسكري على قوات طُوسُون بَاشا، ووصوله إلى المدينة، وكيف قطع الطُّرق البرية بين مكَّة والمدينة المُشرفتين والقصيم.

ثمَّ قدّم عرضاً لحصار تُربَة وهزيمة قوات طُوسُون بَاشا فيها، وذكر الخسائر التي تكبدها جيشه في الحِجاز، ثمَّ شرح أسباب وصول مُحمَّد علي باشا إلى الحِجاز سنة (١٢٢٨هـ) للإشراف على المعاركِ بنفسه بعد تزعزُع ثقته بقادةِ جيوشه الغازية، ثمَّ صَوَّر طريقة اعتقال مُحمَّد علي باشا للشريف غالب، وطُرق استمالته وإقناعه للكثيرِ من شيوخ قبائل البدو في الحِجاز، ونجد، بالهبات والذهب والامتيازات والوعود.

ثمَّ تابع البحث في الفصل الرَّابع بتصوير فني لمعارك السُّعوديينَ بعد وفاة الإمام سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعودبالدِّرْعيّة (١٢٢٩هـ/١٨١٤م)،فقصَّتأخباروفاةالإمامسعودبنعبدالعزيزبنمُحمَّد وعرضت سيرته في بلدهِ وحروبه، ثمَّ صور كيفية وصول جيوش طُوسُون بَاشا إلى اليمن، وهزيمتهم بالقنفذة، وكيفية قيام الإمام عبد الله بن سعود بتأديب القبائل المُناصرة والمُتحالفة مع طُوسُون بَاشا في الحِجاز.

وبعد ذلك وقف البحث التَّاريخي بنا لوصف كيف حاصر الإمام عبد الله بن سعود طُوسُون بَاشا، وجيوشه في الطائف، وصور معركة حصن بخروش بين السُّعوديينَ وقوات طُوسُون بَاشا سنة (١٢٢٩هـ/١٨١٤م)،وهجوم طوسون باشا للمرة الثانية على تُربة، ووصول الأمير فيصل بن سعود بجيوشهِ إلى بلدة تُربَة سنة ١٢٢٩هـ، وتابع بالوصف التَّاريخي لأحداث ملحمة بِسْل (الواقعة

بين الطائف تُربة) بين الأمير فيصل بن سعود، و مُحمَّد علي بَاشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م)، وكيفية احتلال قوات طُوسُون بَاشا لرنية وبيشة وتُربة سنة ١٢٣٠هـ .

وانتهى البحث بعرض الفصل الخامس: حيث تناول وصف مُجريات، وحوادث سُقوط القصيم سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م) .وكيف بدأت الأحداث بحصارِ الإمام عبد الله بن سعود لقواتِ طُوسُون بَاشا في الخبراء والرَّس. ثمَّ وقوع معركتي: قصر البعجاء، والشبيبة بين الإمام عبد الله بن سعود وقوات طُوسُون بَاشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م) و كيف أنَّ ميزان القوى تغير لصالح السُّعوديينَ وأسباب ذلك.

ثمَّ ذكر الحوادث التي أدَّت لسقوط الرَّس، بدايةً من نزول الإمام عبد الله بن سعود عند ماء الحجناوي بين عنيزة والرَّس سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م) ثمَّ صورت موقف أهل الرَّس من حملة طُوسُون بَاشا، وعوامل تسليمه له.

وشرح آليات وشروط صُلح الرَّس بين الإمام عبد الله بن سعود، وطُوسُون بَاشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م)، من حيث أسباب قبول السُّعوديينَ وطوسون الصُّلحَ مع ذكرِ بنود نص الصُّلح وفوائده، وعوامل نقض السُّعوديين له، وأسباب عودة مُحمَّد علي باشا إلى مصر (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

ثمَّ تابعَ تصوير هجوم الإمام عبد الله بن سعود على الخبراء والبكيرية لمُناصرتهم لطُوسُون بَاشا ووقوفهم في صفه، وخُتمت تلك الملاحم الدفاعية بقصة سقوط الرَّس سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

ثمَّ عرض البحث التَّاريخي الصورة الميدانية لعودة طُوسُون بَاشا إلى القاهرة سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م) - بعد كل المعارك التي قام بها - خائباً خاسراً عاجزاً عن تحقيق هدفه الكبير بإسقاط الدِّرْعيّة عاصمة الدَّولة السُّعودية الأولى.وتحدث عن أسباب وفاته هناك سنة(١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

وانتهى بعرض دور الإمام عبدالله بن سعود في الدِّفاع عن الدَّولة السُّعودية الأولى، وذكر أهم أدواره القيادية وانتصاراته التاريخية على أعدائه في معارك البطولة والصمود والدِّفاع.

وبعد ذلك كانت الخاتمة، وتلاها عرض المراجع المُعتمد عليها في البحث، ثمَّ فهرس الموضوعات.

فهرس المدخل التاريخي

* أولاً: نشأة الدَّولة السُّعودية الأولى وتوسعها في نجد والحِجاز:
  ١- أطوار الدَّولة السُّعودية الأولى (١١٣٩-١٢٣٣هـ).
* ثانياً: حُكَّام الدِّرْعيّة قبل الدَّولة السُّعودية الأولى.
* ثالثاً: علاقة الدَّولة السُّعودية الأولى بالدَّولة العُثمانيَّة.
* رابعاً: المُعارضة السياسيَّة الداخلية للدَّولة السُّعودية الأولى.
* خامساً: المُعارضة السياسيَّة الخارجية للدَّولة السُّعودية الأولى.
* سادساً: الحملات السُّعودية على بلاد الشام (١٢٠١-١٢٠٨هـ).

مدخل تاريخي[١]

أولاً: نشأة الدَّولة السُّعودية الأولى وتوسعها في نجد و الحِجاز[٢]:

أحوال نجد:

في الثلثِ الأولِ من القرن الثَّامن عشر الميلادي (١١٣٩هـ/١٧٢٧م) اتسم المُجتمع النجدي وما حوله بأحوال اجتماعيَّة مُضطربة

---

(١) إنَّ قراءة المدخل التَّاريخي (بالسرد القصصي التسلسلي) تُساعد كل من القارئ و السينارست في الوقوف على ما يلي:
أ-الإحاطة بطبيعة المناخ الاجتماعي، والسياسي، والجغرافي الذي تدور فيه أحداث ووقائع حملة طوسون باشا.
ب-التعرف على الشخصيات الفاعلة في صنع الأحداث.
ت-التعرف على طبيعة العلاقات السياسيَّة من سلم وحرب بين القبائل والدول الحاكمة (الدَّولة العُثمانيَّة والدَّولة السُّعودية الأولى).
ث-التعرف على المناطق الجغرافية لأحداث الحملة ومعرفة مواقعها وتضاريسها.
ج-التعرف على التسلسل التَّاريخي للأحداث.
ح-الوقوف على أسباب نشوء الدَّولة السُّعودية الأولى، والظروف السياسيَّة، والاجتماعية، والحربيَّة التي نشأت في ظلها.
خ-التعرف على شخصيات حُكام الدِّرْعيَّة قبل وبعد الدعوى الإصلاحيَّة.
د-التعرف على البواعث الحقيقيَّة لإرسال حملة طوسون باشا على الدَّولة السُّعوديَّة الأولى.
ذ-التمثل الذهني لكل ما سبق ذكره.

(٢) تاريخ البلاد العربيَّة السُّعودية، الجزء الأوَّل، الدَّولة السُّعودية الأولى، د. منير العجلاني، ص٣٧ وما بعدها.

تمثلت بتَفرُّق الناس ،وضعف ترابطهم، واختلال أمنهم ،و كثرة القتال فيما بينهم، و انتشر قطع طرق الحج والتجارة والسابلة و المارة بنجد باتجاه مكة والمدينة المُشرفتين وغيرهما من البُلدان المُجاورة، فكان لا بُدَّ من رجل أمين وزعيم مُلهم يُعيد تصحيح هذه الأحوال الاجتماعية المُعتلة، ويُحقق الاستقرار المُجتمعي وينشر الأمن والأمان والسلم في ربوع البلاد و يجمع أهل نجد وغيرهم تحت ظل حكمه العادل القويم.

وقد حقق الله تعالى ذلك لبلادِ نجد وما حولها، فجعل أمنها وأمانها في عهد الإمام مُحمَّد بن سعود بن محمد بن مقرن الحنيفي(١) البكري الوائلي.

في أوائل عام (١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م) تولى الإمام مُحمَّد بن سعود(٢) بن مقرن أمارة الدرعية، ليؤسس الدَّولة السُّعودية الأولى بإقامة حُكم الشرع بالعدل والمُساواة، وإحقاق الحق.

على إثرِ ذلك تحولت الدِّرْعيّة إلى مدينة كبيرة غنيَّة قويَّة، فصارت بذرة لقاعدة دولة عربية إسلامية عظيمة، بسطت سُلطانها في عهد الإمام مُحمَّد بن سعود على مناطق العارض(٣) وأكثر بُلدان نجد،

---

(١) نسبة إلى قبيلةِ بني حنيفة البكرية الوائلية العدنانية.

(٢) ترجع أسرة آل سعود بنسبها الحنيفي إلى جدها المؤسس الإمام سعود الأوَّل بن مُحمَّد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المُرَيدي الدِّرعي الحنيفي البكري الوائلي.

(٣) العارض: قال عبدالله بن خميس: عارض بفتح العين بعدها ألف وراء مكسورة، فضاد هو (عارض اليمامة) ويُسمى طويقاً، ويُسمى اليمامة أيضاً، وللعارِض مفهوم قديم كان يُطلق على جبل

ثمَّ ضمت إليها في عهد الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود وابنه الإمام سعود بلاد نجد، والأحساء، وجبل شمر، وأجزاء من اليمن، وعسير، ثمَّ بلاد الحِجاز، إلى أنْ امتد نفوذها إلى بلاد الشَّام.

في هذهِ الأثناء وتحت هذه الظروف لمْ تكتفِ الدَّولة السُّعودية الأولى بتوحيد نجد والحِجاز وحدهما، بل تجاوزت ذلك إلى ما هو أكبر منه، ففي عام (١١٣٩هـ/١٧٢٧م) كانت إمارة الإمام مُحمَّد بن سعود بن عبد العزيز مُقتصرة على بلدة واحدة: هي الدِّرْعيّة. ولما توفي ابنه الإمام عبد العزيز ابن مُحمَّد (١١٣٣هـ/١٢١٨هـ) بعد (٧٩) تسعة وسبعين سنة توسعت الدولة السعودية الأولى كثيراً .

ولكون التَّاريخ سلسلةً تترابط حلقاتها وتتداعى إذا فُقدت حلقة منها يصعُب على المرءِ فهم حقيقة حلقاتها الباقية واستجلاء أخبارها وحوادثها، وجب أنْ نُقدّم في بداية هذا البحث التَّاريخي توطئة تاريخية موضوعية تستعرض بدايات نشوء وتكوُّن الدَّولة السُّعودية الأولى في الدِّرْعيّة.

اليمامة من الشمال إلى الجنوب، ومفهوم حديث يُطلق على جزء من جبل اليمامة (طويق) وهو ما= =بين منطقة (الشّعِيبْ) إلى منطقة الخرج؛ أي الرياض ومُلحقاتها. انظر: معجم اليمامة، عبدالله بن محمد بن خميس، ج٢، مطبعة الفرزدق، ١٩٧٨م، ص١٢٩؛ تاريخ البلاد العربيَّة السُّعودية، الجزء الأوَّل، الدَّولة السُّعودية الأولى، د. منير العجلاني، ط٢، ١٤١٣هـ، ص٤٠.

١- أطوار الدَّولة السُّعودية الأولى (١١٣٩-١٢٣٣هـ):

ينقسم تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى إلى ثلاثةِ أطوار: تَمَثَّل الطَّور الأول منها بعهدِ النشأة والتأسيس، وهو عهد الإمام مُحمَّد بن سعود بن مقرن (١١٣٩ - ١١٧٩هـ).

أما الطَّور الثَّاني فقد تمثل بعهدِ التوسعِ، والنفوذ، وهو عهد الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود (١١٧٩ - ١٢١٨هـ).

وأما الطَّور الثَّالث فهو عهد الدفاع والسقوط، وهو عهد الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود (١٢٢٩ - ١٢٣٣هـ).

لأجلِ ذلك اعتبر المؤرخون أنَّ تاريخ نجد الحديث كان قد استهلَّ ولمع مع تولي الإمام مُحمَّد بن سعود الحكم في الدرعية في عام (١١٣٩هـ)، ففي زمنه كانت كل عشيرة أو قبيلة في نجد تُشكل دولة بحدِّ ذاتها، وفي كل بلدةٍ إمارة مُستقلة، وكانت الحروب بين هذه الإمارات الصغيرة قائمة، ومُستمرة لأصغرِ الأسباب، فكان سُكان نجد وما حولها يعيشون بين عدو يأخذهم قهراً، أو بين حليف يُباغتهم غدراً، حيث يُقتل أبناؤهم في الحروب ويُهدم بناؤهم، ويُحرق نخيلهم، ويُتلف زرعهم، وتفتقر حالهم، أما في أيام السِّلم فيُحبس الناس في بلدانهم، ولا يستطيعون مُغادرتها إلا بمُغامرة خطِرة؛ لأنَّ الطُّرق مرصودة بقطاَّع الطُّرق، وطُلاب الثأر.

هذه هي حال بلاد نجد قبل قيام الدَّولة السُّعودية الأولى، فلا رئيس قاهر يردع الظلم وأهله، ولا زعيم ينصر المَظلوم ويَبسط الأمن والأمان، بل كان كل حاكم يحكم على بلدتهِ أو قبيلتهِ فحسب.

ثانياً: حُكام الدِّرْعيّة قبل تأسيس الدولة السُّعودية الأولى:

١- أمير الدروع مانع بن ربيعة المريدي:

وبالكلام عن بدء نشوء الدَّولة السُّعودية الأولى، يروي ابن عثيمين: كان أحد أجداد آل سعود، مانع المريدي، مُقيماً في مكان يقال له: الدِّرْعية قرب بلدة القطيف في الجهات الشرقية من الجزيرة العربية[١]، وفي سنة (٨٥٠هـ)،راسله ابن عمه ابن درع صاحب (حَجْر اليمامة) وكان يترأس فرعاً آخر من الدروع في اليمامة ليطلب منه النزول عنده، حيث أنّ أراضي اليمامة كانت قد أجدبت في ذلك العام.

فَقَبِلَ الأمير مانع المريدي ولبى دعوة ابن عمه، وانتقل مع أولاده ورجاله من القطيف إلى (حجر) و(الجزعة) قُرب الرياض، فمنحه أرض حَيي: المليبد وغصيبة منزِلاً ليستوطنها مع أولاده وجماعته.

وقد استطاع الأمير مانع المريدي أنْ يُعمّرَ دياره الجديدة (المليبد، وغصيبة) في الدِّرْعيّة ويتوسع بها وبذلك زالت بلدة الدِّرْعيّة في القطيف، ولم يعُد لها وجود كعاصمة حكم، بعد أنْ هجرها أهلها الدروع، ولكنها بُعثت وجُدِّدت في أرضِ اليمامة في نجد، حيث بنى

(١) انظر: Arabia in early maps ,G.R.Tibitts,Falcon Oleandar . 1752,p;4 ؛ تاريخ المملكة العربيَّة السُّعودية، عبد الله الصالح العثيمين، ج٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٨٥.

أمير الدروع مانع المريدي وأبناؤه لهم بلدة جديدة فيها، فأطلق عليها اسم بلدتهم القديمة: الدِّرْعيّة، ومع أنها كانت في بداية أمرها مَنزلاً مُتواضعاً للدُّروع، إلا أنها أصبحت فيما بعد من أعظم بُلدان نجد، وعنواناً لتاريخٍ سعوديٍّ عربيٍّ إسلاميٍّ تليد أصيل.

٢- الأمير ربيعة بن مانع المريدي:

وبعد وفاة الأمير مانع المريدي خَلَفَهُ من بعدهِ في الحُكمِ ابنه الأمير ربيعة، حيث علت سُلطته وذاع صيته في زمانه بحربه مع أبناء عمومته آل يزيد الحنيفيين البكريين، وذلك بسبب التنافُس، والتناوش على مناهلِ وينابيعِ المياه في وادي حنيفة.

٣- الأمير موسى بن ربيعة بن مانع المريدي:

برز الأمير موسى بن ربيعة في حياة أبيه، فتولى قيادة الجيش في المعارك، حتى صار صاحب جولات وصولات في بلادِ نجد، وفي ذلك يقول ابن بشر: "أشهر من أبيهِ، واستولى على الحُكم في حياة والده" وكانت بينه وبين أمير العيينة، حمد بن حسن بن طوق، صداقةً ومودةً قوية.

وفي عهده جمع موسى عشيرتَه من الدُّروع، وضمَّ إليهم "عرب الموالفة" وغزا بهم أبناء عمومته آل يزيد في بلدات: النعيمية والوصيل، وذلك بسبب الاختلاف على عيون الماء في وادي حنيفة، وقَتل منهم ثمانين رجلاً، وأجلاهم عن أراضيهم، وأدخل أملاكهم

تحت حُكمه في الدِّرْعيّة، حتى أصبح يُضرب المثل بهذه الواقعة، فَيُقال: "صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد"[١].

٤- الأمير إبراهيم بن موسى بن ربيعة المريدي:

بعدَ أنْ توفي الأمير موسى بن ربيعة خلفه في استلام زمام الحُكم ابنه الأمير إبراهيم بن موسى، وكان لهذا الأمير ذريةً كثيرة من أولاده الأربعة، حيث بارك الله له فيها، وهم: مرخان، وعبدالله، وعبدالرحمن، وسيف[٢].

٥- الأمير مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة المريدي:

وبعد وفاة الأمير إبراهيم تولى الإمارة من بعده ابنه مرخان، إلا أنّ إمارة الدِّرْعيّة ضاقت على ذريةِ أبيه الأمير إبراهيم بن موسى لكثرتهم، ففكَّر قسمٌ منهم بالهجرة إلى أماكن أُخرى أكثر خصباً، واتساعاً، خارج الدِّرْعيّة، وقد آثر قسمٌ منهم البقاء، والمكوث في الدِّرْعيّة، حيث أنها كانت تُمثل لهم تُراث الآباء والأجداد، وكان من هؤلاء: الأمير مرخان، وأخوه عبد الله، وأما أخواه عبد الرحمن، وسيف، فهاجرا بأولادهما إلى بلدات: ضرما وأبو الكباش.

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي، ج٢، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٤.

(٢) انظر مخطوط الدَّولة السُّعودية الأولى باللغة الفرنسية، صلاح العقاد، دون تاريخ نشر.

- الحُكم الثُنائي للدّرعيّة:

٦ - ربيعة ومقرن أبناء مرخان بن إبراهيم المريدي:

وهذا الوضع هو الذي ساعد الأمير مرخان بن إبراهيم على استمرار حكم الدِرْعيّة في ظلِّ ذريته فيما بعد؛ أي في عقبهِ من ولديه:

- ربيعة الذي عُرفت ذريته بعده باسم آل وطبان.
- ومقرن الذي عُرفت ذريته بعده باسم آل مقرن[1]، حيث تعاقب على إمارة الدِرْعيّة من هذين الفرعين من كان فيهم أكبر سناً، فقد كان كِبر السّن هو القانون المُتبع في ترشيح وتنصيب أُمراء نجد وشيوخها.

٧- مرخان بن مقرن المريدي، ووطبان بن ربيعة المريدي:

حكم الأمير مرخان بن مقرن حي غصيبة، و حكم ابن عمه وطبان بن ربيعة الدرعية، إلى أنْ وقع الخلاف بينهما، فقتل الأمير وطبان بن ربيعة ابن عمه الأمير مرخان بن مقرن سنة (١٠٥٦هـ)، واستولى على حُكم غصيبة[2].

(١) وكانت نخوتهم في الحروب والمغازي هي: خيال العوجا أنا ابن مقرن، أو راعي العوجا أنا ابن مقرن، ويقصدون بالعوجا: الدِرْعيَّة لأنَّ وادي حنيفة يتعوج عندها ويتعرج.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج٢، ص ٨٨.

٨- ناصر بن مُحمَّد وأحمد بن وطبان المريدي:

ذكره ابن بشر في كتابه "تاريخ نجد" أنه في سنة (١٠٨٤هـ)،قُتل أميرا الدِّرْعيّة: ناصر بن مُحمَّد، وأحمد بن وطبان[(١)].

٩- الأمير مُحمَّد بن مقرن بن مرخان المريدي:

تولى الأمير مُحمَّد بن مقرن بن مرخان إمارة الدِّرْعيّة وبقي فيها حتى توفي سنة (١١٠٦هـ)[(٢)]، ويَذكر العجلاني: أنه بعد وفاة الأمير مُحمَّد بن مقرن بن مرخان انتقلت الإمارة في الدِّرْعيّة إلى آل وطبان، فتولى زمام أمورهم كبيرهم "مرخان بن وطبان بن ربيعة"[(٣)].

١٠- الأمير مرخان بن وطبان المريدي، وإبراهيم بن وطبان المريدي، والأمير إدريس بن وطبان المريدي:

تولى الأمير مرخان بن وطبان الحكم بعد وفاة أخيه الأمير أحمد بن وطبان، معاصراً الأمير مُحمَّد بن مقرن، وفي سنة (١١٠١هـ)،قتله أخوه إبراهيم بن وطبان، وتولى الحكم

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٣٢، نسخة دارة الملك عبد العزيز.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج٢، ص ٣٤٦؛ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، إبراهيم بن صالح ابن عيسى، من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربيَّة السُّعودية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ٦٢.

(٣) تاريخ البلاد العربيَّة السُّعودية (الدَّولة السُّعودية الأولى)،د.منير العجلاني، الطبعة الثَّانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٥٨.

مكانه(١)، وبقي بالحكم حتى سنة (١١٠٦هـ)، حيث أقدم حاكم الرياض يحيى بن سلامة أبو زرعة على قتله(٢)، (وهي سنة وفاة الأمير مُحمَّد بن مقرن المريدي) وتولى الحكم بعده أخوه ادريس بن وطبان المريدي، ولم تَدُم مُدة حكمه إلا سنة واحدة، حيث تمَّ قتله سنة(١١٠٧هـ).(٣).

١١- حكم آل القبس (١١٠٧-١١٢١هـ):

بسبب كثرة النزاعات على الحكم بين أبناء أسرة آل وطبان(٤) الذي سبب ضعفهم، وتغلُّبِ أعدائهم عليهم، استولى سُلطان بن حمد القبس على حكم الدِّرعيّة بعد مقتل الأمير إدريس بن وطبان(٥).

١٢- الأمير موسى بن ربيعة بن وطبان المريدي:

تولى الأمير موسى بن ربيعة بن وطبان الإمارة في الدّرعِيَّة(٦) سنة (١١٢١هـ) إلى سنة(١١٣٢هـ)،ودام حكمه لها إحدى عشرة سنة إلا أنَّ أهل الدِّرعيّة ثاروا عليه في سنة (١١٣٢هـ)، وكانوا تحت إمرة

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج٢، ص٣٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٦.

(٣) المصدر السابق، ص٣٤٧.

(٤) تاريخ بعض الحوادث، ابن عيسى، ص٣٧.

(٥) العربيَّة السُّعودية، من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء، هارت سانت جون فيلبي، ترجمة عاطف فالح يوسف، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ، ص٥٥.

(٦) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج٢، ص٣٥٧. تحفة المشتاق، ص١٦٧.

الأمير سعود بن مُحمَّد بن مقرن، حيث خلعوه من الإمارة، فذهب إلى العيينة، وبقي فيها حتى مات سنة(١١٣٩هـ).

١٣- الأمير سعود بن مُحمَّد بن مقرن المريدي:

تولى الأمير سعود بن مُحمَّد بن مقرن إمارة الدِّرعيّة[١] سنة (١١٣٢هـ)، بعد خلع الأمير موسى بن ربيعة بن وطبان ونفيه سنة (١١٣٢)هـ[٢]، وكان كبير فرع آل مقرن، وبقي حكمه لهم قائماً حتى وفاته في ليلةِ عيد رمضان سنة(١١٣٧هـ)،وهو أمير إمارة الدِّرعيّة الثالث عشر، ومؤسس السُّلالة السُّعودية الحاكمة للدَّولة السُّعودية: الأولى، والثَّانية، والثالثة، وقد توفي وله أربعةٌ من الأولاد، هم: مُحمَّد، وثنيان، ومشاري وفرحان.

١٤- الأمير زيد بن مرخان بن وطبان المريدي:

تولى الأمير زيد بن مرخان حُكم إمارة الدِّرعيّة بعد وفاة الأمير سعود بن مُحمَّد بن مقرن الذي استقل بحكم الدرعية[٣]،وكانت قبل ذلك لآل وطبان[٤]، ويذكر فيلبي أن هذا الأمر تمَّ بموجب توصية الأمير سعود بن مُحمَّد بن مقرن[٥]. وكان على خلاف كبير مع

(١) البلاد العربيَّة السُّعودية، فؤاد حمزة، القاهرة، دار الآفاق العربيَّة، ط١، ٢٠٠١، ص٧٢.

(٢) تاريخ البلاد العربيَّة السُّعودية، منير العجلاني، ص ٥٨.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج٢، ص٣٦٧. تحفة المُشتاق، ص١٨٤.

(٤) تاريخ بعض الحوادث، ابن عيسى، ص ٣٨.

(٥) العربيَّة السُّعودية، فيلبي، ص ٥.

الأمير مقرن بن مُحمَّد بن مقرن المريدي، حيث انتهى هذا الخلاف بمقتل الأخير الأمير مقرن بن مُحمَّد بن مقرن.

١٥- الأمير مُحمَّد بن سعود بن مُحمَّد بن مقرن المريدي:

بعد مَقتل الأمير زيد، بايع أهل الدِّرعيّة الأمير مُحمَّد بن سعود بن مقرن بالرئاسة والإمارة سنة(١١٣٩هـ)، وبقي الأمير مُحمَّد بن سعود أميراً للدِّرعية وغصيبة[1] وأسس الدولة السُّعودية الأولى، فحلَّ في فترة حُكمه الأمن والاستقرار، مما يَدل على حكمةِ الأمير، وذكائه، وفطنته، وبراعته في الإدارة، والحكم، وفن السياسة، وبناء العلاقات، وتوطيدها، فكان على صِلات طيبة مع جيرانه مثل أمير العيينة، حيث زوَّجَ ابنه الأمير عبد العزيز من ابنة أمير العيينة عثمان بن معمر، وقد توفي الأمير مُحمَّد بن سعود سنة (١١٧٩هـ). وقد دام حكمه (٤٠) أربعين عاماً .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج٢، ص ٣٦٩.

ثالثاً: علاقة الدَّولة السُّعودية الأولى بالدَّولة العُثمانيَّة:

موقف الدولة العثمانية من الدولة السُّعودية الأولى:

وصلت أخبار تأسيس الدَّولة السُّعودية الأولى ومُناصرتها للدعوة الإصلاحية في نجد إلى سلطنة الدَّولة العُثمانيَّة منذ بدايةظهورها ونشأتها، فقد أرسل شريف مكَّة مسعود بن سعيد إلى الدَّولة العُثمانيَّة يُعلمها بظهور الشَّيخ سنة (١١٦٣هـ/١٧٥٠م) وذكر أنَّ عُلماء مكَّة قد أفتوا بوجوب قتالهِ إنْ لمْ يرجع عن دعوته، وقد رَدَّت عليه الدَّولة العُثمانيَّة بكتابٍ جوابي طلبت منه إقناع هذا الشخص بالعدول عن مذهبه[(١)].

ولكن الدَّولة العُثمانيَّة في بداية ظهور الدَّعوة السَّلفيَّة كانت هادئة، إذ أنها لم تتخذ أي إجراء مُضاد لها، أو لنشاطِ الدَّولة السُّعودية المُسلح في نجد، والذي بدأ منذ سنة (١١٥٩هـ/١٧٤٦م)، ومن أهم أسباب اتخاذها هذا الموقف ما يلي:

١- عدم توقع الدَّولة العُثمانيَّة بقدرة الدَّولة السُّعودية الأولى على التوسع والاستمرار.

---

(١) أشراف مكَّة وأمراءها في العهد العثماني، إسماعيل حقي جارشلي، الدار العربيَّة للموسوعات، ٢٠٠٣م، ص١٧٩.

٢- اعتقاد العثمانيين أنَّ الدَّولة السُّعودية الأولى لا تَعدو أن تكون مُجرد دولة داخلية تدور في نطاق ضيق، ونوعاً من المُنازعات التي كانت تكثر بين القبائل في شبه الجزيرة العربيَّة، وسرعان ما ستندثر مثل المُناوشات التي كانت قائمة قبلها.

٣- ضَعف الدَّولة العُثمانيَّة داخلياً، وقلة إمكاناتها المادية، والمُشكلات التي تواجهها خارجياً في تلك الحقبة.

ولعلّ من أهم الأسباب التي أدَّت إلى تغيُّر موقف الدَّولة العُثمانيَّة، هو أنَّ قيام الدَّولة السُّعودية الأولى، يُمثل تهديداً خطيراً لهيبة الدَّولة العُثمانيَّة في العالم الإسلامي، لأنَّ تلك البلاد ما كانت لتخضع لهم لولا أنهم كانوا ينتسبون إلى الإسلام، فإذا ما التمس أهل هذه البلاد، وعلموا أنّ ثمة دولة إسلامية أخرى تدعو إلى الله وتنتقل من نصرٍ إلى آخر انصرفوا عن الأتراك إليها[١].

ولكن ما إنْ نشأت الدَّولة السُّعودية الأولى، وأحكمت سيطرتها على الحِجاز، حتى تغيرت الموازين بالنسبة للدَّولة العُثمانيَّة، فقد كانت تواجه الدولة السعودية الأولى مواجهة غير جادة، وكانت تهدف إلى حصر الدَّولة السُّعودية في منطقة نجد، ولكنها أصبحت تواجه تحدياً سياسياً ودينياً لكون الحرمين الشَّريفين فيها، ولأنّ شرف لقب حامي الحرمين الشَّريفين نُزع من سلطانها فلا بُدَّ من

(١) الدِّرْعيَّة العاصمة الأولى، عبد الله بن مُحمَّد بن خميس، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٣٠.

أن تتحرك، وتفعل المُستحيل، وتبذل قُصارى جهدها للقضاء على هذه الدَّولة المُهددة لاستقرارها. ويُمكن القول: إنّ سيطرة الدَّولة السُّعودية الأولى على الحِجاز كان السبب في قدوم الحملات العُثمانيَّة[١] .

مواقف الدولة العثمانية ضد الدولة السُّعودية الأولى:

نشر العثمانيون في البداية الدعاوى والأخبار السيئة ضدها، وعملوا على تشويه مبادئ الدولة السُّعودية الأولى، وقذفها بالزندقة، والخروج عن الدّين.

ومن جهةٍ ثانية قام ولاة العثمانيون بعدمِ السماح للسعوديين بالحجِ، لأنَّ عدم اجتماعهم بالمُسلمين في مكَّة قد يُخفف من الدعاية السيئة ضدهم ببيان حقيقة دولتهم، فرفضت الدَّولة العُثمانيَّة كل طلب قدموه للسماح لهم بالحج[٢].

وعلى الرغم من جميع هذه الإجراءات العدائية لوقف مَد الدَّولة السُّعودية الأولى، ومحاولة إحباطها، فإنها كانت تُحقق انتصارات قوية، ومُتتالية، وهذا ما جعل الدَّولة العُثمانيَّة تُفكر في اتخاذ إجراء أكثر فاعلية وعدائية لمواجهة هذه القوة، وهنا بدأت

(١) المرجع السابق. ص٣٣٠.

(٢) آل سعود، أحمد علي، طبع في مكَّة المكرمة، ١٣٧٦هـ، ص٣٧.

الحملات العسكريَّة المُتتالية التي قامت بها الدَّولة العُثمانيَّة عن طريق ولاتِها في العراق ومصر.

وكانت الدَّولة السُّعودية الأولى في هذه الأثناء قد بدأت بالتوسع تجاه بلاد العراق والشَّام، فحدث الصدام المبُاشر مع ولاة الدَّولة العُثمانيَّة في هذين الإقليمين.

وفي خضم هذا التوسع الداخلي والخارجي للسعوديين ظهرت لهم مُعارضة سياسية من الداخل ومُعارضة سياسية من الخارج.

رابعاً: المُعارضة السياسيَّة الدَّاخلية للدَّولة السُّعودية الأولى:

١. مُعارضة الدَّاخل: وتمثلت بما يلي:

مُعارضة أمير الرياض: دهام بن دواس بن عبد الله الشعلان[١] (١١٥٩/١١٨٧هـ):

شَغل الخلاف مع حاكم الرياض زمناً زادت مدته عن ربع قرن، وتميز هذا الخلاف بقربه من الدِّرْعيّة، وطول وقته، وكثرة أحداثه[٢].

وقد قاد زمام هذه المُعارضة وتزعمها الأمير دهام بن دواس، وهو من الجلاليل من قبيلة مُطَير، وكان دهام قد وصل إلى حُكم الرِّياض في الأصل بطريق غير شرعي، حيث استغل فرصة هروب حاكمها المدعو خميساً منها إلى منفوحة، ثمَّ نصَّب نفسه حاكماً للرياض بدلاً عنه، مُحتجاً بأنه خالٌ لابن زيد بن موسى حاكم الرياض الأسبق، وسيتولى الحكم نيابةً عنه حتى يكبر،

(١) ولد دهام بن دواس في بلدة منفوحة جنوب مدينة الرياض لأسرة آل شعلان من الجلاليل من مطير، كان والد دهام أميراً على منفوحة، فلما تُوفي خلفه ابنه مُحمَّد بن دواس، فأستمر بالحكم إلى أنْ ثاروا عليه أهل منفوحة وقتلوه. تاريخ الجزيرة في عصر الشَّيخ مُحمَّد عبد الوهاب، حسين خلف الشَّيخ خزعل، دار الكتب، بيروت، دون تاريخ نشر، ص٢١٣.

(٢) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة على الدَّولة السُّعودية حتى عام ١٢٣٣هـ، أحمد بن صالح الدهش، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، ١٤٠٥- ١٤٠٦هـ، ص٨٠ وما بعدها. .

لكن سرعان ما ثار أهل الرياض عليه، مما جعله يستنجد بالإمام مُحمَّد بن سعود بن مقرن الذي أرسل إليه أخاه مشاري بن سعود.

وبهذه المُساعدة تمكن دهام من توطيد حكمه لمُدة في الرياض.

ومع هذا الفضل الذي أسداه الإمام مُحمَّد بن سعود لدهام بن دواس في تثبيتِ حكمه، إلا أنه لم ينضم إليه في مُساندة الدولة السعودية الأولى ضد أعدائها

كانت البداية في الخلاف بين الطرفين بسبب هجوم دهام على منفوحة التي كان دهام وإخوته من قاطنيها وسبق أن أُجلو عنها، إلا أن دهاماً لم يُوفق في مَسعاه هذا، حيث عاد مهزوماً مجروحاً من أثرِ الاشتباكات التي درات بينه وبين أهالي منفوحة(١).

ولأجل ذلك كله، تعاهد الإمام مُحمَّد بن سعود مع رجالهِ على أنَّ أول عدوةٍ لهم ستكون على دهام بن دواس.

وعندما وصلت طلائع السُّعوديينَ إلى باب القلعة التي فيها قصر دهام شذَّبت الباب بالمنشار، ودخلت بيت ناصر بن معمر، وتركي بن دواس، فعقرت فيها إبلاً كثيرة، ورمتها بالرصاص وهو

(١) روضة الأفكار والأفهام لُمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، حسين بن غنام. مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، نشر عبد المحسن بن عثمان، أبابطين عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ج٢، ص٦.

في أعلى البيت ثمَّ عادت سالمة[١]، ثمَّ جرت أحداث ومعارك بين الفريقين، كان من أهمها حسب الترتيب الزمني:

أ- معركة الشَّياب(١١٥٩هـ):

وفيها تعاضد عثمان بن معمر أمير العيينة مع جماعته، والإمام مُحمَّد بن سعود أمير الدِّرْعيّة مع جماعته من أهلها، وساروا جميعاً إلى الرياض، فقام جزءٌ منهم بالهجوم، وبقي الجزء الآخر منهم كميناً لعدوهم، وكان اللقاء مع دهام بن دواس في مكان يُسمى: الوشام، خارج سور الرياض، فتفاجأ جيش دهام عند خروج الكمين في وجهه، فعاد مُنهزماً، وقُتل من جيشه نحو عشرة[٢].

ب- معركة دلقة (١١٦٠هـ):

بدأت تلك المسيرة في ربيع الأول من سنة(١١٦٠هـ)،وكان الجيش مُتألفاً من قوات أهل العيينة وقوات منفوحة إضافة إلى أهل حريملا مُساندةً لجيش الدِّرْعيّة، وكان الجيش قد استعد للهجوم على الرياض، ولكن هذه الحملة لم توفق إلى السِّرية المطلوبة في مثلِ هذه الأمور، حيث علم أهالي الرياض خبر زحفها بسبب رجلٍ

(١) المرجع السابق، ج٢، ص٧.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٥٢.

من حريملا، وعندما صَبَّحَهُم الإمام مُحمَّد بن سعود وجدهم على استعدادٍ تامّ للقائه، فُقتل عدد من الفريقين وجُرح عدد أكثر[١].

ثمّ حدثت لقاءات حربية بين الطرفين، وما إن أهَلَّ عام(١١٦٨هـ)، حتى طلب الأمير دهام بن دواس من الإمام مُحمَّد بن سعود توقيع اتفاقية صُلح بينهما، ولعل من أهم الدوافع لذلك ما يأتي[٢]:

• شعور دهام بأنّ عليه أنْ يحمي نفسه، ولو مؤقتاً، ويتحصل على مُعارضين جُدد.

• شعور دهام بالملل النفسي من الحرب المُستمرة بينه وبين أمير الدِّرْعيّة، وضجره منها.

ولم يمض وقت طويل على الهدنةِ المذكورة، حتى نقضها دهام بن دواس عام(١١٦٨هـ) .

ولم يكتف دهام بن دواس بنقضهِ للعهد؛ بل أغار على حريملا مع أنصاره مثل: مُحمَّد بن فارس، رئيس منفوحة، وإبراهيم بن سليمان رئيس ثرمداء ومعهم أناس من أهل سدير، وثادق، وجلوية حريملاء،

(١) المرجع السابق، ج١، ص٥٤.

(٢) حياة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، بحث منشور ضمن مطبوعات جامعة الإمام في أسبوع الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب، مُحمَّد بن أحمد العقيلي، ص٦٩.

وقد انهزموا في هذا الهجوم(١)، وتوالت الأحداث سنةً تلو أخرى بين الدَّعوة وأنصارها من جهة، وحاكمِ الرياض من جهة أخرى.

ج- معركة هدم المرقب(١١٨٧هـ):

وكانت في صفر عام(١١٨٧هـ)، حيث شنَّ الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد فيها هجوماً على الرياض، واستطاع هدم الكثير من أبراجها، وبُرج المرقب على وجه الخصوص، وهو عبارة عن بُرج استطلاعي يُراقب من خلاله جنود الرياض القادمين إليهم من بعيد، ثمّ رجع الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد إلى الرياض.

في هذه الأثناء كان وضع دهام بن دواس المعنوي أضعف من وضعه الحربي، وذلك بعد أن انهارت قواته جرَّاء الحروب العديدة التي خاضها، وخاصة بعد مَقتل ولده دواس عام(١١٨٥هـ).

وما إنْ سار الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود بجيشه، حتى لاقاه البشير، ليُخبره بهرب دهام، وتخليه عن الرياض مَفتوحةً أبوابُها للجيش السُّعودي .

وبهذا صارت الرياض جزءاً من الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام عبد العزيز، أما دهام ومن معه فقد اتجهوا إلى الدلم، حيث وافته المنية هناك(٢).

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٧٢، ٧٣.

(٢) روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، حسين ابن غنام، ص١٥٣.

٢- مُعارضة حاكم الأحساء عريعر بن دجين:

وعلى حين غِرَّة قامت هذه المُعارضة بتحريض من حاكم الأحساء سليمان بن مُحمَّد لأمير العيينة عُثمان بن معمر ضد الدَّولة السُّعودية الأولى، وكانت هذه المُعارضة امتداد لخلاف قديم بين الطرفين. وهنا لا بُدَّ أن نُشير إلى أشهر القبائل القاطنة في الأحساء آنذاك، وهي: بنو خالد، والعجمان و بنو هاجر، وفروع من قبيلة آل مُرة[١].

أما الحُكَّام الذين كان لهم دور في المُعارضة للدَّولة السُّعودية الأولى، كانوا من قبيلة بني خالد، الذين آلت إليهم الزَّعامة في المنطقة على يد براك بن غرير بن عثمان بن مسعود آل حميد في عام (١٠٨٠هـ)[٢].

ثمّ بعد ذلك انتقلت السُّلطة إلى مُحمَّد بن براك، ثمّ توارثها أبناؤه من بعده على التوالي، وهم: سعدون، وعلي، وسليمان.

وابتداءً من عام(١١٦٦هـ)، آلت الولاية في الأحساء إلى عريعر بن دجين، وهو الذي بدأت في زمنه الصِّدامات العسكريَّة بينه وبين إمام الدولة السعودية الأولى، وكان من أبرزها ما يأتي:

---

(١) الدَّولة السُّعودية الأولى، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثَّانية، دار نافع للطباعة، ١٩٧٥م، ص ٧٩.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج٢، ص٣٣٠.

أ- حملة عريعر بن دجين عام (١١٧٢هـ):

أسباب الحملة:

عندما رأى عريعر بن دجين أنَّ نفوذ الدَّولة السُّعودية الأولى تقوى، وانتشر، وتُلاقي القبول بين العامة، والخاصة، وأنّ أخبارها قد طرقت مسامع أهل بلاده، ونفذت إلى قلوبِ بعض الناس منهم، أوجس خيفةً ونهضَ ليقضي عليها.

أحداث المعركة:

حشد عريعر لهذه المعركة الجيوش من كل حدب وصوب، وبالإضافة إلى القوات القادمة معه من بلاد الأحساء والمُتمثلة في قبيلة بني خالد، فقد تحالف أيضاً مع أهل سدير، والوشم، والرياض، والخرج، وغيرهم ممن نصَّبَ للدعوة السَّلفيَّة العداء.

وشنَّ عريعر الهجوم على بلدةِ حريملاء مع حليفه مُبارك بن عدوان.

نتائج المعركة:

باء الهجوم بالفشل، وانتصرت حُريملاء عليهم، وكبدتهم خسائر كبيرةً وجسيمة.

ب- مخطط عريعر بن دجين في عام(١١٧٨هـ):

لاح في الأفق بريق أمل لعريعر بن دجين بأنْ يستولي على نجد ويقضي على حكومة الدَّولة السُّعودية، وظنّ أنّ هذا الهجوم النجراني على نجد هو فُرصة له كي يتحالف مع حاكم نجران ليكونوا يداً واحدة تضرب ضربتها القاضية على الدِّرْعيّة.

ولكن الله أراد لهذا الحلف أنْ تنفصم عُراه القوية قبل أنْ يتكامل اشتدادها، فقد انسحب صاحب نجران بعد عقد الصُّلح مع إمام الدَّولة السُّعودية الأولى، فكتب إلى عريعر يُخبره، ويعتذر إليه عن عدم انتظاره للهجوم معاً، حيث قال له: "لو أن اتفاقي معك حدث قبل صلحي مع مُحمَّد بن سعود لانتظم الأمر على وفق خاطرك، لكن حصل ما حصل"[١].

ت- حملة عريعر بن دجين عام ١١٨٨هـ:

وما إن دخلت سنة (١١٨٨هـ) حتى شنَّ عريعر بن دجين هجوماً مع بني خالد، وكانت وجهته في هذا الهجوم منطقة القصيم،

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٠٨.

ومركزه مدينة بريدة بالذات، حيث كان يتولاها أميرٌ تابع للدَّولة السُّعودية الأولى، وهو الأمير عبد الله بن حسن الذي بذل جهده لمُواجهة الجيوش المُعادية، إلا أنّ نهاية الجولة كانت لصالح عريعر، حيث استطاع أسر أميرها، والقبض على جماعةٍ من أسرتهِ، وعيَّنَ على بريدة بدلاً عنه راشد الدريبي، ثمّ غادرها مع أسراه وجُنده، ولكن المنية عاجلته بعد خروجه من بريدة، وكان قبل وفاته أحس بالقوة بعد هذا الانتصار، لا سيما بعد ورود رسائل عديدة إليه من مناطق مُختلفة مُعارضة للدَّولة السعودية الأولى في نجد، تُشجعه على المزيد من التحرك والغزوات[1].

الأحساء بعد عريعر بن دجين:

كانت وفاة عريعر بن دجين بداية لعهد الاضطراب في الأسرة الحاكمة في الأحساء، حيث تولى بعده ابنه بطين الذي ثار عليه أخواه: دجين، وسعدون، فتمَّ تعيين دجين، لكنَّ سعدون رجع وثار عليه ليتولى بدلاً عنه حكم البلاد.

واستمر حكم سعدون قرابة اثني عشر عاماً كان فيها بين جهتين؛ كل منهما بحاجة إلى مُراقبة شديدة وقبضة قوية.

أما الأولى: فهي جهة الداخل من أطماع أسرية في الحكم، وجفاء من سكان الأحساء.

(١) تاريخ نجد، سنت جون فلبي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ص٦٦.

وأما الثَّانية: فهي جبهة الخارج، والمُتمثلة بالدَّولة السُّعودية الأولى.

وقد مرت سنوات تخللتها هجماتٌ عسكريَّة من قبل سعدون على نجد، كان فيها يبحث عن أحلاف يتقوى بهم ويُثبت جدار حكمه بالأحساء ليُقوي فيها مركزه[١].

ثمَّ حدثت نزاعات وتفكك في الأسرة الحاكمة، حيث قامت مُعارضة ضد سعدون بن عريعر من أهل الأحساء استغلها دويحس بن عريعر – أحد أبناء حُكام الأحساء - ليتسلم الأمور في المنطِقة، مما اضطرَّ سعدون إلى الهرب واللجوء إلى الدِّرْعيّة، وتُسمى هذه الحادثة بوقعة جضعة[٢].

وفي عام(١٢٠٣هـ)، كانت مسيرة الجيش السعودي بقيادة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى المبرز والهفوف.

كما حدثت في عام (١٢٠٤هـ) في الأحساء وقعة غريميل[٣] بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز، حيث انتصر فيها على بني خالد.

---

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١١٠.

(٢) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، مُحمَّد بن عبد الله آل عبد القادر، مكتبة المعارف، ج١، الطبعة الثَّانية، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص١٣١.

(٣) جبل عنده ماء قريب من الأحساء.

كما وصلت حملة الأمير سعود بن عبد العزيز في عام(١٢٠٦هـ)،إلى بلدة سيهات، والعوامية، و حملة أخرى على الأحساء ثانية عام(١٢٠٧هـ)، في عهد برَّاك بن عبد المحسن، حيث كان قد تولى الحكم في الأحساء بعد مقتلِ أبيه عبد المحسن بن سرداح، ودارت بينه وبين بني خالد معركة عُرفت بالشيّط نسبة لموضعٍ هُناك شرقي ماء اللصافة[١].

ثمَّ دارت بعدها مُراسلات بين الأمير سعود بن عبد العزيز وأهل الأحساء، تبعها الاتفاق على مُبايعة أهل الأحساء للأمير للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود والمُعاهدة على التمثُّل بنهج العدل الصحيح، مما جعل الأمير سعود يُقيلهم عن القتال أعواماً ترغيباً لهم[٢].

لكن هذا الصُّلح لم يدم، لأنّ أهل الأحساء نقضوا عهدهم وأخلُّوا بالشُّروط المُتفق عليها، مما جعل الأمير سعود بن عبد العزيز يُرسل حملة قوية عام(١٢٠٨هـ)،عاقب فيها أهل الأحساء على نقضهم المواثيق والعهود.

بعد هذه الانتصارات طلب أهل الأحساء الصُّلح، حيث ندبوا من قِبَلهم براك بن عبد المحسن ليطلب من الأمير سعود ذلك، فاشترطَ

(١) روضة الأفكار والأفهام، حسين بن غنام، ج٢، ص١٥٣.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٦٠.

لقاءهم لأجل هذا المطلب، لكنهم طلبوا منه المُغادرة أولاً، ثمَّ يذهب مندوبهم براك إلى الإمام في الدرعية ويُبايع، وقد تمَّ ذلك(١).

وفي هذا العام(١٢٠٨هـ).استقر الأمر في الأحساء للدولة السعودية الأولى، وزالت سلطة آل حميد رغم أنّ الولاية على الأحساء بقيت بيد براك، إلا أنّ ولايته تُعد مُرتبطة بالدَّولة السُّعودية الأولى(٢).

وبعد عام (١٢٠٨هـ).ظهرت مُعارضة تزعَّمها صالح النجار، وعلي بن أحمد، وغيرهم، فوجه إليهم الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد جيشاً يقوده إبراهيم بن عفيصان، ثمَّ أتبعه بجيش ضخم بقيادة ابنه الأمير سعود بن عبد العزيز الذي حقق على المُناوئين نصراً كبيراً مؤزَّراً.

ثمَّ تلا هذه الأحداث أيضاً أحداث مُشابهة ولكنها أكثر تطوراً، حيث أن المُعارضين في الأحساء أخذوا في اللجوء إلى ولاة العراق وقبائل المُنتفق، مما أدى إلى صدام مُسلح بين هذه الأطراف كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) تُحفة المُستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، مُحمَّد بن عبد الله آل عبد القادر، الطبعة الثَّانية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ .ج١، ص١٣٤.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٢٠٦.

٣- حملة حاكم نجران الحسن بن هبة الله المكرمي(١١٧٤هـ):

تولى الحسن المكرمي حُكم بلاد نجران عام(١١٧٤هـ)،فكانت هجمات نجران تهديداً مُباشراً للدّرعيَّة في مراحل نموها الأولى .

وتَذكُر المصادرُ التَّاريخيَّة أنَّ أول لقاءٍ بين الحسن المكرمي، وبين جيوش الدَّولة السُّعودية الأولى كان في معركة قذلة عام(١١٧٧هـ)، والتي كانت بين الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود، وبين جمع من قبيلة العجمان كانوا قد أغاروا على فريق من قبيلة سبيع الذين ناصروا الدَّولة السُّعودية الأولى، فأراد الإمام عبد العزيز مناصرتهم، فسار إليهم وأدركهم عند الموضع المُسمى قذلة، وتمكن منهم، وانتصر عليهم، وقتلَ منهم جمعاً وأسر آخرين، وغنِمَ مَغانم كثيرة.

وكانت هذه الحادثة سبباً لمَقدم حاكم نجران الحسن بن هبة الله المكرمي استجابة لمُناشدة شيخ قبيلة العجمان في نصرتهم ضد الدَّولة السُّعودية الأولى[١].

وكانت الحملة الأولى لحاكم نجران على الدرعية عام(١١٧٨هـ)، أي في العام الذي سبق وفاة الإمام مُحمَّد بن سعود.

اشتُهرت هذه الحملة باسم: "وقعة الحاير" نسبةً إلى موقعها في بلدة الحاير التي نزل عندها حاكم نجران، وعند وصول جيش

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص١٩٣.

الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد وقع قتالٌ شديدٌ بين الجيشين، كانت الغلبةُ فيه لجيشِ نجران، ويَذكر ابن بشر أنَّ عدد قتلى الجيش السُّعودي بلغ وقتها خمسمائة (٥٠٠) قتيل[١].

وبعد تلك المعركة عاد الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد إلى الدِّرْعيّة، ثمّ سار حاكم نجران بجيشه مزهواً بنصرهِ باتجاه الدِّرْعيّة ونزلوا عند قصر الغذوانه، وقد وفد عليه أثناء مُعسكره الذي أقامه قُرب القصر ألدَّ أعداءِ الدَّولة السُّعودية الأولى مثل: دهام بن دواس حاكم الرياض آنذاك، وزيد بن زامل حاكم الدلم، وفيصل بن سويط رئيس عربان الظفير، فقدَّموا له التهنئة بما أحرزه من نصر، وقدموا له الهدايا، ووعدوه بالسَّمع والطَّاعة والمُلك للجميع، إن هو ثَبَتَ وانتصر على الدَّولة السُّعودية الأولى.

حملة حاكم نجران الحسين بن هبة الله المكرمي الثَّانية على نجد سنة (١١٨٩هـ):

وبتحريضٍ من أعداء الدَّولة السُّعودية الأولى كحاكم الأحساء وغيره، سار حاكمُ نجران الحسن بن هبة الله المكرمي بجيوشهِ مرة ثانية سنة(١١٨٩هـ)،وعسكرَ عند الحائر، وانضمَّ إليه المُعارضون في نجد، وكانوا يداً واحدةً على الدَّولة السُّعودية الأولى ومن والاها آنذاك.

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٩٤.

في هذه الأثناء كان الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد يجمعُ الجيوشَ، فأرسلَ إلى مدينةِ الرياض القريبة منه مَدداً يُدافعُ عنها في حال حصول هجومٍ مُفاجئ للأعداء عليها، وأرسل ابنه الأمير سعود بن عبد العزيز بجيش ليُعسكر في ضرما فأقام فيها أياماً وترك فيها جُنداً وغادرها(١).

لكن حاكم نجران عجز عن اقتحام أسوار الحائر وتحصيناتها مما اضطره إلى طلب الصُّلح من أهلها وتمَّ ذلك، ثمَّ غادرها إلى ضرما التي كانت مُستعدة بحصونها وأبراجها، ودارت أثناء الهجوم عليها معركة ضارية صمد فيها أهل ضرما، وانتصروا على الأعداء، واضطروهم إلى التشتت والتفرُّق، بعد أن أُصيبَ منهم جمعٌ غفير بالقتل والجراح.

وكانت هذه هي النهاية التي نجمت عن قدوم هذه الجيوش من الجنوب الغربي للجزيرة العربيَّة باتجاه الدِّرْعيّة، ولقد صاحب هذه النهاية مرض حاكم نجران الذي أدى إلى وفاته عندما رجع إلى بلاده(٢).

وفي النِّهاية حدثت فترة ركود في العلاقات بين الدِّرْعيّة وحاكم نجران، فأمر الإمام سعود بن عبد العزيز القائد عبد الوهاب بن عامر بن أبي نقطة بالمسير إلى نجران، وبناء

---

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص ١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

حصن بالقُرب منها، ليكون درعاً واقياً وبُرجاً لمُراقبة اعتداءات نجران، وكان ذلك في أحداث عام (١٢٢٠هـ) .ثمّ ما لبِثت بلادُ نجران أنْ استسلمتْ بعد ذلك، وانطوت تحت ظل حكم الدَّولة السُّعودية الأولى.

وبهذا أصبحت نجران جزءاً من الدَّولة السُّعودية الأولى و حاميةً لها من الطرف الجنوبي للجزيرة العربيَّة.

٤- مُعارضة الأشراف في مكَّة والمدينة المُكرَّمتين:

أسبابُ تحرُّك السُّعوديينَ إلى الحجاز:

في تلك الفترة نشأت عواملُ مُعينة كان لها الأثر في تشجيع السُّعوديينَ ومن معهم على الاتجاه بفيالقهم العسكريَّة، ومِنْ قَبْلِهَا دُعاتهم إلى الحِجاز.

ومن أبرز تلك العوامل والظُّروف: أنَّها منطقة ذاتُ مكانةٍ دينيةٍ عند أهل مكَّة المُكرمة، وأهل نجد خاصَّة، وعند بقية المُسلمين عامَّة، ففيها الحرمُ المكي، وهو قِبلة المُسلمين التي يتجهون إليها خمسَ مراتٍ في اليوم.

كما أنها المكان الذي يقصده المُسلمون كل عام لأداء فريضة الحج، علاوةً على وجود المسجد النبوي في المدينة المُنورة، وفيه قبر

الرَّسول مُحمَّد ﷺ، وبالنظرِ إلى المكانةِ الجغرافية فيُعتبر الحِجاز مَنفذاً غربياً لنجد، وهو بديلٌ للمنفذِ الشرقي في الأحساء.

إضافة لكلّ ما سبق، فإنَّ حُكام الحِجاز قاموا بما شجع حُكام الدَّولة السُّعودية الأولى على التحرك إليهم، وهو منعهم الحجاج السُّعوديينَ من أداء فريضة الحج مرات مُتعددة، وعلى مدى سنوات مُتعاقبة.

أوضاع الحجاز قبل الصدامات بين الأشراف والسُّعوديينَ:

كان سكان الحِجاز آنذاك ينتمون إلى قبائل عربية كثيرة من أشهرها: جُهينة، وحرب، وبنو سليم، وبلي، وثقيف[1]، وكان الحِجاز تحت نفوذ العثمانيين، لكنَّ حُكَّامه المحليين همُ الأشراف.

في بداية الأمر، وبعد توسُّع الدَّولة السُّعودية الأولى، وإخضاع شرقي الجزيرة لسُلطانها، توجه نظرُهم إلى غربي نجد وفي هذه الفترة لم تنشأ أي صدامات حربية بين حُكام الدِّرْعيّة وحكام الحِجاز، بل على العكس تماماً، فقد تناقل المؤرخون: إنّ الدَّولة السُّعودية الأولى أقامت مع حُكام مكَّة المُكرمة علاقات ودية.

وفي ذلك الوقت كانت تجري مُراسلاتٌ وتبادلُ هدايا مع شريف مكَّة المُكرمة، وكان الأشراف يسمحون أحياناً بالحجِّ لبعض

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة على الدَّولة السُّعودية حتى عام ١٢٣٣هـ، أحمد بن صالح الدهش، ص١١٤، ١١٥.

السُّعوديينَ. وعندما أصبح الشَّريف سرور بن مساعد حاكماً لمكَّة المُكرمة عام (١١٨٦هـ)، أهدى إليه الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد إبلاً وخيلاً، وأذِنَ الشريف للمُسلمين في نجد أداء فريضة الحج، فأذِنَ بذلك فحجَّ في تلك السنة منهم نحو ٣٠٠ ثلاثمئة رجل(١).

وعلى إثرِ وفاة الشَّريف سرور بن مساعد، صار غالب بن مساعد شريفاً لمكَّة المُكرمة سنة (١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م)، واستطاع أنْ يُقيم علاقاتٍ سياسية ودية طيبة مع القبائل المُجاورة لمكَّة المُكرمة، وقام بالغزوات مُعتمداً على هذه القبائل ضد الدولة السُّعودية الأولى.

الصِّدامات بين الأشراف والسُّعوديينَ:

وفي عام (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، وبعد أنْ أظهر الشَّريف غالب(٢) العداء للدَّولة السُّعودية الأولى أعَدَّ حملةً على نجد من قوة تتألف من عشرة آلاف مُحارب وعشرين مدفعاً تحت قيادة أخيه الشَّريف عبد العزيز بن مساعد.

فجهز الشَّريف غالب قواته، وبذل المال لعددٍ من القبائل الموالية للدولة السعودية الأولى، مثل: قبيلة شمر، ومطير، وعتيبة، ثمّ انضم له أيضاً بعض الأتراك والمَغاربة والمصريين.

---

(١) روضة الأفكار والأفهام، حسين بن غنام، ج٢، ص١١٩.

(٢) هو الشَّريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد، حَكمَ مكَّة المُكرمة ما يُقارب ٢٦ عاماً، وكان عليها والياً من قبل السلطنة العُثمانيَّة (١٢٠٢-١٢٢٨هـ) (١٧٨٨-١٨١٣م).

وبعد تلك التجهيزات سارت قوات الأشراف بقيادة الشَّريف عبدالعزيز بن مساعد مُتجهةً إلى بلاد نجد، وعسكروا عند قصر بسام في منطقة السر، وحاصروا كلَّ من كان فيها من الجيش السُّعودي، وبعد إقامتهم في بلدة السر قرابةَ أربعةِ أشهرٍ وهجومهم -خلال المدة- مرتين على القصر تسرَّب المللُ إلى قواته، وتفرقت عنه جُموع القبائل المُساندة له.



* قصر بسام في بلدة السر قُرب الدوادمي[١].

(١) انظر الموقع: https: //twitter.com/kssm1388/status/625857895523966976?lang=ar

وهنا استحث الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود جميع الديار والبُلدان المؤيدة للدَّولة السُّعودية الأولى، وأمر ابنه الأمير سعود بقيادة الجيش الذي عسكر في موطن يُسمى: "رمحين" كما أنه أوكلَ إلى بعضِ القيادات المُساندة له مهمةَ الهجوم على بعض القبائل المؤيدة للشريف غالب، و قاد الأميرُ سعود بنفسه حملة على أعراب مطير[١].

وفي صيف (١٢٠٦هـ/١٧٩١م) ألحق الأمير سعود بن عبد العزيز هزيمةً ماحقةً بِحُلفاء الشَّريف غالب في منطقة جبل شمر بعد أنْ شاركوا في حملاته، وفرَّوا تاركين خلفهم غنائم وفيرةً جداً تُقدَّر بحوالي مئة ألف (١٠٠٠٠٠) من الغنم والماعز وبضعة آلاف من الإبل.

(١) روضة الأفكار والأفهام، حسين بن غنام، ج٢، ص١٤٨، ١٤٩.



* جبل شمر في حائل[١].

وبدأت القوات السُّعودية بالهجوم على المناطق الواقعة بين نجد والحِجاز، وعلى الواحاتِ والقبائل الخاضعة لشريف مكَّة المُكرمة.

ففي عام (١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م) حاصر الأمير سعود بن عبد العزيز بلدة تُرَبة التي كانت مركزاً استراتيجياً مهماً على مشارف الحِجاز.

وفي صيف العام نفسه، وردّاً على هجوم السُّعوديينَ، قام الحِجازيون بحملةٍ عسكرية على نجد.

(١) انظر الموقع: https: //ar.wikipedia.org/wiki

وتشجع الشَّريف غالب بنجاحِ هذه الحملة، فجهز في شتاء (١٢١٠-١٢١١هـ) قوات كبيرة جديدة مُزودة بالمدافعِ للقيام بحملة في أعماق الجزيرة العربيَّة.

وقد أُبيدت هذه الحملة عن بَكرة أبيها على يد القوات الموحدة التابعة للدّرعيَّة والمكونة من قبائل: مطير وسبيع والسهول والدواسر والعجمان وبعض من قبائل عتيبة. ويؤكد ابن غنام أنّ الغنائم بلغت(٣٠٠٠٠) ثلاثين ألفاً من الإبل و(٢٠٠٠٠٠) مئتي ألف من الغنم والماعز.

وقد أرغمت هذه الهزيمة الماحقة الشَّريف غالب على توقيع الصُّلح، وكان من الواضح أنَّ السُّعوديينَ قد تقدموا وتفوقوا في القوات، لأنهم واصلوا تقدمهم نحو الجنوب، حتى وصلوا إلى نجران والحدود الشمالية لليمن.

كانت قبيلة عتيبة الخاضعة في السابق لأشراف مكَّة قد انضمت إلى قوات الدَّولة السُّعودية الأولى في عام (١٢١٢هـ/١٧٩٧م) .

وفي عام (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) حاولَ الشَّريف غالب الذي ضمت قواته جنوداً من الأتراك والمصريين والمغاربة أنْ يتقدَّم مِراراً نحو الخرمة وبيشة، ولكنه دُحر وأُصيب بالهزيمة.

وسيطر إمام الدَّولة السُّعودية الأولى على بيشة، وأقدم شريف مكَّة المُكرمة من جديد على الصُّلح، وسمح للسعوديين بالحج.

وبعد عامين – كما يقول ابن بشر- أدَّى الأمير سعود بن عبد العزيز، وعائلته، وبعض قواته، فريضةَ الحج لأول مرة[١].

وفي السنة التي تلتها أدَّى الحج للمرة الثَّانية، وفي هذا الوقت قرر عثمان بن عبد الرحمن المضايفي- قائد الشَّريف غالب وهو من أقربائه- الانفصال عن الشَّريف والانضمام إلى قوات الدَّولة السُّعودية الأولى، وقد اجتمع حول عثمان كثيرٌ من القبائل والموالين للدَّولة السُّعودية الأولى فاستطاع أنْ يُهاجم بهم الطائف، وصدر على إثر ذلك أمرُ الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد القاضي بتعيين عثمان أميراً على الطائف، ثمَّ على الحِجاز[٢].

ثمَّ توالت الأحداث بعد ذلك، واجتمع مع الأمير سعود بن عبد العزيز، وتحت إمرته، جيشٌ عزمَ على المسير به إلى مكَّة المُكرمة لدخولها، فوصل الجيش في الثامن من محرم سنة (١٢١٨هـ/١٨٠٣م)، وبعد أنْ تخلى عن الشَّريف غالب من استعان بهم، وخاصة من حُجاج الشَّام، ومصر، والمغرب، وسلطان مسقط، ألقى الله الرعب في قلبهِ فغادر مكَّة إلى جدة، وتحصَّن بها، وأتاح الفرصةَ لدخول الإمام سعود بن عبد العزيز لها، بعد مُكاتبةٍ درات بينه وبين شريفها الجديد عبد المُعين بن مساعد، فاشترط

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص ٢٥٥.

(٢) تاريخ مكَّة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، نادي مكَّة الثقافي، مكَّة المكرمة، دون تاريخ نشر، ص ٤٩٥.

فيها الشَّريف عبد المُعين لدخول الإمام سعود أن يبقى أميراً عليها من قبل الدَّولة السُّعودية الأولى، وكان ذلك.

وبعد أن تمَّ له إحكام الأمور بمكَّة أراد مُواصلةَ طريقه، إلى أن يدخل الحِجاز ويُخضِعها له، فاتجه إلى جدة حيث يُقيم فيها الشَّريف غالب، لكنَّ مناعةَ أسوارها غيَّرت رأي الإمام سعود بن عبد العزيز، فرجَع إلى عاصمته الدِّرْعيّة بعد أنْ ترك مكَّة وما حولها بيد أمرائها المحليين الخاضعين لنفوذ الدَّولة السُّعودية الأولى[١].

ولكن بمُجرد أنْ عَلِمَ الشَّريف غالب بعودة جيش الإمام سعود ابن عبد العزيز من مكَّة المُكرمة إلى نجد، خرجَ في جيشه، وعسكر خارج مكَّة، ثمَّ نزل في وادي فاطمة، وتوجه إلى الزَّاهر، حيث دخل مكَّة المكرمة دون مُعارضة أخيه[٢].

في هذه الأثناء وصلت أخبارُ استردادِ مكَّة المكرمة على يد الشَّريف إلى مسامع الإمام سعود بن عبد العزيز، حيث كان في وقتها هو الحاكم السُّعودي بعد وفاة والده عبد العزيز بن مُحمَّد، فأصدر أمره فوراً ببناء قلعة في وادي فاطمة، لتكون برجَ مراقبةٍ للعدو وسبرَ غور تحركاته، وكان ذلك في شهر محرم سنة (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م).

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص ١٢٩.
(٢) تاريخ مكَّة، أحمد السباعي، ص٤٩٩.

وقد استمرَّ الضَّغطُ على الشَّريف غالب حتى أدركَ الشَّريف بأنه لا قِبلَ له بمقاومةِ الدَّولة السُّعودية الأولى والوقوف في وجههم، وفي النِّهاية توصَّل إلى طلب الصُّلح مع السُّعوديينَ، وتمَّ توقيعه بين الجانبين، وبقيَ الشَّريف غالب أميراً تابعاً للدَّولة السُّعودية الأولى.

ومن المُمكن اعتبارُ تاريخَ دخولِ الحِجاز دخولاً نهائياً ضمن نطاق الحكم السُّعودي هو عام (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)، وهو العام الذي تمَّ فيه السيطرة على المدينة المُنورة[١] وحُكمها بشكل فعلي.

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٣٠.

خامساً: المُعارضة السياسيَّة الخارجية للدَّولة السُّعودية الأولى:

تمثلت المُعارضة السياسيَّة الخارجية للدَّولة السُّعودية بما يلي:

١- الخلاف مع العُثمانيين في العراق[١]:

في مطلع القرن الثَّالث عشر الهجري بدأ التَّطلع السُّعودي إلى الشَّمالِ الشَّرقي من الجزيرةِ العربيَّة . وبعد أنْ اتضحَ للدَّولة العُثمانيَّة مدى قوةِ السُّعوديينَ بعد ضمِّهم لجبل شمر سنة (١٢٠١هـ/١٧٨٧م) وتهديدهم ولاية الشَّام، وبعد ضمّهم الأحساء سنة (١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م) وتهديدهم العراق، وانتصارهم على شريف مكَّة سنة (١٢١٠هـ/١٧٩٥م) بدأت الدَّولة العُثمانيَّة عملياً بالتَّحركِ العسكري ضدَّ الدَّولة السُّعودية الأولى بعد أن أدركتْ مدى إمكانياتها، فسعت للحدِّ من خطرها قبل أنْ يتسع نطاقها، وكلفت والي بغداد سُليمان باشا[٢] بهذه المُهمة بُحكم تهديد السُّعوديينَ المُباشر لأراضيه .

---

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٣٤ وما بعدها.

(٢) سليمان باشا تولى ولاية بغداد لمدة تزيد عن ٢٣ سنة، من سنة(١١٩٤هـ/١٧٨٠م)، حتى توفي عن عمر يناهز الثمانين عاماً سنة(١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م) . دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، رسول كركوكلي، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ نشر، ص٢١٨.

وفي البداية كان الأمرُ بعض المُناوشات التي كانت بمثابةِ مُقدمةٍ للحملةِ السُّعودية على العراق. ولعل من أبرزها:

الوقعة المعروفة بجضعة، التي كان سببها الاتفاق الذي تمَّ بين رؤساء المهاشير(١)، وآل صبيح، وعبد المحسن بن سرداح، وآل عبيد الله، ودويحس بن عريعر، حيث اتفقوا جميعاً على عداوة سعدون زعيم قبيلة بني خالد وحربه، وقد استنجدوا بثويني بن عبد الله شيخ قبيلة المُنتفق الذي ساندهم، وكانت نهاية هذه الجولة هزيمة سعدون الذي التجأ إلى الدِّرْعيّة ولاذ بالإمام عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود، الذي كانت بينه وبين ثويني بن عبد الله هدنةً ومُصالحة، وهذا الذي أثار الضغينة والحقد لدى ثويني، وهيَّأ جواً مُعتِماً سادت فيه العلاقات بينه وبين الإمام عبد العزيز وكان عاملاً من عواملِ الزحف العراقي، بقيادة الثويني، على بلادِ الدَّولة السُّعودية الأولى، وغزوه للقصيم عام(١٢٠١هـ/١٧٨٧م).

وقد كان الهدف الرئيسُ من هذا الهجوم، هو الوصول إلى الدِّرْعيّة عاصمة السُّعوديينَ، حيث سارت هذه الحملةُ بتوجيهاتٍ وأوامر عُليا من سلطنة الدَّولة العُثمانيَّة، حتى وصلت إلى التنومة(٢)، فدخلها غدراً بعد أنْ أعطى الأمان لأهلها وقتل منهم – على حد قول ابن بشر- مائة وسبعين (١٧٠) شخصاً ولم يَنجُ منها إلا من هرب.

(١) فرقة من قبيلة بني خالد أمراؤهم آل كليب.

(٢) التنومة: تقع في شمال محافظة الأسياح بالقصيم.

بعد ذلك استمر زحف ثويني إلى مدينة بريدة فحاصرها، لكنَّ الحصار لم يطُل كثيراً، إذ اضطر ثويني للرجوع إلى بلادهِ بعد سماعه لأخبارٍ مفادها: أنَّ سليمان باشا والي بغداد عيَّنَ حمود بن ثامر[١] أميراً على بادية المُنتفق.

حملة الأمير سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد على العراق سنة (١٢٠٣هـ):

تُعدُّ هذه الحملة في عام (١٢٠٣هـ) أولَ حملةٍ توجهت من داخل الجزيرةِ العربيَّة في عهد الدَّولة السُّعودية إلى العراق.

وقد اتجه الأمير سعود بن عبد العزيز فيها – قائداً لهذه الحملة – من قبل والده الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد حيث كان له لقاءٌ مع ثويني في الصُّمان ومع جمعٍ من قبائل المُنتفق في الروضتين بين (سفوان و المطلاع)[٢] فاستطاع في نهاية هذه اللقاءات بذكائه وحنكته العسكريَّة والسياسيَّة أنْ يُحرزَ الانتصار عليهم، وأن يستولي على مُعسكرهم[٣]. ومن دون شك فإن هذه التحركات كانت مَدعاةً لقلقِ السُّلطات العراقية الموالية للدَّولة العُثمانيَّة.

---

(١) حمود بن ثامر: ابن أخ ثويني لأمه، وهو من فرسان العرب، وله وقائع مشهورة بينه وبين عمه ثويني، انتهت بهزيمة ثويني.

(٢) سفوان، أو صفوان: حلقة وصل بين العراق والكويت.
المطلاع: سلسلة من المرتفعات غرب الكويت.

(٣) عنوان المجد تاريخ نجد، ج١، ص١٦٧، ١٦٨.

٢- حملة ثويني عام (١٢١١هـ/١٧٩٦م) (وقعة سحبه)[١]:

كانت الحملة في ذلك الحين مُوجهة ضد الدَّولة السُّعودية الأولى، وكانت الدِّرْعيّة مركز الدَّولة حينئذ. وكان ثويني قد نزل في البصرة عند المُنتفق، حيث استنفر القوات المُحاربة، فاجتمع معه جيش كبيرٌ مُكون من المُنتفق، وأهل الزبير، والبصرة ونواحيها، والظفير، وبني خالد ما عدا المهاشير.

اجتمعت القوات في الجهراء[٢] وأقامت فيها حوالي ثلاثة أشهر استعداداً للقيام بالحملة ولتأمين المؤن والمُعدات[٣].

وبالمُقابل كان استعداد القوات السُّعودية مُعتمِداً على حشد الجموع من قبائل البلاد، مثل: الخرج، والفرع، والوشم، وسدير، ومن قبائل مطير، وسبيع، والعجمان.

أ- مسير الحملة:

بدأت تحركات جُموع ثويني من الجهراء، واتجهت صوب الأحساء، ونزلت في الطفِّ، ثمَّ انتقل ثويني منها، ونزل عند ماء الشباك المعروف[٤].

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٤٦.

(٢) الجهراء: مدينة كويتية الآن.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٢٢٥.

(٤) الشباك أو الشبك: ماء على بعد ٨ أميال (حوالي ١٢٨٧٢متر) في الجنوب الشرقي من بلدة=

وقد كانت القوات السُّعودية إذ ذاك قد نزحت عن هذهِ المناطق وفق خطة حربيَّة ذكيَّة، قد استعملها قائد الجيش الأمير سعود بن عبد العزيز، حيث أمر قائده حسن بن مشاري بأنْ يجمع الجيوش في مكانٍ واحد على ماء أم ربيعة.

=الحصانة التابعة لمنطقة الردائف، وهذه إقليم في شمال الحسا، ويحده من الشمال منطقة السُّوْدَة، ومن الجوانب الأخرى بوادي المياه في الغرب بين جبل النعيرية، وجبل الحسا (شرق المملكة العربية السعودية) انظر: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، اصدارات دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٠م، ص ٦٧، ٧٤٩؛ دليل الخليج، ج.ج. لويرمر، القسم الجغرافي، مطابع علي بن علي، الدوحة، ص٢٧٦٧.

ب- مقتل ثويني بن عبد الله سنة(١٢١٢هـ):

عندما حطت جيوش ثويني في الشباك، وبينما كان قومه ينصبون خيامهم، هجم على ثويني شخصٌ يُدعى طُعيساً وقتله، ففزع النَّاس وقتلوه، وكان ذلك في الرَّابع من شهر محرّم عام (١٢١٢هـ/١٧٩٨م).

وبعد مقتل ثويني، وبعد انضمام برَّاك إلى الجيش السُّعودي، حدث خلل في جيش ثويني، وتفرَّق جمعه، وطاردتهم القوات السُّعودية حتى حدود الكويت، حتى غنِمت منهم جميع المدافع، ووضِعت في الدِّرْعيّة، ثمَّ تفرقت تلك الجموع البرَّية والبحرية[1].

٣- حملة علي كيخيا سنة(١٢١٣هـ):

وبعد فشل حملة ثويني، وانتصار جيش الأمير سعود بن عبد العزيز عليها، أحسَّت الدَّولة العُثمانيَّة بالخطرِ المُحدق الذي يُهدِّدها، أما السُّلطان العثماني فقد ازداد غيظاً وتيقَّن بأنَّ لقب حامي الحرمين الشَّريفين سيُسلب منه، وسيذهب لصالح إمام الدَّولة السُّعودية الذي أوشك أنْ يضم مكَّة والمدينة المُشرفتين إليه.

أما والي العراق سليمان باشا فقد شعر بالخطرِ الذي بدأ يُداهم بلاده، مما جعله يستجيب للأوامر المُشددة التي وجِهت إليه من الباب العالي، والتي تأمر بإعداد حملةٍ قوية ضد الخطر السُّعودي.

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج٦، ص١٢٣.

ولقد ازداد انزعاج الدَّولة العُثمانيَّة من قوة الدِّرْعيّة هذه عندما شرع الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد يُهاجم العراق في نقاط مُختلفة.

وهنا تغيَّر موقف والي بغداد بعد هذه الأوامر، فقد كان يعتذر كثيراً ويُعلل عدم التنفيذ بقوله: "إنَّ الطريق من بغداد إلى الدِّرْعيّة مُجدب وصحراوي خالٍ من الماء مما يُساعد السُّعوديينَ على الانتصار على جيوش الدَّولة العُثمانيَّة، التي تختلف عملياتها الحربيَّة عن أساليب السُّعوديينَ في الحرب"(١).

كانت تلك إشارة إلى الظروف العامة التي ساهمت في تنشيط الاستعداد للحملة التي أُسندت قيادتها إلى علي كيخيا(٢).

قوات الحملة:

وقد اجتمعت معه قوات كثيرة من جنود العراق والأكراد، سار معهم من البوادي عُربانُ المُنتفق، ورئيسهم حمود بن ثامر، وعُربان آل بعيج، والزقاريط، وآل قشعم، وجميع بوادي العراق،

---

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٥٢، بتصرف.

(٢) كان علي كيخيا عبداً رقيقاً من جورجيا، ويصفه لوريمر بالجهل في الأمور العسكريَّة، كما أنَّ مُعاملته لزعماء القبائل البدوية كانت سيئة، مما حدا بالكثيرين أنْ يتوقعوا فشل حملته. دليل الخليج، إعداد وترجمة قسم الترجمة بمكتب سمو أمير دولة قطر، ج٣، الدوحة، ص١٥٨١.

وعُربان شمر، والظفير، وأهل الزبير وما يليهم وجموعٌ كثيرةٌ مما وراء العراق[١].

وقد اتجهت خيول الحملة إلى الأحساء، كما كانت وجهة حملة ثويني من قبل.

وبعد وصول المُؤن عن طريق البحر، أخذ منها الجنودُ أرزاقاً تكفيهم وتمدُّهم لشهرٍ، فحملوها على ظهورِ الإبل وساروا بها مُتجهين إلى الأحساء، وفي طريقهم استراحوا في قرية نَطاع من قُرى الأحساء، وأقاموا فيها عشرة أيام[٢].

وصول الحملة إلى حصنيّ المبرز والهفوف:

وصلت الحملة إلى حصنيّ الدَّولة السُّعودية في الأحساء وهما: حصن المبرز، وحصن الهفوف المعروف بقصر إبراهيم.

وقد استمرَّ حصار حصن المبرز فترة زمنية امتدت من ٧ رمضان إلى ٧ من شهر ذي القعدة من عام(١٢١٣هـ/١٧٩٩م).

فكانت القيادة السُّعودية فيه لسُليمان بن مُحمَّد بن ماجد – من أهالي ثادق - الذي أبلى فيه بلاءً حسناً مع جُندهِ في الدِّفاع عن الحصن، ولم يرضخ لرغبة الأعداء الذين شدَّدوا في مُحاولة

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٢٥١.

(٢) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٥٥.

إسقاطه مع جيشهِ، كما حاولوا إفناء الحصن نهائياً ونجحوا في هدم غالبهِ، فكانوا كلما هدموا جزءاً أو أحدثوا فيه خللاً أصلحه المُحاصَرون من الداخل، رغم أنّ الحصن لا يحوي إلا عدداً قليلاً من الجُند لا يكاد يتجاوز المائة، وأكثرهم من بلدان نجد[١].

وصمد حصنُ الهفوف كما صمدَ حصنُ المبرز، مما أصاب الكيخيا بخيبةِ أمل اضطرته لمُغادرةِ الأحساء بسبب صمود الحصنين، وقلة المؤن الغذائية للجيش الذي أتى برفقته، وموت كثير من الإبل التي كان يستعين بها الجُند للتنقل.

هزيمة قوات علي كيخيا:

وبعد هذه المواجهة الحافلة والأخذ والردّ، عادت حملة علي كيخيا مهزومةً أمام قوات السعوديين، وفي الطَّريق جنحوا إلى مكان خصيب رعت فيه دوابهم، ولم تمضِ مُدة طويلةٌ حتى جاءهم البشير بوصول بعض السُّفن إلى جزيرة العماير، وفيها بعض المؤن[٢].

كان الأمير سعود بن عبد العزيز قد وصل إلى الأحساء بعد رحيل الحملة، مما جعله يَسيرُ مُتجهاً إلى حيث اتجهت، وكان من ضمن جيش الأمير سعود جمعٌ من أهل اليمن والعارض وجبل شمر[٣].

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٢٥٢.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، ج٦، ص١٣٠.

(٣) المرجع السابق، ج٦، ص١٣١.

في ذلك الحين اتجهت قوات الأمير سعود إلى بلدة ثاج، حيث كان له لقاء مع قوات علي كيخيا، وظلَّ الجيشان يتواجهان ثلاثة أيام، وكانت نهاية هذا اللقاء عقدُ صُلح بين الطرفين.

وأخيراً عاد الأمير سعود بن عبد العزيز ماراً بالأحساء، حيث أقام فيها مُدة شهرين، قام بإصلاحها وترتيبها وإدارتها، ثمَّ رجع إلى عاصمته الدِّرْعيّة بعد أنْ عيَّن أميراً على الأحساء سليمان بن ماجد[١].

٤- عودةُ النِّزاع وانتقاض الصُّلح سنة(١٢١٤هـ):

لم يلبث هذا الصُّلح طويلاً، حيث نشبَ في عام(١٢١٤هـ) خلافٌ بين أناس من نجد، من أتباع الدَّولة السُّعودية، وبين قبيلة خُزاعل العدنانيَّة قُرب النَّجف.

فأدى ذلك إلى مَقتلِ ثلاثمائة شخص من أتباع الدَّولة السُّعودية، وهذا أدى إلى احتجاج الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد لدى باشا بغداد وطلبه ديات القتلى، وقد حاول والي بغداد إصلاح الوضع عن طريق مبعوث من قِبله، وهو عبد العزيز بن عبد الله الشاوي، الذي عاد إلى بغداد يحمل رد الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد، الذي مضمونه: أنه لنْ يقبل بصلحٍ حتى يملك بلاد غرب الفرات من عانة إلى البصرة.

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٢٥٥.

ومن هنا كان انتقاض الصُّلح، وعودة المعارك والخلافات الحربيَّة بين الجانبين[١].

٥- الحملة على كَرْبَلاء سنة(١٢١٦هـ):

ومن أشهر الحملات السُّعودية على العراق الحملة على كَرْبَلاء، وذلك لسببين، هما: تعرض أتباع الدولة السعودية الأولى في العراق للقمع. و الاعتداء على بعض القوافل التجارية المارة بالعراق[٢].

بدأت هذه الحملة في(١٨) من شهر ذي القعدة عام(١٢١٦هـ) ،. الموافق(٢٠)أبريل من عام(١٨٠١م) وكانت قوات الحملة مُكونة من حاضرة نجد وباديتها وأهل الجنوب والحِجاز وتهامة.

دخل الأمير سعود بن عبد العزيز العراق، وناوش عربان المُنتفق والظفير، إلى أنْ وصلوا بوابة المدينة وبدأوا بُمهاجمتهِ، ثمَّ تسلق رجال القوات السُّعودية سور المدينة قبل فجر يوم (١٨) الثامن عشر من ذي القعدة عام (١٢١٦هـ).

كان أسلوب الحملة السُّعودية أسلوباً مُفاجئاً ومَدروساً بعناية، فلقد باغتوا المدينة دون سابق إنذار ودخلوها عنوةً وقتلوا غالبَ أهلها، وقد ذكر بعضهم أنّ عدد القتلى في الهجوم هذا كان قريباً

---

(١) لدَّولة السُّعودية الأولى، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثَّانية، دار نافع للطباعة، ١٩٧٥م، ص٢٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٨.

من (٥٠٠) خمسمائة، لكن اختلف في تقدير مجموع القتلى، فبعضهم ذكر أن المجموع بلغ (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف قتيل، وقيل أكثر من (٥٠٠٠) خمسة آلاف قتيل، بينما يذكر ابن بشر أنَّ قتلى المدينة قرابة (٢٠٠٠) الألفين.

وبعد هذا الهجوم المُباغت والكاسح ارتحل الأمير سعود بن عبد العزيز من كَرْبَلاء مُتوجهاً إلى الماء المعروف بالأبيض، فوزَّع هناك الغنائم[١].

وقد أثارت هذه الحملة حفيظةَ ونِقمة الدَّولة العُثمانيَّة عليها، مما جعلها تُرسل أوامرها مُشددة إلى والي بغداد من أجل أنْ يوقف الحملات السُّعودية المُكثفة على بلادِ العراق ويقف في وجهها ويُجابهها.

ثمَّ توالت الحملات السُّعودية على أطراف العراق حتى أصبحت شبه عرف سنوي موسمي يتوقعه الأهالي كل عام، وكان الهدف منها إظهار القوة السُّعودية وإنها على استعداد لمُواصلة الهجمات وإنها لن تقف موقف المُدافع.

مما جعل الدَّولة العُثمانيَّة تتأهب لصدها بأي وسيلة سواء أكان عن طريق العراق، أو عن طريق الشَّام، أو عن طريق مصر وواليها مُحمَّد علي باشا الذي استطاع التنفيذ بتسيير الحملات على الدَّولة السُّعودية الأولى[٢].

(١) الدَّولة السُّعودية الأولى، د. عبد الرحيم عبدالرحيم، ص٢٠٩.

(٢) تاريخ المملكة، العثيمين، ج١، ص١٥٤.

سادساً: الحملات السُّعودية على بلاد الشام (١٢٠١-١٢٠٨هـ):

في زمن توسع الدَّولة السُّعودية الأولى كان الوضع الأمني في بلاد الشَّام مُضطرباً، حيث نشأت النزاعات بين الجُند، وانتشر التشتُّت العام بين أفراد المُجتمع، كما كانت بلاد الشَّام وقتها تُعاني من القلاقل والفِتن، فتمادى رُعاع الناس في فجورهم نظراً لضعف حُكامهم، كما أنَّ التعصُّب الديني كان قد استشرى في البلاد لدرجة أنَّ صاحب كل دين يعتقد بجواز قتل من يُخالفه في دينه، كما دخل الأهالي في نزاعٍ مُستمرٍ مع الولاة، وهو الذي دفع بعض القبائل البدوية للانضمام إلى الراية السُّعودية، كما أنَّ مَجموعة من هذه العشائر وجدت في النظام السُّعودي القائم على مبادئ الشريعة الإسلامية أفضل مما كان عليه الوضع في بلاد الشَّام، فأرادت التخلُّص بهذه الموالاة من نظام الحكم القائم الفاسد التي عانت منه البلاد كثيراً[1]

وهنا شعرت بعض القبائل الشَّامية بتوفر الأمن تحت ظل الحكم السعودي الأول، وكمثالٍ على ذلك ما ذكره ابن بشر في معرض حديثه عن الأمن في عهد الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد، وأن المُسافرين لا يعترضهم

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ص٢١٨.

مُعترض مهما غلا ما يحملون فيقول: "أخبرني أنه ظهر مع عُمال حلب الشَّام قاصدين الدِّرْعيّة، وهم أهل ست نجايب مُحملات ريالات زكوات بوادي أهل الشَّام، فإذا جنهم الليل وأرادوا النوم نبذوا رواحلهم ودراهمهم يميناً وشمالاً، إلا ما يجعلونه وسائد تحت رؤوسهم"(١).

١-الحملة السُّعودية على دومة الجندل في الشمال سنة (١٢٠٨هـ):

في ظلِّ هذا التوسع وهذه الانتصارات بدأ التطلع السُّعودي على بلاد الشَّام يزداد، وأخذت فكرته تلقى قبولاً وانتشاراً بعد أنْ تمكن الجيش السُّعودي من السيطرة على الأحساء.

وحسب ما ذكر المؤرخون فإنَّ عام (١٢٠٨هـ)، شهد حملة سعودية أولى موجَّهة إلى دومة الجندل، وكانت بقيادة القائد السُّعودي مُحمَّد بن معيقل أمير الوشم، وانضم معهإضافة إلى قومه- أهلُ القصيم بزعامة مُحمَّد بن عبد الله آل حسن، وأهل جبل شمر بزعامة أميرهم مُحمَّد بن علي، فاجتمعوا ليتجهوا معاً إلى دومة الجندل في جوف آل عمر(٢) في بلاد الشمال، وقد دارت معركة بينها وبين الجيش السُّعودي استعمل فيها الجيش السُّعودي أسلوب المُباغتة، حيث كان يُقاتلهم على حين غرة،

---

(١) المصدر السابق، ص٢١٨.

(٢) آل عمر: هم عرب من بطون غزية كانت مساكنهم في الجوف، والجوف يُطلق على ثلاث قرى هي (دومة الجندل، سكاكا، القارة). عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ص٢٠٨ في الهامش.

إلى أنْ أذعنت تلك البلاد ما عدا (بني سرح)[١] فقد امتنع أهلها، وقد غنم السُّعوديون من هذه الحملة غنائم كثيرة، ومن هنا نرى أنَّ الدَّولة السُّعودية وجدت في هذه الحملة ركيزةً تَعتمد عليها في بلادِ الشَّام.

٢- الحملات السُّعودية على بلاد الشَّام (١٢١٢- ١٢٢٥هـ):

في عام(١٢١٢هـ)، أرسل الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد جيشاً كبيراً بقيادة حجيلان بن حمد أمير ناحية القصيم، وقد أغار حجيلان في هذه الحملة على عرب الشرارات، وهزمهم، وقتل منهم مائة وعشرين رجُلاً، واستولى الجيش السُّعودي على جميع مَحلَّاتهم، وأمتعتهم، وأخذ من إبلهم (٥٠٠٠) خمسة آلاف بعير، وأغناماً كثيرة[٢].

شكَّلت هذه الحملاتُ السُّعودية مُقدمات لتغييرِ موقف ولاة دمشق من الدَّولة السُّعودية فيما بعد، ففي عام(١٢٢١هـ)، وصل أمر الإمام سعود بن عبد العزيز إلى أمير الحج الشَّامي عبد الله العظم باشا في بلاد الشَّام بأنْ يعود من حيث أتى، ولا يَدخل مكَّة المُكرمة، فما كان من أمير الحج هذا إلا أنْ رجع دون مُقاومة، ولا مُمانعة ولم يؤدِّ الحج لهذا العام.

---

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٧٣.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٢٤٠.

وقد كتب الإمام سعود بن عبد العزيز إلى الدَّولة العُثمانيَّة رسالةً شرح فيها للسُّلطان سليم أمرين: الأول: دخولُ السُّلطات السُّعودية مكَّة المُكرمة والقيام بفتحها.

الثَّاني: طلب منع دخول المَحمل إلى مكَّة في مواسم الحج[١].

وقد قوبلت هذه السياسة التي نهجها الأمير سعود بن مُحمَّد بشأنِ المَحمل بسخطٍ كبير من الدَّولة العُثمانيَّة وخاصةً ضد أمير المَحمل عبد الله باشا العظم، الذي رجع بالمَحمل دون أنْ يحج.

فأصدر السُّلطان العُثماني فرماناً سُلطانياً يقضي بعزل عبد الله باشا العظم من منصبه بسببِ تقاعُسه عن مواجهة القوات السُّعودية، ورجوعه بهذا الخزي، فذلك أظهر أنَّ الحِجاز صارت بيد السُّعوديينَ، وليس للدَّولة العُثمانيَّة علاقة بها، أو حكم عليها.

وقد تولى الباشوية من بعد عبد الله باشا العظم، يوسف كنج، الذي صدرت الأوامر العُليا بتكليفه بتسيير الحملات العسكريَّة للقضاءِ على الدَّولة السُّعودية الأولى، لكن يوسف كنج عجز عن جمع قوةٍ لقِتالهم، وأظهر هزيمته وتخاذُله عن تنفيذ أوامر الدَّولة العُثمانيَّة، واكتفى بإرسال خِططه الحربيَّة إليها، حيث اقترح في

(١) تاريخ ملوك آل سعود، سعود بن هذلول، طبعة عام(١٣٨٠هـ/١٩٦١م)، ص١١.

ثنايا خِططه هذه تضافرت جهوده مع جهود مصر وبغداد لتحقيق رغبة السُّلطان(١).

ولقد دارت المُراسلات بين يوسف كنج، وبين مُحمَّد علي باشا بشأن اقتراح يوسف كنج توحيد الجهود بين الطرفين مع والي بغداد، وأن يكونوا يداً واحدة على الدِّرْعيّة، حيث يتفقون على موعد مُعين، وتخطيطٍ مسبق تُحيط به قواتهم بالدِّرْعيّة من جهاتها الثلاث، واقترح يوسف كنج أنْ يكون الموعد المُحدد قبل بداية موسم الحج.

كما نجد يوسف باشا في أثناء مُراسلاته، يرسم الخِطط التي يرى القيام بها كمُقدمات للحملة كالتَّجسس على القوات السُّعودية، ومعرفة مدى إمكانياتهم وقُدراتهم الحربيَّة على مقاومة جيوش العُثمانيين المُزمعُ إرسالها(٢).

دارت هذه المُراسلات في الوقت الذي كانت فيه الهجمات السُّعودية مُستمرةً على الشَّام، ويذكر ابن بشر حملةً كبيرةً قادها الأمير سعود بن عبد العزيز في شهر ربيع الثَّاني من عام(١٢٢٥هـ)،اتجهت إلى الشَّام لوصول خبر مفاده اجتماع أعدائه فيها، إلا أنه لما وصل لمْ يعثر على أحدٍ منهم، حيث أن

(١) من وثائق الدَّولة السُّعودية الأولى في عصر مُحمَّد علي، عبد الرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم، ج٢، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٣م، ص١٥.
(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٨١.

النذير سبقه إليهم فاجتمعوا على الشَّيخ دوخي بن صالح بن سمير، شيخ قبيلة ولد علي من عنزة، ونزلوا عين القهوة من جبال حوران، فلما سمعوا بمقدم الأمير سعود وجيشه، نزلوا الغور من حوران، فوصلها الأمير سعود، واجتاز قُرى المنطقة حول المزيريب، وبصرى الشَّام، وأخضعوها ثمَّ اتجه إلى عين البجّة فشرب جيشه، ثمَّ رجع إلى بلاده.

ولقد استغرق هذا الهجوم حوالي ثلاثة أيام، استطاع الأمير سعود بن عبد العزيز خلالها أنْ يجتاح خمساً وثلاثين قرية من أقاليم الشَّام، وكان بإمكان قواته أنْ تصل إلى مدينة دمشق إلا أنه لم يُرد ذلك.

وتُعتَبر هذه التحرُّكات السُّعودية في شمال الجزيرة العربيَّة وحدودِ بلاد الشَّام، نهاية في العلاقات السُّعودية مع ولاة الشَّام، حيث ثبت للدَّولة العُثمانيَّة عجزهم كما عجز أسلافهم ولاة العراق في الوقوف أمام الدولة السعودية الأولى، فوجهت نظرها إلى مصر، ووجدت أنه لا مناص من طلب العون من الوزير الذي شق طريقه إلى الولاية عن طريق الشعب الذي يحكمه، واستطاع إثبات وجوده أمام السُّلطان العثماني ذلك هو والي مصر مُحمَّد علي باشا.

فهرس الفصلُ الأول

حملةُ أحمد طوسون باشا على الدَّولة السُّعودية الأولى:

* أولاً: دواعي إرسال الحملة إلى الحِجازونجد.
* ثانياً: استعدادات حملة أحمد طوسون باشا على الدَّولة السُّعودية الأولى:

١- تجهيز الحملة في مصر بقيادة أحمد طوسون باشا.

٢- التجهيز العسكري.

٣- ضمانُ أمنِ الطَّريق البحري، والبري، لجيوشِ وعِتاد الحملة.

٤- التجهيزُ الاقتصادي.

٥- اتفاق والي مصر مع الشَّريف غالب على تأمين طُرق ومؤن الحملة.

* ثالثاً: طُرق حملة طوسون باشا إلى نجد والحِجاز:

١- مسيرُ حملةِ طوسون باشا إلى نجد والحِجاز.

٢- الطُّرق البحرية: (السويس يَنبُع - السويس العقبة).

٣- الحملة في مدينة يَنبُع.

٤- الطريق البري: (العقبة يَنبُع).

* رابعاً: مو اقف قبائل نجد والحِجاز من حَمْلَةُ طُوسُون بَاشا على الدَّولة السُّعودية الأولى.

الفصلُ الأول: حملةُ أحمد طوسون باشا على الدَّولة السُّعودية الأولى

أولاً: دواعي إرسال الحملة إلى الحِجازونجد:

يظهر من خلال الأسباب السّابقة أنَّ جَوَّ العلاقات السُّعودية مع العُثمانيين أصبح مُتوتراً، ومن هنا وجب على الدَّولة العُثمانيَّة التحرُّك السريع لتخليصِ الحِجاز من قبضة الحكم السُّعودي، ولاسترجاع السُّلطان العُثماني مكانته الدينية، حتى لا يهونَ أمره على رعاياه المُسلمين في أرجاء ولايته. وفعلاً بدأ تحرُّك السَّلطنة العُثمانيَّة بجديةٍ تامَّة، وخاصَّة بعد تغيير وجهة أوامرها بالتنفيذ من ولاة الشَّام والعراق إلى والي مصر.

ففي عام (١٨٠٦م) حصل مُحمَّد علي باشا من الأستانة على فرمانين شهانيين، أحدهما تضمَّن الاعترافُ بباشوية مصر لمُحمَّد علي باشا، مع إقراره في الولاية، وجعل نفوذها تحت سيطرته، والفرمان الثَّاني ينص على أمر تسيير محمل الحج المصري إلى مكَّة المُكرمة، وتصدير (٦٠٠٠) ستة آلاف أردب من القمح إلى جدة، وبعد أنْ هزم مُحمَّد علي باشا الحملةَ البريطانية على مصر سنة(١٨٠٧م)، وخلال الوقائع الأهلية التي وقعت في مصر خلال

الأعوام(١٨٠٧-١٨١١م) خاطب الباب العالي في الأستانة مُحمَّد علي ثلاث مرات، يدعوه فيها إلى الزَّحفِ للقضاء على التمدُّدِ السعودي في نجد والحِجاز.

أسبابُ اختيار والي مصر لتنفيذ الحملة ضد السُّعوديينَ:

وقد كان لاختيار السَّلطنة العُثمانيَّة والي مصر لتنفيذ الحملة العسكريَّة ضد السُّعوديينَ في الحِجاز ونجد عدة مبررات، هي[1]:

١- عجزُ وفشلُ حملات ولاة العراق والشَّام بالقضاءِ على الحكمِ السُّعودي الجديد، حيث أدرك العُثمانيون ضعف جيوش الشَّام والعراق، وعدم استطاعتهم الوقوف أمام قوة جيش الدَّولة السُّعودية وحاكمها.

٢- كون مُحمَّد علي باشا والياً على أكبر الولايات العُثمانيَّة، وهذا مَنصب مُهم؛ يجب على من يتولاه أنْ يتميز بقدرةٍ سياسيةٍ، وحربيةٍ جيدة، ودهاء، وحنكة، مُقابل الخصوم ليُحقق مَطلب إعجاب ورضى السُّلطان العُثماني عليه.

(١) الحملة المصرية في شبه الجزيرة العربيَّة (١٨١١-١٨١٨م، مقال منشور في مجلة دراسات الخليج، والجزيرة العربيَّة، العدد (٦) من السنة الثَّانية عام ١٣٩٦هـ، ص١٠٧.

تكليفُ محمد علي باشا بالمُهمة العسكرية:

ولذلك كانت المُهمة الرئيسة المُلقاة على عاتق مُحمَّد علي باشا من الباب العالي تتمثل في إعادة الاستيلاء على المدينتين المُقدستين: مكَّة والمدينة المُنورة، وإعادتهما إلى سلطة الدَّولة العُثمانيَّة.

وكان مُحمَّد علي باشا يعلم أنَّ عصيانه لهذه الأوامر يعني عزله من الحكم، ومن باب التَّرغيب فقد وعده الباب العالي بأنه إذا ما أقدم على القيام بتلك المُهمة، فستكون باشوية الشَّام لواحد من أبنائه، وضمنَ له أنْ يتمَّ ذلك عقب استيلائه على كلّ من: مكَّة المُكرمة والمدينة المُنورة(١).

ولذلك كان مُحمَّد علي باشا يتأملُ من وراء استعادة السيطرة على الحرمين الشَّريفين تقويةَ سُمعته عند السُّلطان العُثماني، وأن يكتسب بذلك شعبية كبيرة، وكانت خِططِ والي القاهرة تهدف إلى السيطرةِ على تجارة السّلع الهندية والبُنّ اليمني التي تمر عبر ميناء جدة(٢).

لكن مُحمَّد علي باشا تردد في بادئ الأمر واعتذر، بُغية تحقيق مآرب شخصية كان يطمح بالوصول إليها، فأخذَ يُفاوض العُثمانيين؛

---

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ترجمة صبري محمد حسن، ج٢، طبع المركز القومي للترجمة القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص١٢٩.

(٢) تاريخ العربيَّة السُّعودية، فاسيلييف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص١٨٦.

فتارةً يطلبُ منهم ضمَّ ولاية الشَّام لحكمهِ، وتارةً أخرى يطلب عزل والي الشَّام سليمان باشا[١] المُعارض له، وتعيين آخر أقرب إليهِ، وتارة يطلب من الدَّولة مُساعدة مالية وعسكرية لتجهيز حملته العسكريَّة على الدَّولة السُّعودية الأولى.

المُراسلات بين العثمانيين ومحمد علي باشا:

وتخللت الفترة من عام (١٢٢٢هـ/١٨٠٧م) إلى عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م) العديد من المُراسلات التي تحمل الإصرار على قتالِ الدَّولة السُّعودية الأولى.

وفي سنة (١٢٢٣هـ/١٨٠٨م) خرج الباشا (مُحمَّد علي) لوداع (بيانجي بيك) الذي أحضر الأمر من الأستانة بخروج العساكر العُثمانيَّة لبلاد الحِجاز وتخليص البلاد من حكم السعوديين.

لكن مُحمَّد علي باشا استمر في مُماطلته، فعمل ديواناً جمع فيه الدفتردار[٢] والمُعلم غالي والسيد عمر والمشايخ، وقال لهم: "لا يخفاكم أنّ الحرمين استولى عليها (السُّعوديون)، وقد وردت علينا الأوامر السُّلطانية المرة بعد المرة للخروج إليهم، ومُحاربتهم، وإجلائهم، وطردهم عن الحرمين الشَّريفين، ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التي كانت سبباً في التأخير عن المُبادرة في امتثالِ

(١) كان سليمان باشا والياً على الشَّام ومؤيداً لحكم المماليك ضد حكم مُحمَّد علي باشا على مصر، حيث كان يعمل على تشويه سُمعة والي مصر في بلاط السلطنة العُثمانيَّة.

(٢) المُشرف على الشؤون المالية.

الأوامر، والآن حصل الهدوء وحضر بيانجي باشا بالتأكيد، والحث على خروج العساكر وسفرهم، وقد حَسبنا المصاريف اللازمة في هذا الوقت، فبلغت أربعةً وعشرين ألف كيس فأعملوا رأيكم في تحصيلها"(١).

ولم تتوقف مُراسلات مُحمَّد علي باشا مع الدَّولة العُثمانيَّة بالأستانة عند هذا الحد، فقد تضمنت مَطالبه إرسالَ لوازم ستة أشهر للجيش، وهدايا وخِلَع لشيوخ وأعيان قبائل البدو لأنَّ هذهِ المواد لا تتوفر في مصر.

ومن خلال طلبات مُحمَّد علي باشا هذه، يتوضَّحُ لنا واحدةً من أبرز الخِطط التي كان ينتهجها؛ وهي استمالةُ شيوخ القبائل البدوية إلى جانبه، ضد حُكام الدَّولة السُّعودية الأولى، حيث كان للإغراء المادي دورٌ كبيرٌ في نجاحِ خطتهِ.

تدابير العثمانيين ومحمد علي باشا للحملة:

قامت الدَّولة العليا العُثمانيَّة باتخاذ عددٍ من الإجراءات الجدية التي تتمثل في تموين الحملة المرجوة على الدَّولة السُّعودية الأولى، حيث بدأت من مطلع عام (١٢٢٥هـ/١٨١٠م) تَحرص على إرسال بعض مَطالب والي مصر من المواد الحربيَّة (الأسلحة، والذخيرة، والخيام، والمؤن وغيرها) عن طريق البحر، حيث جهز مُحمَّد علي

---

(١) تاريخ الدَّولة العربيَّة السُّعودية، د. منير العجلاني، ج١، ص٩٥.

باشا (١٩٠٠٠) تسع عشرة ألف قُنبلة حربية، وعشرَ عربات مدفع من نوعيات مُختلفة[١] كان مدفع الهاون أبرزها.

لكن مُحمَّد علي باشا قام قبل أنْ يبدأ بالتنفيذ بخطوة استخباراتية مُهمة، فسعى لمَعرفة قوة أعدائه السُّعوديينَ من جيوش، وسلاح، وذخيرة، وخِطط عسكرية، ومُؤن، وإلى معرفة حقيقة نوايا الشَّريف غالب في مكَّة المُكرمة، ومدى استعداده للتعاون مع قائدِ الحملة وجيوشها، وكذلك أحصى ودَرس أحوال القبائل العربيَّة الحِجازية ومواقفها، فأرسل مَندوباً من عندهِ، وهو السيد أحمد المُلا إلى الحِجاز للقيام بهذه المُهمة، وقد وصل هذا المندوبُ إلى هدفه مُضمِراً نيته الحقيقية، ومُظهراً بأنَّ قصده أداء العُمرة، فاتصل بالشَّريف غالب في مكَّة المُكرمة، وأدرك بلقائهِ معه مدى استعداده للتعاون مع الدَّولة العُثمانيَّة، كما أدرك المندوب أنَّ الشَّريف غالب على حذرٍ شديد من أي تحرك للدَّولة السُّعودية، وأنه يُراقبهم ويتربص بهم الدَّوائر، وهذا ما جعل مُحمَّد علي باشا يتشجع على حربِ السُّعوديينَ[٢].

(١) من وثائق الدَّولة السُّعودية الأولى في عصر مُحمَّد علي، عبد الرحيم عبد الرحيم، ص٩٩، ١٠٠.

(٢) المراجع السابقة.

ثانياً: استعدادات حملة أحمد طوسون باشا على الدَّولة السُّعودية الأولى:

١- تجهيز الحملة في مصر بقيادة أحمد طوسون باشا:

في هذه الأثناء كان مُحمَّد علي باشا قد اتخذ جهة قلعة القبة[١] القريبة من القاهرة مُعسكراً للحملة ومنزلًا يتجهزون فيه، وكان قد عهدَ إلى ابنه الثَّاني أحمد طوسون باشا[٢] الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره بقيادة الحملة، وكان ذلك في شهر صفر(١٢٢٦هـ/ فبراير ١٨١١م). وقد أعدَّ لذلك مهرجاناً عسكرياً ضخماً بالقلعةِ، وحدّد يوم الجمعة للاحتفال بإلباس ابنه طوسون باشا خِلعة القيادة، ودعا رجال الدَّولة وأعيانها وكبار الموظفين العسكريين، والبكوات، والمماليك، لشهود ذلك الاحتفال

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣١، ١٣٢؛ ثورات حوران على حكم ابراهيم باشا (١٨٣١-١٨٤١)، رسالة ماجستير، إعداد علي يوسف البلخي ، جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ، ١٩٨٥م ،ص: ٢٥ وما يليها (رسالة غير منشورة).

(٢) كان طوسون باشا منْذُ صغره قد كشف عن دلائل شجاعته غير العادية في الحرب ضد المماليك، والشجاعة كانت في ذلك الوقت عملة نادرة، وأُرسل معه أحمد آغا وزير الخزانة؛ أو خازندار مُحمَّد علي باشا بصفته قائداً على نفس القدر من الشجاعة والدهاء، وكانت إنجازات أحمد آغا الدموية في الحروب التي جرت ضد المماليك وضد المصريين قد رفعت من مكانة هذا الرجل عند مُحمَّد علي باشا، فقد كان استهتار أحمد آغا بالحياة الإنسانية، واحتقاره للمبادئ الأخلاقية، وتعاليه وتفاخره، كل ذلك أكسبه لقب: بونابرت، الذي سرَّه وأسعده تماماً، بل إنه اشتُهر في سائر أنحاء مصر بذلك اللقب.

الفخم والمُهيب، وفيها قتل جميع المماليك[١]، وكان الترتيب أنْ يلبسَ طوسون باشا خِلعة القيادة، ثمَّ ينزل من القلعة في أُبهته، وموكبه مُخترِقاً أهم شوارعِ المدينة وصولاً إلى مُعسكر الحملة في القبة[٢].

ففي(٢)مارس(١٨١١م) نزل الموكبُ العسكري المُهيب من القلعةِ، مُتجهاً نحو المُعسكر الكائن خارج باب النصر، مُخترقاً المدينة، وكان فُرسان الدلالة[٣] يتقدمون الموكب، ويتبعهم عشرةُ مدافع منها مدفع هاون، ثمَّ يليهم فِرقة المُشاة التركية بأعدادها الكبيرة التي تصل إلى (١٠٠٠) ألف جندي وأكثر، فتسير دون نظام موحد، ويتبعها فرقة الإنكشارية، والتموينات.

---

(١) في نفس هذا اليوم غدر مُحمَّد علي باشا بقادة المماليك الذين حضروا الاحتفال في القلعة بعد أن أغلق بابها وحصرهم في ممر ضيق وقتلهم وتخلص منهم، لأنه كان يعتقد أنهم سيقومون ضد حكمه وكان عددهم أربعمئة، وبذلك انتهى عهد المماليك في مصر. انظر تفصيل هذه المذبحة في كتاب: عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٠٩-١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٨.

(٣) الدلالة: فرقة عسكرية من الخيالة تكون في طليعة الجَّيش المُقاتل وسميت بالدلالة، ومعناها الجنون، نظراً لشجاعة عناصرها في تنفيذ الأعمال القتالية الصعبة ضد الأعداء.



* الجنود المصرين يحيطون بالمماليك بريشة إميل هورانس فيرنت[١].

وكانت تسير أمام طوسون باشا الخيول المُطهمة[٢]، حيث يُمسك بأعنتها (رسانها) التتر، ويرافقه كيخاه[٣] ويتبعه من الخلف حرسه الخاص.

أمام هذه العظمة التنظيمية الهيكلية، كانت الفرقة العسكريَّة الموسيقية التي تُرافق الموكب تَعزف ألحاناً موسيقية صاخبة، وكان

(١) انظر الموقع: https: //ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) المُطهمة: هي الخيول بارعة الجمال والرشاقة، قوية الجسم المُدربة التدريب التام.

(٣) كيخاه: نائبه أو القائم بأعماله.

والي مصر مُحمَّد علي باشا، وحسن باشا يقفان في رواق[١] مسجد السُّلطان الغوري ليُشاهدا مرور الموكب، ثمّ ذهبا بعد مروره إلى منزل مُحمَّد المحروقي.

٢- التَّجهيز العسكري:

في أواخر عام (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م) بدأ مُحمَّد علي باشا استعداداته الجادّة، والحقيقية التي كان قد أزمع القيام بها، وكان أهمُّ مطلبٍ للرجُل يتمثلُ بوجودِ عددٍ كافٍ من السُفن، تكون تحت تصرفه، لينقل بها الجنود، والسلاح، والمؤن، والخيام إلى ميناء يَنبُع البحر في الحِجاز، ولذلك قرر بناء أسطول بحري من السُفن الحربيَّة لهذه المُهمة في البحر الأحمر، فجلب من الموانئ التركية إلى بولاق، الأخشاب، والحِبال، والمراسي التي يحتاجها بناء الأسطول، واستنفر العُمال اللازمين للقيام بذلك، ولما تمّ له تفصيلها، نقلها على ظهورِ الجمال إلى ساحل ميناء السويس، وقد كانت عمليةً طويلةً وشاقَّةً للغاية، فقد كان يتمّ تحميل الأجزاء الثقيلة من مُعدات السُفن على ظهرِ جملين أو أربعة جمال، وكان سائقها يسير بها على صف واحد، وكثيراً ما يموت بعض الجمال تحت أحمالها، فترى الطريق يغصُّ بِجُثث الجِمال الميتة، إلى أنْ استغرق تنفيذ هذا المشروع وأخذ منهم إنفاق حوالي عشرة آلاف جمل، والتي

(١) الرواق: الشُّرفة؛ وهي الكساء المُقدم على سقف الدار من أعلاها، وفي عمارة المساجد هو المجاز ويكون بين صفين من عمد، حيث يجلس الشَّيخ مع طلابه فيه.

كان الباشا يعمل على تعويضها بجمالٍ أخرى بشرائها من القبائل البدوية في مصر والشَّام، فقبيلة الحويطات، وبني صخر، وأولاد علي، كانوا يؤمِّنون لوالي مصر هذا النوع من الجمال، وخلال عام (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) ومع أوائل عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م) تمَّ بناء (٢٨) ثمان وعشرين سفينة حربية كبيرة وصغيرة في السويس، ووضعها في البحر الأحمر خلال (١٠) عشرة أشهر فقط، وقد صُممت بطريقة تستطيع معها نقل القوات والمؤن والعِتاد الحربي، وتمَّ في الوقت نفسه بناء مُستودعات كبيرة للقمح، والبسكويت، والتموينات الأخرى، والأعلاف في بلدة السويس.



* نموذج لإسطول مُحمَّد علي باشا البحري[١].

(١) انظر الموقع: https: //lite.islamstory.com/ar/artical/10824/

ولما كان من الصعوبةِ بمكان نقلِ أعداد كبيرة من الجنود في سُفن من هذا القبيل، عبرَ بحرٍ هائج مُتصاعد الأمواج، كان لا بُدَّ من نقلِ هؤلاء الخيَّالة بطريقِ البَر على سواحل البحر الأحمر. فعمد مُحمَّد علي باشا بإصلاح وترميم القِلاع والمحطات التي على الطريق بين القاهرة ويَنبُع وهي: قلعة عجرود، ونخل، والعقبة والمويلح، والوجه.

وقد رافق الحملة العديد من زوجات وأبناء وبنات قادة الجيش العثماني -المصري - إلى يَنبُع وكُنَّ في حماية تامة، وتمَّ إسكانهن في مدينة يَنبُع، وجدة، والمدينة المنورة، ببيوت فارهة تمّ تجهيزها من قبل حُلفائهم في المناطق المذكورة، وقد وفّرَ لهُنَّ مُستلزمات الحياة الكريمة من رغد العيش ونعيمه، وكنَّ يعشن حياتهن الطبيعية ويتبادلن الزيارات، ويحضرن مُناسبات الأفراح والأتراح والأحزان، ويستقبلن أزواجهن وأبناءهن عند عودتهم من ساحات المعارك بكلِ وقارٍ، وقد أدخلن إلى الحجاز بعض أزياء اللباس الخاص بالمرأة المصرية، والتي لم يكن المُجتمع الحجازي قد انتشرت به هذه الأزياء آنذاك.

٣- ضمان أمن الطريق البحري والبَري لجيوشِ وعِتاد الحملة:

ولما أصبح الأسطول الحربي جاهزاً للإبحار في ميناء السويس، ذهب مُحمَّد علي باشا بنفسه إلى السويس للتأكُد شخصياً من أنَّ الأسطول الذي يحمل المؤن الأساسية للحملة جاهز للإبحار إلى ميناء يَنبُع لنقلِ القواتِ العُثمانيَّة إليه.

وقد أصدر مُحمَّد علي باشا أثناء إقامته في ميناءِ السويس (١مارس /١٨١١م) أمراً سُلطانياً ينصُّ على احتجاز حمولة البُن الذي كانت تحمله سفينتان قادمتان من ميناءِ جدة، وبالفعل قد نُفِّذَ أمره.



* قلعة المويلح على البحر الأحمر[١].

(١) انظر الموقع: https: //alhtoon.com/271498/

وفي ١٧ فبراير عاد مُحمَّد علي باشا من ميناءِ السويس إلى القاهرة في ظرف وزمن قياسي تبلغ مدته (١٨) ثماني عشرة ساعة، بينما تحتاج القوافل إلى مُدة (٣) ثلاثة أيام لاجتياز تلك المسافة.

وفيها استقر له الرأي وبدأ يوجه جهوده المُخططة لتسيير الحملة العسكريَّة على الجزيرة العربيَّة لقتالِ السُّعوديينَ، ولضمان أمن الطريق البحري والبري لجيوشِ، وعتاد الحملة، تمَّ تجهيز المَحطات التي على طريق الحج من القاهرة إلى يَنبُع عن طريقِ ساحل البحر الأحمر، كما جرى أيضاً تقوية هذه القلاع ببناء أسوار جديدة لها، ووضع حاميات من الجنود المَغاربة في تلك القِلاع ممن يعرفون التعامل مع قبائل البدو. وجرى في الوقت نفسه إنشاء مخازن لجميع أنواع الحبوب من القمح والشعير والفول والسكر والأرز والبن و... في ميناء القصير[١].

٤- التَّجهيز الاقتصادي:

أخبَرَ مُحمَّد علي باشا الدَّولة العُثمانيَّة بضرورةِ تأمين لوازم جيشه العسكري من لباسٍ وأسلحةٍ، وذخيرةٍ، وخيامٍ ومواد طبية، ومؤن، فأبدت السّلطنة العُثمانيَّة في الأستانة استعدادها لتأمين هذه المُستلزمات، وسارعت على الفور بإرسالها إلى مصر، وفق الطلبات التالية[٢]:

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٠.

(٢) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص١٩٥.

أ- أكياس غلال ستة أشهر لـ (٤٢٠٠٠) اثنين وأربعين ألف إنسان وحيوان.

ب- كراء (استئجار أو شراء) جمال لحمل الغلال الباقية التي تُرسل عن طريق البحر، بعد إفراز (٥٠٠٠٠) خمسين ألف إردب[1]، لتُنقل بطريقِ البر من مجموع (٣٣٩٨٤٠) ثلاثمائة وتسعة وثلاثين ألف وثمانمائة وأربعين إردباً.

ت- كراء سفينة لأجل نقل (٢٨٩٨٠٠) مائتين وتسعة وثمانين ألف وثمانمائة إردب من الغلال تُرسل بطريق البحر إلى موانئ: جدة ويَنبُع ومويلح.

ث- أكياس غلال (مؤن من الحبوب) بمقدار (٥٠٠٠٠) خمسين ألف زوج لنقل الغلال بطريق البحر، و(٢٥٠٠٠) خمسة وعشرين ألف زوج لحملها بالجمال بطريق البر أيضاً.

ج- القِرب اللازمة لماء الشرب لـ (٤٢٠٠٠) اثنين وأربعين ألف إنسان وحيوان.

ح- (٥٠٠) خمسمائة شال كشميري (عباءات) لاستمالة العُربان إليه.

---

(١) الإردب: هو نوع من الموازين المُستخدمة في مصر والحجاز، فالذي في مصر يساوي مئة وعشرين أوقية، أما الذي في الحجاز فيتغير ما بين مئة، ومئة وعشرين أوقية. انظر المعجم الموسوعي للمُصطلحات العُثمانيَّة التَّاريخية، د. سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص: ٢٨.

خ- (٥٠٠) خمسمائة جنيه لنفس الغرض.

د- (١٥٠) مائة وخمسون ثوباً خفيفة مصنوعة من الجوخ، ومُسرجة ليلبسها مشايخ العربان (القبائل البدوية) والعُلماء والخطباء.

ذ- (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف خيمة مُختلفة.

ر- (١٠٠٠) ألف نعل لاستخدامها من قبل المُشاة المُرافقين للقائد العام.

كما حوَّل (العثمانيون) أحد مرافئ البحر الأحمر (مرفأ جدة) إلى قاعدة رئيسة لتموين الحملة، ووزعوا الهدايا على شيوخ القبائل البدوية[١].

٥- اتفاق والي مصر مع الشَّريف غالب على تأمين طُرق ومؤن الحملة:

ونلاحظ من خلال تتبع بعض الوثائق التَّاريخية وجود مُراسلات سرية دون علم السُّعوديينَ بين مُحمَّد علي باشا والشَّريف غالب بواسطة مندوبه مُحمَّد الملا مُترجم السيد مُحمَّد المحروقي[٢].

---

(١) تاريخ العربيَّة السُّعودية، فاسيلييف، ص١٨٦.

(٢) مُحمَّد المحروقي: هو كبير تُجار مصر، وقد تولى ترتيب حملة طوسون باشا على الدَّولة السُّعوديَّة الأولى، حيث تولى منصب مُدير المُهمات في الحملة، وهي الإشراف على الأعمال العسكريَّة الميدانية فيها.

ذهب مُحمَّد الملا إلى جدة مَقر إقامة الشَّريف غالب، فاستقبله هذا الأخير بكل مظاهر الثقة والاعتزاز بالنفس، ثمَّ اتجه بعد ذلك إلى مكَّة المُكرمة بذريعة أداء فريضة الحج، ليُنجز المُهمة الأساسية الصعبة التي كُلّف بها وجاء من أجلها، وعندما عاد إلى جدة أرسله الشَّريف غالب إلى القاهرة وبرفقته أمين سره الشَّيخ أحمد التُّركي، حيث كان رجُلاً مُحنكاً بارِعاً في فنِّ الإقناع وصاحب حجة قوية وتعامل دبلوماسي.

حمل الشَّيخ مُحمَّد التركي الهدايا النفيسة لوالي مصر مُحمَّد علي باشا، وقد كُلف أنْ ينقل التهاني والتبريكات إلى والي مصر من الشَّريف غالب، فاستطاع هذا الشَّيخ أن يُقنع والي مصر باستعداد الشَّريف غالب للتعاون مع قوات الحملة عند وصولها إلى بلاد الحِجاز، وبكل وفاء وإخلاص وبما يملك من قوةٍ وإمكانيات، حتى لو أنه دفع بنفسه إلى التهلكة ووقع ضحية لذلك التصرف.

وأضاف: إنَّ العرب والأهالي في الحِجاز مُستعدون لمثلِ ذلك أيضاً، والجميع ينتظرون وصول قوات الباب العالي لمُساندتها ومُساعدتها وحمايتها، لأنَّ الغالبية العُظمى من الناس في الحِجاز لا يحصلون على لقمةِ العيش إلا من موارد الحج، ومن الموارد المُتعلقة بخدمة الأماكن المُقدسة في مكَّة والمدينة المشرفتين، ولذلك فهو جاهز لتأمين الطُّرق البرية والبحرية للحملة وتأمين مؤنها[١]، ولما تحقق

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٠٢.

مُحمَّد علي باشا من صحة الخبر اطمأن لنوايا الشَّريف غالب، بعد أنْ كان مُتخوفاً منه وشاكاً في أمرِهِ ونيته، وكان هذا الاطمئنان من أسباب عزمه على تسيير الحملة العسكريَّة إلى الدِّرْعيّة.

ثالثاً: طُرق حملة طوسون باشا إلى نجد والحِجاز:

١- مسير حملة طوسون باشا إلى نجد والحِجاز:

في هذه الأثناء ضاعف مُحمَّد علي استعداداته العسكريَّة لتسيير الحملة المُرتقبة، فرفع عدد قواتها إلى (٨٠٠) ثمانمائة مقاتل، و (٥٠٠٠) خمسة آلاف من المُشاة والمدفعية و(٣٠٠٠) ثلاثة آلاف من الفُرسان بينهم الكثير من أبناء قبائل البدو، وكان قادة هذه القوات العُثمانيَّة هم[1]:

- خليل آغا دارمنلي.
- صالح قوج.
- سليمان آغا.
- الحاج عبد الله درندلي.
- القائد محو.
- القائد حجو.
- القائد بيس.

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ترجمه د. مُحمَّد خير محمود البقاعي، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص٣٥.

- القائد يارو علي.
- الحاج عبد الله سركولي.
- قائد المُشاة صالح آغا.
- قائد المُشاة عمر آغا.

وبينما كانت الاستعدادات تسير على قدمٍ وساق للانطلاق من ميناء السويس، فجأة غادر مُحمَّد علي باشا إلى الإسكندرية، وفيها باع للإنكليز (٤٠٠٠٠) أربعين ألف إردب من القمح، وقبض على شيوخ قبائل أولاد علي وفرض عليهم دفع مبلغٍ كبير من المالِ للمُساعدة في تجهيزات الحملة لمواجهة السُّعوديينَ، كما فرض الضرائب على التُّجار، الذين باعوا سلعهم بأسعار بخسة لتلبية مطالب الوالي.

وقد وفرت هذه الإجراءات والزيادات المالية لخزينة الوالي التي يُشرف عليها الدفتردار[1] موارد مالية كبيرة.

وبعدها عاد مُحمَّد علي باشا إلى القاهرة، حيث فرض على ذوي اليسار عنده أن يُقدموا بِغالاً للحملةِ، ومن لا يملُك بِغالاً عليه أنْ يدفع ٥٠٠ قرش.

(١) الدفتردار: المشرف على الشؤن المالية.

كان والي مصر مُتلهفاً لتنفيذ أوامر الباب العالي، لذلك ذهب بنفسه إلى بركة الحاج، وقضى هُناك ثلاثة أيام، كان خلالها يُنظم انطلاق قوات المُشاة، ثمَّ من بركة الحاج اتجه إلى السويس.

وقد اتجهت القوات العسكريَّة المُنظمة بحراً على دفعتين[١]:

- انطلقت الدفعة الأولى بتاريخ:

١٩ من رجب عام (١٢٢٦هـ) الموافق للثامن من شهر أغسطس عام (١٨١١م).

- وانطلقت الدفعة الثَّانية في تاريخ:

٥ شعبان من نفس العام الموافق ٢٦ أغسطس، وقد كان تعداد السُفن المُقلة للفريقين (٦٣) ثلاث وستين سفينة، في حين بلغ عدد الفُرسان (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف فارس بينهم الكثير من أبناء قبائل البدو، وكان هؤلاء كلهم تحت قيادة أحمد طوسون باشا شخصياً، حيث اتجهوا عن طريق البر عبر طريق العقبة إلى يَنبُع، وقد اتفقت جميع هذه القوات على أن تكون نقطة الالتقاء والتجمع لها في مدينة يَنبُع التابعة للدَّولة السُّعودية الأولى، والواقعة على ساحل

---

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٢٥؛ تاريخ العربيَّة السُّعودية، فاسيلييف، ص١٨٨.

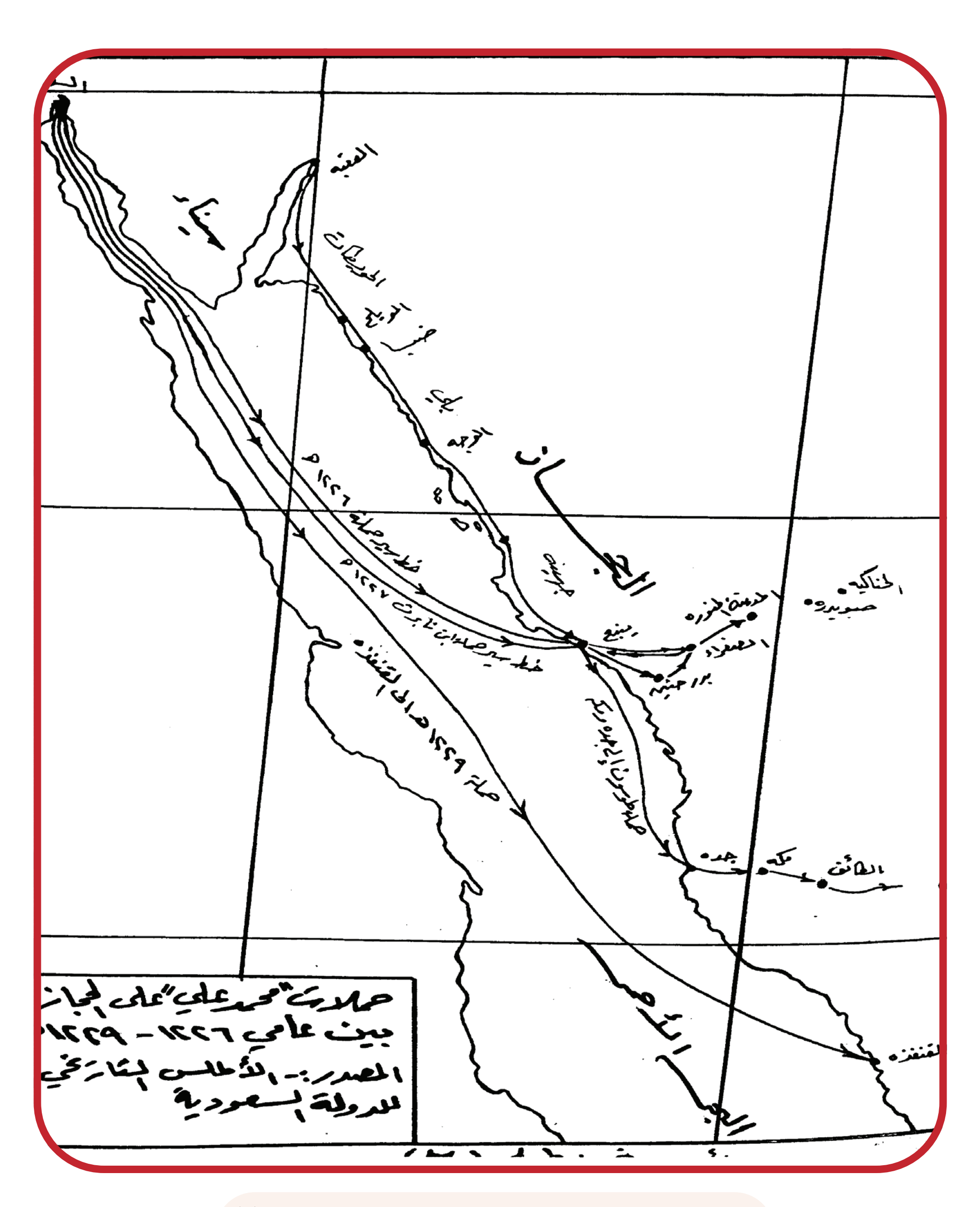
البحر الأحمر. ومن مدينة يَنبُع تكون انطلاقة الجميع إلى وجهات الحرب المعنية[١] في الحِجاز ونجد.

٢- الطُّرق البحرية: (السويس يَنبُع - السويس العقبة):

انطلقت تلك القوات في اليوم المُحدد لها من ميناءِ مدينة السويس، وأُحيطت سلطنة الدَّولة العُثمانيَّة علماً بذلك الانطلاق للحملة، حيث تُشير الوثائق إلى أنَّ مُحمَّد علي باشا أفاد وأطلع السُّلطان العُثماني على بدءِ انطلاقة تلك الجموع البحرية أولاً، ثمَّ البرية ثانياً، والتي كانت بقيادة مُباشرة من ابنه أحمد طوسون باشا.

باشر مُحمَّد علي باشا بتسيير الحملة، وإدارة مُهماتها من ميناء السويس، فأقلعت بها السُّفن يوم (٣٠) سبتمبر سنة (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م) قاصدة ميناء يَنبُع،

(١) المراجع السابقة.



* خط سيرة حملة طوسون باشا البحري والبري(١).

(١) انظر: موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٢٣.

وعاد هو إلى القاهرة، ثمَّ ارتحل ابنه طوسون باشا براً من بركة الحاج يوم (١٦) أكتوبر يقود حملة الفُرسان، ويتبعها عددٌ كبيرٌ من الإبل والخيول تحمل ما تحمل من المُهمات والمؤن والذخائر.

وكان في صحبة الحملة طائفةٌ من الصُّناع الحرفيين من كل الحِرَف، وقد صحبها السيد مُحمَّد المحروقي[١] مدير المُهمات، وكبير تُجار مصر لدى مُحمَّد علي باشا، والذي كُلّف بإدارة الجنود من أبناء قبائل البدو ضمن الحملة، ومضى معها أربعة من العلماء من أئمة المذاهب الأربعة، وهم:

- السيد أحمد الطهطاوي الحنفي.
- الشَّيخ مُحمَّد المهدي الشافعي.
- الشَّيخ الخانقي المالكي.
- الشَّيخ المقدسي الحنبلي.

فقاموا بوعظِ الناس، ونُصحهم بالعودةِ إلى التمسُّك بسنة الرَّسول الكريم مُحمَّد ﷺ[٢].

---

(١) كانت مهمة مُحمَّد المحروقي تتمثل في التفاوض مع الشَّريف غالب ومع شيوخ قبائل البدو من أجل إنجاح الحملة. مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٢.

(٢) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٢٦.

الهيكل العسكري للجيش العثماني:

وبالحديثِ عن الهيكل العسكري للجيش، فقد كانت الحملة مُكونة من قسمين، تمثل القسم الأول منها بالمُشاة وهم مجموعة من الجنود الأرناؤوط[١] الذين وصل عددهم إلى حوالي (١٥٠٠) ألف وخمسمائة جندي أو (٢٠٠٠) ألفين على أكثر تقدير بقيادة صالح آغا وعمر آغا، وهما اللذان أبحرا من ميناء السويس إلى ميناء يَنبُع، وأخذا معهما السُفن الجديدة مُحملة بالمؤن والسلاح والخيام والعتاد.

أما القسم الثَّاني فيتكوَّن من الخيالة الذين تحركوا عن طريق البر بقيادة طوسون باشا وأحمد بونابرت مُشكلين قوة من (٨٠٠) ثمانمائة رجل، وخيالة أتراك، وفرسان من البدو المُسلحين بقيادة نصر شديد شيخ قبيلة الحويطات[٢].

تحرُّك القوات العثمانية:

اتجهت القوات العُثمانيَّة إلى يَنبُع، وكانت قافلة مَهيبة تحمل الخيام والماء والمؤن والعتاد والأمتعة.

وفي الطريق إلى يَنبُع استطاعت أنْ تستميل إلى صفِّها عدداً كبيراً من شيوخ كُبريات القبائل البدوية القاطنة على هذا الطريق،

---

(١) الأرناؤوط: هم الجنود الألبان نسبة إلى ألبانيا الواقعة على بحر البندقية بعد اليونان.

(٢) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٢.

مثل شيوخ: بلي، والحويطات، وجهينة، فقد كانت هذه القبائل بالأخص مُتضررة بشكل كبير من انقطاع طريق الحج بسبب منع الدَّولة السُّعودية له، حيث كانت أرزاقهم مُعتمدة بشكل رئيس على حركة الحُجاج، لذلك كانوا ناقمين على الدَّولة السُّعودية الأولى وسياستهم، وكذلك أشراف مكَّة، وخاصة الشَّريف غالب حيث مَحق السُّعوديينَ نفوذه سلطته، وإن كانوا قد سمحوا له بالإقامة في مكَّة المُكرمة، وفضلاً عن ذلك فإنَّ مُحمَّد علي باشا ونجلاه طوسون وإبراهيم، استطاعوا أنْ يستميلوا إليهم بعض رؤساء القبائل من أنصار الأمير سعود بالعطاء والامتيازات التي وعدوهم بها فيما بعد، فكانت هذه الوسائل الترغيبية من العوامل التي ساهمت في تقوية مركز الجيش المصري العُثماني في الحملة على الحِجاز[1].

٣- الحملة في مدينة يَنبُع:

يَنبُع البحر: ولكونها أقرب ثغور الحِجاز إلى المدينة المُنورة، ولأنَّ طريق المدينة أقرب الطُّرق المؤدية إلى الدِّرْعيّة عاصمة الدَّولة السُّعودية، تمَّ اختيار هذه المدينة من قبل القادة المصريين لتكون مُنطلقاً لتحركاتهم.

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٢٦، ١٢٧.

وصلت الحملة بطريق البحر إلى ميناء يَنبُع في تشرين الأول (أكتوبر) من عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م) فاحتلتها بعد مُقاومة ضعيفة، استمرت يومين، وانتهت باستسلام المدينة، فقد هجمت الحملة بقوات ضارية على قلعة المدينة مُستخدمين السلالم لاقتحامها، إلى أن استطاعوا أخيراً وبعد المعارك العنيفة من دخول المدينة.

ولم يكن بها سوى حامية من (٣٠٠) ثلاثمائة من جيش السُّعوديينَ، حيث انسحب قائدهم الشَّريف جابر بن جبارة العياشي وبعض رجاله، ووقع الباقون قتلى أو أسرى.

بالإضافة إلى ذلك فقد اتفق مُحمَّد علي باشا سِراً مع الشَّريف غالب بانضمام قوات الشَّريف إلى صفوف قوات الحملة عند وصولها مدينة يَنبُع.

ومع وجود هذا التخطيط المُحكم، تمَّ الاستيلاء على يَنبُع قبل وصول طوسون باشا وفرسانه، وفي تشرين الثَّاني (نوفمبر) وبعد أسبوعين وصلت فرقة الخيالة بقيادة طوسون باشا إلى يَنبُع عن طريق البر، ولم تلقَ أية مُقاومة من القبائل الصحراوية الذين تمَّ استرضاؤهم بمبالغ مالية كبيرة، وهدايا فاخرة عديدة. وفي ذلك يقول ابن بشر: "إن أكثر من أربعة عشر ألف مُقاتل تحشدوا في يَنبُع"[١].

---

(١) تاريخ العربيَّة السُّعودية، فاسيلييف، ص١٨٨؛ مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٢.

ولم يزالوا على هذا التوسع والتمَدُّد إلى أن استولوا على قرية السويقة التي تتبع للأشراف العيايشة من أسرة الشَّيخ جابر بن جبارة العياشي.

٤- الطَّريق البري: (العقبة يَنبُع):

تَمَثَّلَ خط سير الحملة البري لفرقة الفُرسان بقيادة طوسون باشا من طريق برزخ السويس، مروراً بالعقبة، حتى يبلغوا يَنبُع بمُحاذاة سواحل البحر الأحمر، فيلتقوا بقوة المُشاة فيها، ومن هناك يُباشر الجيش زحفه إلى وجهته المنشودة[١].

وبعد أنّ تمَّ إلتقاء القوات في يَنبُع، زحفت قوات طوسون من يَنبُع البحر مُتجهة إلى يَنبُع البر[٢] وهي مدينة جميلة تُحيط بها قنوات المياه، وسواقيها، وتُغطيها بساتين النخيل، والليمون، والبرتقال، والموز.

وقد قام طوسون بذلك بناءً على نصيحة الشَّريف غالب له، حيث أرسل له أحد ضباطه الثِّقاة، لينصحه بالسيرِ أولاً إلى المدينة المُنورة لتخليصها من أيدي السُّعوديينَ، ويوضح له: إنَّ المسير بعدها إلى المدينة المُنورة، ومكَّة المُكرمة، يُصبح يسيراً وهيناً، والاستيلاء عليهما لا يستدعي معارك طويلة، ولا يُكبد خسائر فادحة أو جهوداً

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٢٥.

(٢) يَنبُع البر: ويُسمى يَنبُع النخل ويبعد عن البحر مسافة سبع ساعات، ويُعَدُّ هذا المكان المحطة الرئيسية لقبيلة جُهينة. مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٢، ١٣٣.

عظيمة، حيث إنَّ قوات الشَّريف غالب موجودة فيهما، وله فيها أنصار كُثر سوف يعملون على تسهيلِ دخول قوات الحملة إليها.

ولما وصل طوسون باشا وقواته إلى مكان يُعرف بالمُبارك، استراحوا فيه قدر ثلاث ساعات، تمَّ فيها تنظيم القوات العسكريَّة، وتقسيمها إلى خمسة أقسام؛ زُوِّد كل قسم منها بمدفعين للهجوم، وجعلوا للجيش ميمنة وميسرة ووسط. فاستطاعت هذه القوات دخول المدينة دون مُقاومة تُذكر(١).

وعندما وصلت الحملة إلى يَنبُع البر لم تكن فيها حامية سعودية، ولكن الشَّريف غالب كان يحتفظ فيها بمُحافظ وحوالي (١٠٠) مائة جندي. في البداية أظهرت هذه القوة العُثمانيَّة الصغيرة شيئاً من المُقاومة والمُمانعة، لكن السُّكان أقنعوا هذه القوة بالتراجع مَخافة أنْ يجري اقتحام المدينة بواسطة القوات العسكريَّة القوية، ووجدوا أنَّ الاستسلام في هذه الحال يُعد أمراً حكيماً من شأنهِ حفظ الأمن والأرواح والأعراض.

كانت مدينة يَنبُع تُدار من قبل قبيلة جهينة المؤيدة للدَّولة السُّعودية الأولى، وكان أميرها جابر بن جبارة العياشي(٢) من أشراف

(١) من وثائق الدَّولة السُّعودية الأولى في عصر مُحمَّد علي، عبد الرحيم عبد الرحيم، ص٣٠٥.

(٢) الشَّريف جابر بن جبارة العياشي ارتبط اسمه بشكل كبير بعملية توحيد الجزيرة العربيَّة ضمن الدَّولة السُّعودية الأولى، والذي شارك في معركة وادي الصفراء بقيادة الأمير عبد الله بن سعود مع مسعود بن مضيان الحربي وسعد بن إبراهيم الدغيثر وغيرهم ضد جيش حملة طوسون باشا. توفي سنة ١٢٢٩هـ في الدِّرْعيَّة.

الحِجاز قد تخلى عن المدينة بعد اجتماع العساكر العُثمانيَّة فيها وقصد جيش الدَّولة السُّعودية[١].

وقد بقي الشَّريف غالب في موقف المُتفرج على هذه البداية، وكتب رسائل إلى طوسون باشا مُعتذراً له عن عدم الانضمام إليه، نظراً لصغرِ حجم قوته، وخوفه من السُّعوديينَ.

ولكن في الوقت ذاته قام الشَّريف غالب بتقوية حاميتي: جدة ومكَّة، وعندما حثه الإمام سعود بن عبد العزيز على الانضمام إليه ضد الغُزاة، اعتذر عن ذلك مُعرباً عن مخاوفهِ من وقوع هجوم بحري مُفاجئ على جدة وهو الأمر الذي يُمكن أنْ يؤدي إلى الاستيلاء على مكَّة، وقد كشف ذلك عن موقف الشَّريف غالب المُتذبذب وتحيُنه الفرصة ليكون مع الطرف الأقوى الذي يدعم مصالحه ومركزه، مما أدى بالنهاية إلى اعتقاله من قبل مُحمَّد علي باشا حين قَدِمَ إلى الحِجاز كما سيتبين لاحقاً[٢].

وما إنْ تحقق الانتصار حتى بدأ طوسون باشا في التخطيط للتقدُّم نحو المدينة المُنورة.

(١) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٢.

(٢) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٣.

رابعاً: مواقف قبائل نجد والحِجاز من حَمْلَةُ طُوسُون بَاشا على الدَّولة السُّعودية الأولى:

كانت الخطة التي رسمها طوسون باشا لتحقيق التقدم من يَنبُع نحو المدينة المُنورة هو استمالة جميع القبائل البدوية القاطنة على طريق المدينة من جهة يَنبُع بالمالِ والهدايا والوعود، ولقد نجحت هذه الخطة نجاحاً كبيراً، فكانت قبيلة الحويطات وزعيمها نصر الشّديد[١] من أبرز القبائل التي قدمت خدمات ومُساهمات كبيرة بالعمل لصالح جيش طوسون باشا، حيث خاض الشّديد بقوات قبيلته مع طوسون باشا معركة بَدْر والسيطرة عليها[٢].

أيضاً قدَّم هو وأفراد قبيلته خدمات جليلة كثيرة لطوسون باشا، حين استطاع بدوره أنْ يستميل عدداً من القبائل الأخرى إلى كفة جيش طوسون باشا، إضافة لقيامهِ بإرشاد جيش الحملة إلى أيسر الطُّرق المُوصلة إلى المدينة، فقام بتأمينها وحفظها بعيداً عن الخطرِ السُّعودي وعن وعورة الطُّرق، وهذا كان له دور بارز في رفعِ معنويات الجيش المصري العُثماني وارتياح نفسيات جنوده[٣].

---

(١) الدَّولة السُّعودية، عبد الرحيم عبد الرحيم، ص٣٠٥.

(٢) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٤٣.

(٣) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٠٩.

فاستطاع طوسون باشا استمالة القبائل البدوية التالية لصَفِّهِ: (الحويطات، العبابدة، بلي، مزينة، بني عقبة، جهينة، بني واصل).

أما قبيلة حرب فقد بقيت موالية للدَّولة السُّعودية الأولى، ولم تُلقي بالاً لعروض طوسون باشا وإغراءاته[١].

ولم يكن انضمام القبائل يُشكل لها قناعة بالانضمام إلى الحملة على الحِجاز، كما لا يعني اقتناعها بالدَّولة السُّعودية، فقد انضمت بعض القبائل إليهم خوفاً من الجيوش المُعتدية، وبعضها أغرته الغنائم ونشوة النصر وأعمت بصيرته عن الحق[٢] ومقاومة الأجنبي.

---

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٤.

(٢) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢١٠.

فهرس الفصل الثَّاني

سقوطُ الحِجاز بيد أحمد طوسون باشا

* أولاً: أهميةُ الحِجاز.
* ثانياً: احتلالُ بَدْرسنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م).
* ثالثاً: معركة الخيف (١٢٢٦هـ/١٨١١م).
* رابعاً: ملحمة وادي الصّفراء، وانهزام طوسون باشا سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م).
* خامساً: الحجة الثامنة للإمام سعود بالمُسلمين سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م).
* سادساً: حملة أحمد بونابرت لمؤازرة طوسون باشا في الحِجاز (١٢٢٧هـ/١٨١٢م) وسقوط الصّفراء.
* سابعاً: احتلال المدينة المُنورة سنة (١٢٢٧هـ/١٨١٢م).
* ثامناً: احتلال جدة سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م).
* تاسعاً: احتلال مكة المُكرمة والطائف (١٢٢٨هـ/١٨١٣م) .

الفصل الثَّاني: سقوط الحِجاز بيد أحمد طوسون باشا

أولاً: أهمية الحِجاز:

بالرجوع إلى الاشتقاق اللغوي لكلمة الحِجاز، فالحِجاز بالكسر: مأخوذةٌ من قولِ العرب حَجز الرَّجُل بعيره يحجزه إذا شدَّه شدَّاً يُقيده به، ويُقال للحبل حِجاز، ويجوز أنْ يكون قد سُمي حِجازاً لأنه يُحتجز بالجبال. لكن الذي أجمع عليه العُلماء أن كلمة الحجاز من قولهم: حجزه، يحجزه، حجزاً أي منعه. وبالنظر إلى الموقع الجغرافي للحجاز فهو جبلٌ مُمتدّ بين الغور، غور تِهامة ونجد، فكأنه منع كلّ واحد منهما أنْ يختلط بالآخر، وكان بمثابة حاجز بينهما، وهذه حكاية أقوال العُلماء، قال الخليل: سُمي الحِجاز حجازاً لأنه فصل بين الغور والشَّام وبين البادية، أو لأنه فصلَ بين تِهامة ونجد.

ويتميز الحِجازُ بأهميةٍ تاريخيَّةٍ عميقة من جهات واعتبارات عديدة، منها: دينية وسياسية واقتصادية.

• الأهميَّة الدينيَّة:

برزت أهمية الحِجاز الدينيَّة مُنذُ فجر الإسلام، حيث إنه يضمُّ الحرمين الشَّريفين؛ الحرم المكيّ الذي يحج إليه الناس ويعتمرون، والحرم النبويّ الشَّريف الذي فيه قَبرُ الرَّسول مُحمَّد ﷺ، وقبورِ بعض الصَّحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وأيضاً فقد كان للحِجاز قبل ظهور الإسلام أهميةً دينيةً عند العرب، فقد وجِدت مواضع عِدّة في الحِجاز كانت ذات حُرمةٍ وقُدسية في أنظارِ العرب، يقصدها الحجيج في مواسم تجتمع فيها القبائل من سُكان الجزيرة العربيَّة، وكان من أشهرِ هذه المَعابد في منطقة الحِجاز: "الأقيصر" الذي يقع على مشارف الشَّام، وهو تابع لقبائل قُضاعة ولخم وجذام وعاملة، وبيت "ذي الخليصة" بتبالة بين مكَّة والطائف، وهو تحت إمرة قبائل دوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب، كما كانت "العُزَّى" بنخلة لقريش وبني كِنانة، وكانت "اللات" في الطائف، وكانت "مناة" للأوس والخزرج، وكانت مقامة على ساحل البحر الأحمر من ناحية المشلل بقديد، إلا أنه لم يجتمع لبيتٍ من هذه البيوتات المُقدسة ما اجتمع للكعبة (بيت الله الحرام) من الشَّرف والمكانة، ولقد كانت الكعبة مُنذُ القِدَم مثابة للناس، وأمناً لا يُمنع أحد من زيارتها والتعبد عندها.

وكانت الكعبة في ذلك الحين عند العرب مجمع الآلهة والعبادة، حيث إنهم جمعوا كل أصنامهم وجميع آلهتهم إليها، ولكن الأساس

الذي قامت عليه قُدسية البيت الحرام، هو أنَّ البيت بجملتهِ هو المقصود بالقداسةِ وغير منظور إلى الأصنام والأوثان التي اشتمل عليها، فالعرب كانوا يعرفون إلهاً أعظم من سائر الآلهة يتوجهون إليه بالدعاءِ وهذه حقيقة لا يعتريها شك، ولكنهم مع ذلك كانوا يُشركون أصناماً في العبادة، ويعبدونها لتقربهم إلى الله زُلفى، كما ورد في القرآن الكريم.

• الأهمية السياسيَّة:

دخل الحِجاز في الحكم السُّعودي عام (١٩٢٦م) بعد الاتفاق على تسليم الملك علي بن الحسين مدينة جدة للملك عبد العزيز آل سعود رحمهما الله، وذلك بعد أن مرَّ بحصار طويل أُعلن بعده عن قيام مملكة الحِجاز ونجد ومُلحقاتهما من عام(١٩٢٦)إلى عام(١٩٣٢م). وفي(٢٣)سبتمبر أُعلن عن توحيد جميع أطراف المملكة العربيَّة السُّعودية المُعاصرة، ومن ضمنها الحِجاز في دولةٍ مُستقلة.

• الأهمية الاقتصادية:

ارتبطَ الحِجاز تاريخياً بحركة التجارة الدُّولية القديمة، عبر رحلتي الشتاء والصيف والتي كان يتجه من خلالها العرب شمالاً نحو الشَّام، وجنوباً حيث اليمن.

كان الحِجاز حينئذ حلقة وصل بين بلاد الشَّام من جهة، وحوض البحر المتوسط من جهة ثانية، واليمن والمُحيط الهندي من جهة ثالثة، ففي الحِجاز كان ولا زال يمرُّ شريانٌ رئيسٌ من شرايين التجارة العالمية وهو الطريق البري الذي يصل بين جنوبي شبه الجزيرة العربيَّة وشمالها، ومنه كانت تتفرع طرق تتجه صوب الشرق والشمال الشرقي، وفي موازاته شريان آخر، كان له خطره في عالم التجارة العالمية هو طريق البحر الأحمر.

• المناخ:

كان يسود الحِجاز مناخٌ مُعتدل على العموم، وتقلُّ درجات الحرارة تدريجياً كلما ازداد الارتفاع عن سطح البحر. وأما هطول الأمطارِ فقد كان محصوراً في فصلِ الرياح الموسمية، وذلك في أشهرِ الخريف غالباً، ما بين شهري أغسطس حتى أواخر ديسمبر، وبعضها ينزل في الشتاء.

• الزراعة[١]:

وعلى الصَّعيد الزّراعي، فقد ازدهرت بلادُ الحِجاز، وتميزت بوفرةٍ في المحصولات الزراعية المُهمة من التَّمر، والذُّرة، والقمح، ومن الفواكه في الحِجاز: كالموز، والمشمش، والرُّمان، والتين، والخوخ،

(١) الفواكه الموسمية الخَيار الأول لأهالي وزوار الطائف، مقال في جريدة اليوم، الطائف، الخميس ٢٠١٩/٧/٢٥م. انظر الموقع: https: //www.alyaum.com/articles/6202756/

والنارنج والليمون، والكمثرى، والتين الشوكي، والسفرجل، والبطيخ، والتفاح البري، والأعناب، والنبق، والعناب والتُّوت.

بالإضافةِ إلى ذلك فقد تميزت فواكه الحِجاز عن غيرها بالجودة، والمذاق، والحلاوة، والرائحة، ولطف المذاق. أمَّا الخضروات المُنتشرة عندهم فهي: الجزر التمري، والجزر المديني، والجزر اليماني (البطاطا) والطماطم، والباذنجان الأسود، والبامية، والقرع، والفول، والملوخية، والكرنب، والخس، والجرجير، والفجل الأحمر والأبيض، والفلفل الرومي.

• الماشية:

تُربى الماشية في الحِجاز مثل: الإبل، والماعز، والضأن، والبقر، والخيول.

ويوجد في الحِجاز بعض الحيوانات منها: النمر العربي، والفهد، والذئب، والثعلب، والغزال، والوعل والقرد، والأرنب، والحمار وغيرها. وهناك أنواع من الطيور الجارحة والطيور الأنيسة: كالصقر، والنسر، والبوم.

أكبر مُدن الحِجاز:

- في القسم الحِجازي: المدينة المُنورة، الطائف، الباحة، النماص، ميسان.
- في القسم التهامي: مكَّة المُكرمة، جدة، يَنبُع، رابغ، المخواه، أملج.

ثانياً: احتلال بَدْر سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م):

بعد أنْ قامت قوات حملة أحمد طوسون باحتلال يَنبُع، قَدِمَ طوسون باشا بكتيبةِ الفُرسان عن طريق البر ليتلاقى مع وحدات جيشه في يَنبُع.

عند ذلك أمر طوسون باشا بالزحف إلى المدينةِ المُنورة في شهر يناير من عام (١٢٢٦هـ / ١٨١١م) فتحركت قوات ولاية مصر العُثمانيَّة من يَنبُع، وسار إلى بلدة بَدْر، تلك المدينة الصغيرة التي تبعُد عن يَنبُع مسيرة يومين، والتي كانت تسكنها قبيلة حرب؛ التي كان أفرادها يُسيطرون ويتحكمون في جميعِ الممرات الموجودة خلال هذه الجبال، وعند ذلك قام السُّعوديون بُمهاجمة طوسون باشا وقواته في بَدْر، وخاضت طلائع قواته العسكريَّة المكونة من فرقة الدلالة، ومن قبيلة الحويطات، معركةً حامية الوطيس، استمرت ساعتين، اضطر السُّعوديون فيها إلى التراجع إلى وادي الصَّفراء بعد أنْ قُتل منهم(٦٠) ستون مُقاتلاً، إلى أنْ انتهت المَعركة باحتلال بَدْر والسيطرة عليها.

فأثنى طوسون باشا على جنوده بعد الانتصار الذي حققوه، وأبقى وراءه حامية عسكرية صغيرة من جنوده في بلدة بَدْر، وتابع مسيره نحو المدينة المُنورة.

ثالثاً: معركة الخيف (١٢٢٦هـ/١٨١١م):

معركةُ السويقة طريقٌ لمعركة الخيف:

حين انطلقت القوات العثمانية باتجاه المدينة المُنورة، وبعد سيطرتها على بَدْر، وصلت أخبارٌ إلى طوسون باشا من أحد شيوخ القبائل الموالية للحملة ويُدعى (الشّديّد)، يقومُ مع عددٍ من رجال قبيلته بالعمل ضد القوات العسكرية السُّعودية(١)، ونقل أخبارهم

،وتحركاتهم، وخططهم إلى قيادة حملة طوسون باشا. وبينما كان يقوم بِأداء مُهمتهِ إذ أحس بوجودِ قوةٍ سعودية في قرية سويقة، وهي قرية من قُرى يَنبُع، وكانت القوات السُّعودية من حرب يسيطرون على المضائق المؤدية إليها، ويتمركزون في قممِ الجبال، فكانت مواقعهم حصينة، تستعصي على المُهاجمين من قوات طوسون باشا. وحين أَطْلَعَ الشّديّد قيادةَ الحملة العثمانية على ذلك، أرسل طوسون باشا معه قوة عسكرية عسكرت بالقربِ من القرية المذكورة، وكان ذلك ليلاً، فلما طلع الصبح عرفوا أنَّ في القرية الأمير عبد الله بن سعود، وبعض القادة السُّعوديينَ، ومعهم قوةٌ يبلغ تعدادها (٤٠٠٠) أربعة آلاف من فرقة الهجانة،

---

(١) تَمثل اللباس العسكري للقوات السعودية بلبس الثوب الطويل، والغترة والعقال على الرأس إضافة إلى النعل، أما سلاحهم في هذه المعركة وسواها تكوَّن من: السيف، والرمح القصير، والخنجر، والبنادق أم فتيلة، وبعض المدافع الثقيلة التي غنموها من القوات العثمانية والمصرية. وكان مركوبهم الجمال والخيل.

و(٥٠٠) خمسمائة فارس من فرقة الفُرسان والخيالة، ونحو (١٠٠٠) ألف من فرقة المُشاة.

فدارت بين القوتين معركةٌ قوية، انتهت بانتصار قواتِ طوسون باشا، ولجوء جموع جيش الأمير عبد الله بن سعود نحو الجبال والفلوات والوديان.

في هذه الأثناء تراجعت القوات العسكرية السُّعودية الموجودة في قرية سويقة، وهي سوقٌ من أسواق قبيلة حرب، وتبعد عن بلدة بَدْر مسير ثماني ساعات، حيث اتجهت القوات إلى شِعب وادي الصّفراء.

أحداثُ معركة الخيف:

وبعدها كان لا بدَّ لطوسون باشا أن يتابعَ طريقه ويتخلص من العقبات كما أن السُّعوديينَ لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمامه.

نزل الأمير عبد الله بن سعود بجنودهِ في منطقةِ الخيف[1]، وهي تقع قبل وادي الصفراء، لمواجهة طوسون باشا وجنوده، فاجتمع معه من المُقاتلين نحو (١٨٠٠٠) ثمانية عشر ألف مقاتل، و(٨٠٠) ثمانمائة فارس، وقعت بينهما وقعةٌ حربيةٌ عظيمة، كانت الدائرة فيها على قوات طوسون باشا.

---

(١) تحفة المُشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، عبد الله بن مُحمَّد البسام، تحقيق: إبراهيم الخالدي، شركة المُختلف للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٠م، ص٢٦٦.

وقد وصف ابن بشر هذه المعركة، فقال: " ولما نزل الأمير عبد الله الخيف أمرَ مسعود بن مُضَيَّان الحربي، ومن معه من بوادي حرب، وجيش أهل الوشم، أنْ ينزلوا في الوادي الذي في جانب منزلهم الذي هم فيه، مَخافة أنْ يأتي معه دفعةٌ من الترك، فيفتكوا بجيش الأمير عبد الله.

فالتقى الفريقان، وجعل الأمير عبد الله بن سعود على الخيل أخاه الأمير فيصل بن سعود، وحَبَاب بن قحيصان المطيري، فحَصَل قتالٌ شديد، وصبر الفريقان، وكَثُر القتل في الفريقين"(١)(.....) فلما حمل الروم (جيش طوسون باشا) على جمعِ المُسلمين(٢)، (الجيش السعودي) انهزم الأعراب، وثَبت غيرهم. وأقاموا على ذلك ثلاثة أيام، فأرسل الأمير عبد الله إلى مسعود بن مضيان -الظاهري الحربي- ومن معه من عُربان حرب، وأهل الوشم، وأمرهم أنْ يحملوا على الروم، فأقبلوا، وصار أول حملةٍ عليهم مع جُملةِ جنود المُسلمين، فانهزمت العساكر (العثمانية) لا يلوي أحدٌ على أحد، وانكشفوا عن مخيمهم ومحطتهم وولَّوا مُدبرين، وتركوا سبعة مدافع، والخيام، والثقل، والرحايل، وكثير من السلاح، وما في

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٣ وما بعدها.

(٢) هذه العبارة اعتادها ابن بشر وابن غنام، لكن هذا لا يعني نفي الإسلام عن غيرهم. ابن مُضَيَّان الظاهري وعلاقته بالحملة المصرية في عهد الدولة السعودية الأولى، فائز بن موسى البَدْراني الحربي، دار البَدْراني، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٤٢.

محلتهم من جميع آلات الحرب والذخائر"[١]، وجملة من قُتل من جيش طوسون باشا (٥٠٠٠) خمسة آلاف[٢]. ثمَّ التقوا ثانيةً في شِعْبِ وادي الصفراء بطريق المدينة المُنورة.

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٣ وما بعدها؛ ابن مُضَيَّان الظاهري وعلاقته بالحملة المصرية في عهد الدولة السعودية الأولى، ص٤٣.

(٢) تُحفة المُشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، البسام، ص٢٦٦.

رابعاً: ملحمة وادي الصّفراء، وانهزام طوسون باشا سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م)[١]:

لم تكن معركةُ الخيف إلَّا طريقاً إلى داخلِ وادي الصفراء، وكانَ على القوات العثمانية أنْ تُلاحقَ السُّعوديينَ الذين تحصنوا في شعب وادي الصفراء، كان العثمانيون يريدون أن يفرُغَ لهم الطريق إلى المدينة المنورة، أما السعوديون فكانوا يعدون للانتقام بعد خسارتهم لينبعَ وبدر، وأيضاً لحماية أراضيهم من المد العثماني الواقع.

قُدِّرَ عدد جيش العثمانيين بـ (٧٠٠٠) سبعة آلاف مُقاتل، في حين قُدر عدد جيش الدَّولة السُّعودية بـ (٤٠٠٠٠) أربعين ألف مُقاتل.

ويقال أيضاً في أعداد الجيش السعودي: وكان عددهم يُقدر بحوالي (٢٠٠٠٠) عشرين ألف من المُشاة، و(٦٠٠) ستمائة أو (٨٠٠) ثمانمائة خيال.

(١) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٢ وما بعدها ؛ موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العثمانية، أحمد بن صالح الدهش، ص٢١٠ وما بعدها.

أحداثُ المعركة:

اجتمع جيش الدَّولة السُّعودية الأولى في شِعْبِ وادي الصَّفراء، ثم قاموا بحفر خندقٍ في مضيق الوادي وأكثر من على الخندقِ كان من الجيش القادم من أهالي نجد وقبائلها، بينما القوة العسكرية المُكونة من قبائل الحِجاز كانت مُجتمعةً تحت إشراف القائد السُّعودي عثمان بن عبدالرحمن المضايفي على قمةِ الجبل، وكان الشيخ مسعود بن مضيان الحربي، هو القائد المُساند للأمير عبد الله بن سعود[١].

وصلت قوات طوسون باشا إلى بدايةِ شِعْبِ وادي الصّفراء، فحصلت مُناوشاتٌ حربيةٌ و جولات كر وفر بين الطرفين؛ قُتل على إثرها من جيش الدَّولة السُّعودية (٣٢) اثنان وثلاثون مُقاتلاً، وعندما قَدِمَت العساكر العثمانية إلى الوادي، راحوا يُطاردون القوات السُّعودية في منتصف شِعْبِ وادي الصفراء[٢]، ويضربون بِمدافعهم الفتاكة مُعسكر الجيش السُّعودي في أعلى الجبل.

ووادي الصفراء عبارة عن ممرٍ ضيقٍ[٣]، لا تسمح جوانبه بمرورِ أكثر من عشرة أشخاص في آنٍ واحد، بينما يرتفع على جانبهِ

(١) مسعود بن بدوي مُضَيَّان الظاهري أمير قبيلة حرب، وحاكم المدينة المنورة، وقائد الجيش السعودي فيها، حج مع الإمام سعود بن عبد العزيز حجته الثالثة سنة ١٢٢١هـ.

(٢) مُلاحظات عن البدو الوهابيين، بوركهات، ص١٣٥.

(٣) يتراوح عرضه بين أربعين وستين ياردة بين جبال مُنحدرة وعرة، وعند مدخل هذا الممر تقع بلدة الجديدة بين بيارات النخيل. مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٥.

جبلٌ عالٍ ذو انحدار شديد، بحيث يُمكن لعددٍ قليلٍ من الناسِ مُقاومة الجيش بكامله، وهذا الذي يسَّر مُهمة الدِّفاع السُّعودي، وساعدهم على الوقوف أمام القوات الزاحفة.

وسرعان ما أحاطت الفِرَق العسكرية السُّعودية المُنظمة بالقوات العثمانية من جميع الجهات، مُستغلةً طبيعةَ الموقع الاستراتيجي في أعلى قمةِ الجبل، وضفافهِ التي تمتعت بها وسيطرت عليها، فبدأت قذائف الجيش السُّعودي تنهال على جنود جيشِ الحملةِ العُثمانية كحجارة السجيل، مما جعل الصفوف الأولى من جيش طوسون باشا تتقهقر وترجع مُنهزمة مولية الأدبار، خالية الوفاض، وقد أوقعت الذُّعر في قلوبِ من خلفها من صفوف الجُند المُقاتلة.

وأمام هذه الاضطرابات والمعارك الطاحنة، لم تَخُن طوسون باشا شجاعته ومقدرته على حُسنِ القيادةِ والتدبير، فتصرَّف تصرُّف القادة أصحاب الهِمَّة والشَّرف، ففي بدايةِ عجزه عن إيقاف هروب جنود قواته أمام ضربات جيش السُّعوديينَ؛ قام بِصحبةِ فارسين من فُرسانهِ الشُّجعان بالدخول في مؤخرة صفوف القوات السُّعودية، واندسَّ بين صفوفها، لكي يُثني أعداءه عن مُطاردة قواته، وفي هذه الأثناء كانت محاولَة القائد سعد بن إبراهيم الدغيثر و رفاقه بأسرِ طوسون باشا، ولكن المُحاولة فشلت.



* معركة وادي الصفراء[١].

يروي بوركهارت عن شهود عيان حضروا هذا الموقف العصيب: وقد أكد لي أناس حضروا تلك المعركة أنه بينما كانت الدموع تنهمِر من عينيّ طوسون باشا، كان يتعجب من الأتراك الهاربين وهو يقول: ألن يصمُد أحدكم معي؟ وفي النهاية انضم إليه عشرون خيالاً، عندما انشغل "السعوديون" بالاستيلاء على أمتعةِ الجيش، الأمر

(١) انظر الموقع: https: //www.zyadda.com/battle-of-the-yellow-valley/

الذي جعل "السعوديين" يتباطؤون في عملية المُطاردة والمُلاحقة، وعندما وصل الأتراك إلى الأرضِ المفتوحة الواقعة خلف مدخل الشِّعب- وادي الصفراء- تجمَّع الخيالةُ، وراحوا يحمون المُشاة إلى حدٍ ما، ولو كان "السعوديون" واصلوا عملية المُطاردة للحامية تلك عبر الجبال، لقضوا على الأمتعة التركية كلها، كما استولوا أيضاً على أربعةِ قطعٍ من مدفعية الميدان، كما استولوا أيضاً على أسلحة الجمالة، وقدر كبير من الغنائم التي عثروا عليها في أحزمة الجنود الأرناؤوط الذين أُثروا (أصبحوا أغنياء) بفعل الغنائم التي غنموها من المماليك في مصر.

وبعدها انسحب طوسون باشا بقواتهِ إلى بلدة بَدْر، وأضرم النار في المُخيم الذي يُقيم فيه لأنه عجز عن نقلِ مُحتوياته معه إلى بَدْر، وخشيةً منه أنْ يقع بيد السُّعوديينَ، وتخلى بذات الوقت عن درعهِ، وعاد إلى شاطئ البحر الأحمر بالقربِ من بَدْر حيث كانت ترسو عدةُ سُفن من أسطولهِ البحري في خليج بريقة(١).

وأما عن نتائجُ المعركة فقد حسم الفرار معركة الصّفراء بنصرٍ مُبين، وأنهاها لصالح جيش الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز، وقادته الشجعان.

(١) ملاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ص ١٣٦، بتصرف.

خسائر الجيش السعودي: وفي هذه الملحمة قُتل من جيش الأمير عبد الله بن سعود نحو (٨٠٠) ثمانمائة رجل، منهم: مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وبرغش بن بَدْر آل شبيب من شيوخ المنتفق، وسعد بن إبراهيم الدغيثر- من آل يزيد- وهادي بن غانم بن قرملة من شيوخ قحطان، ومانع بن كدم شيخ عبيدة من قحطان، وراشد بن شعبان شيخ بني هاجر، ومانع بن وحير الفارس المشهور من شيوخ العجمان، وتويم بن بصيّص شيخ الصعران من برية، وعبد الرحمن بن محمد الحصين الناصري التميمي من رؤساء بلدة القراين .

خسائر الجيش العثماني: وفي خسائر الجيش العثماني يقول عبد الرحمن الرافعي: "كانت هذه الواقعة هزيمةً كُبرى؛ فقدَ فيها الجيش المصري نحو (٦٠٠) ستمائة قتيل، وفقد مُعظم مدافعه وذخيرته وأرزاقه وخيامه، ورجعت فلوله بغيرِ نظام إلى يَنبُع، وقُتل منهم عدة آلاف في الطريق، حتى لم يَبْقَ من الجيش المصري بعد أنْ رجع إلى يَنبُع غير (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف، ولو أنَّ السعوديين الذين دافعوا عن وادي الصّفراء كانوا أكثر عدداً، لتعقبوا جيش طوسون باشا بعد الهزيمة، وكان من المُحقق ألا ينجو منهُ أحد"[(١)].

(١) عصر محمد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٢٧، ١٢٨، بتصرف.

وبالفعل، فلم ينجُ من جيش طوسون إلا أهل الخيل، الذين أدبروا مع باشواتهم، وماتت غالب خيولهم ظمأً وتعباً، حتى وصلوا إلى ميناء البريكة[١]، وركبوا منها في السُفن إلى يَنبُع ليستقروا فيها[٢].

هذه الملحمة التاريخية أبرزت شجاعةَ وإقدام الإمام عبد الله بن سعود، وأخيه الأمير فيصل بن سعود، والقائد مسعود بن مضيان، والقائد سعد بن إبراهيم الدغيثر[٣] من آل يزيد، وغيرهم، وخلَّدت أسماءهم في سجل بطولات التاريخ العربي والإسلامي المَجيد.

ما بعد المعركة:

أبحر طوسون باشا برفقة عددٍ قليل من الحُراس قاصداً يَنبُع، يُرافقه كيخياه[٤]، والسيد محمد المحروقي الذي كان الجنود العثمانيون يودون الانتقام منه، حيث حَمّلوه وزر الهزيمة، فما كان منه إلا أنْ هرب على ظهرِ أحد المراكب كي ينجو منهم، فسار مركبه إلى القصير، ومعه الشيخ محمد المُهدي وزملاؤه.

---

(١) البريكة: ميناء المدينة المنورة القديم، وتقع غربي بلدة بَدْر، وتبعد عنها مسافة (٢٥) خمسة وعشرين كيلو متراً.

(٢) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٥، ٣٢٦.

(٣) لقي حتفه المُشرِّف أثناء المواجهة المُباشرة، مع حرس فرقة طوسون باشا في شِعْبِ وادي الصّفراء جراء طلقةٍ ناريةٍ أصابته، فسقط من على صهوة حصانه، ليبقى في ذاكرة الأجيال فارساً نبيلاً شُجاعاً. الموروث التاريخي لأسرة آل الدغيثر من آل يزيد في الدرعية.

(٤) كيخياه: نائبه.

وأما فرسانه الذين كانت تنقصهم المؤن والأعلاف فقد عادوا إلى ميناء المويلح[١]، وأما بقيَّة قواته فقد وصلت بعد عدة أيام وهي مُتعبة، وقام السعوديون بالعودة إلى المناطق الداخلية في الحِجاز ونجد، بعد أن كسبوا السلاح، والذخيرة، والخيام، والأمتعة، والمؤن من جيش الحملة، وظلوا على أهبة الاستعداد للتجمع من جديد، إذا ما تجرأ طوسون باشا مرةً ثانية على دفع الجيش إلى الأراضي المكشوفة.

بعد أن انسحبت القوات العسكرية السُّعودية، خلّفت مكانها مُقاتلين من قبيلة حرب أهالي وادي الصفراء بعد الهزيمة الماحقة التي حلت بقواتِ طوسون باشا، والتي كان يُمكن أنْ تُحدد مصير الجزيرة العربية، حيث ظنَّ السّعوديون أنها هزيمة لا قيام لجيش طوسون باشا من بعدها، فعادوا إلى أوطانهم مُكتفين بتدعيم حاميتهم العسكرية في المدينة المُنورة، حيث صار جنودها يُضايقون القوات العثمانية، ويستولون على قوافل المؤن والمَدد الذي كان يصلهم من يَنبُع[٢]، وكان الإمام سعود بن عبد العزيز حينها مُستقراً في الدّرعيَّة.

كَتَبَ طوسون باشا رسالةً إلى أبيه في مصر، وصف له فيها ما جرى من أحداثٍ في واقعة وادي الصفراء، ذكر فيها: "إنَّ الفُرقَة

---

(١) يقع على ساحل البحر الأحمر، وكان من أهم محطات قوافل الحج المصري في شمال الحجاز.

(٢) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٧.

التي كانت سائدة بين قادة جيشه، جعلت الجنود عاجزين عن القتال"[١] وما أن عَلِمَ محمد علي باشا بأنباء الهزيمة المُدوية، حتى بدأ بتجهيز حملة عسكرية ثانية لمؤازرة ابنه وقواته.

فقام محمد علي باشا باستدعاء قادة جيش الحملة من الجزيرةِ العربية، واستبدلهم بقادة آخرين.

أما ابنه طوسون باشا، فقد بقي ينتظر وصول القوات الجديدة لمؤازرته، وعمل في هذا الوقت على تحصين مدينة يَنبُع ومينائها، وإخضاع القُرى المُجاورة لها، واستمالة قلب شيخ قبيلة جُهينة الذي كان طامعاً بالأموال التي أُغدقت عليه، فساعده شيخ جهينة بكل ما يملك[٢] من قوات وسلاح ومؤن وغيرها.

فكانت تلك هي الطريقة المُثلى لاستمالة شيوخ القبائل، الذين يجعلهم المال طائعين لِمن يُغدقه عليهم، ولا يُحبون الالتزام بشيء.

وهنا اكتشف طوسون باشا بأنَّ مواقف قبائل الحِجاز لم تكن بأية حالٍ من الأحوال بالشكل الساذج الذي وصفه لهم الشريف غالب، فقد كان أكبر قبيلتين في الحِجاز: حرب وجهينة مُتشبعتين تماماً، ومُقتنعتين بقوة الإمام سعود بن عبد العزيز ومدى نفوذه وهيمنته وجبروته على أعدائهِ، وعلى من يخون ويقطع المواثيق

---

(١) عصر محمد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٢٨.

(٢) تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية، فيلكس مانجان، ص٤٥.

معه، باعتباره الحاكم الأول، وله الكلمة العُليا في المنطقة، ولذلك لمْ تتجرأ هاتان القبيلتان على التحرك في الوقت الذي لم يُحقق جيش طوسون باشا فيه أي تقدُّم يوحي بالغلبةِ والسيطرةِ على الوضعِ القائم في الحِجاز، إذا ما انضمت هاتان القبيلتان إلى جانبه.

عاد قسم كبير من القوات العثمانية، وخاصةً القادة الذين لجؤوا إلى ميناء المويلح إلى مصر، حيث عسكر الجنود في مدينةِ العادلية، وتوجه القادة إلى القاهرة، وهُناك رفض الوالي محمد علي باشا استقبالهم أو الترحيب بهم، وأمر بمحو أسمائهم من دفاترِ الرواتب المالية في وزارة جيشه.



* آثار قلعة ميناء المويلح[١].

(١) انظر الموقع: https: //www.aleqt.com/2019/05/24/article_1605281.html

فكان الجُنود المُشاة يعزون أسباب الهزيمة في وادي الصفراء إلى فِرقة الفُرسان، وهؤلاء يعزونها إلى فِرقة المُشاة، بينما القادة يُعللون سبب الهزيمة إلى أنَّ جيشهم مؤلف من كُلِّ المِلَل، ولم يكن معهم مثل السُّعوديينَ إمامٌ يُنادي للصلاة على وقتها في كل الفروض، وهكذا كان كل واحد منهم يرمي بالعبء على الآخر.

في هذا الوقت الحرج، وبين هذه الاضطرابات، كان قادة الجيش المصري من الألبانيين: صالح قوج وسليمان بيك، وخليل آغا، الذين هربوا هُروباً مُشيناً أمام جحافل القوات السُّعودية في ملحمة وادي الصفراء، قد وصلوا لتوهم إلى القاهرة عبر ميناء القصير.

وعندما مَثلوا أمام الوالي محمد علي باشا(١)، وكان يعلمُ أنهم تمردوا على تعليمات ولده طوسون باشا في معركة وادي الصفراء، وشتموه عندما نزلت بهم الهزيمةُ الماحِقة التي كانوا سبباً رئيساً من أسباب وقوعها كونهم لم يدفعوا رواتب الجُند، وبعد هزيمتهم احتموا على ظهور المراكب البحرية، فأسمعهم الوالي كلاماً جارحاً، وقام بطردهم من الخدمة العسكرية، فلزموا بيوتهم، وهم ينتقدون بالعلنِ أعمال محمد علي باشا وبقيت قواتهم تُحيط بمنازلهم مُدة (١٧) سبعة عشر يوماً، ثمَّ أمر محمد علي باشا الخازندار (مُحاسب المالية) أنْ يَصرِفَ لهم مُستحقاتهم المالية لِمُغادرة مصر. فباعوا أملاكهم، وهم يتذمرون

(١) طلب محمد علي منهم الحضور إلى بلاطه لوحدهم دون حُراسهم أو سلاحهم.

من قساوة الإجراءات، ويعترضون على ما أصابهم، وأشاعوا بين الألبان أنَّ محمد علي باشا، يُريد أنْ يتخلص من الضُّباط الألبان في جيشه، ويستبدلهم بِضُبَّاطٍ وعناصر آخرين من الأتراك يقومون على خدمته.

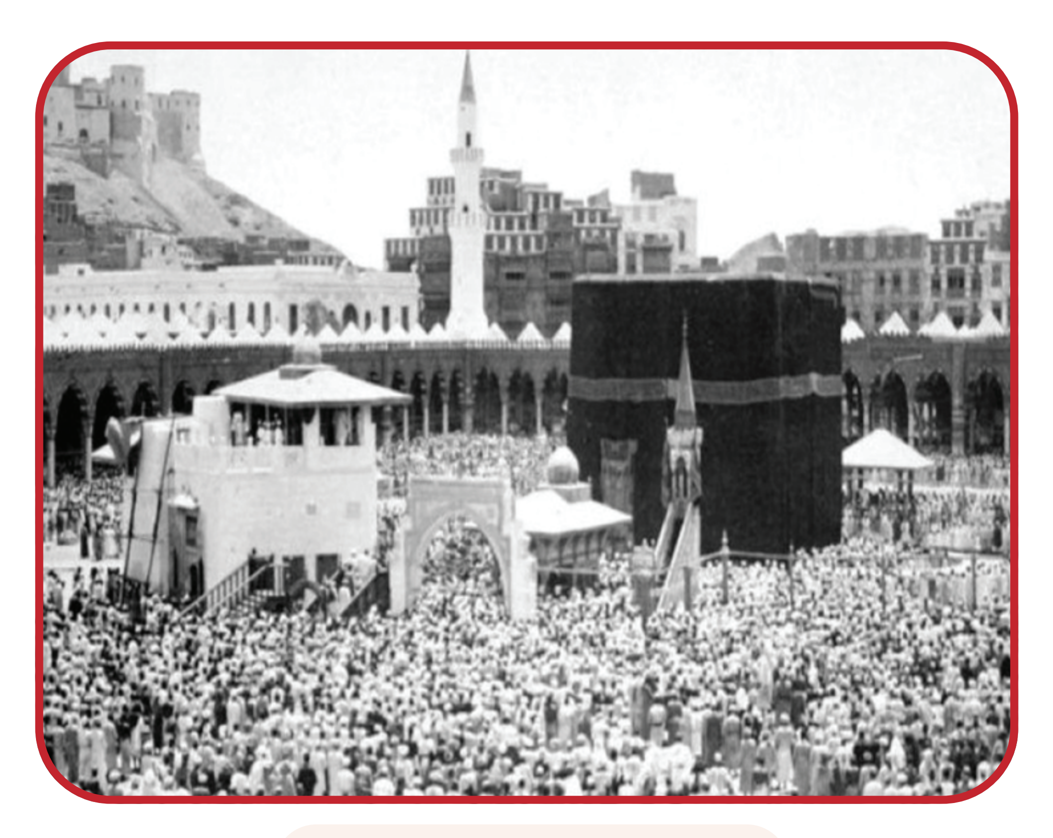
خامساً: الحجة الثَّامنة للإمام سعود بالمُسلمين سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م):

وفي هذه السَّنة حجَّ الإمام سعود بن عبد العزيز حجَّته الثَّامنة(١) بجميع المُسلمين من جميع النواحي من الأحساءِ، وعُمان، ونجد، والجنوب، والحِجاز، واليمن، وتِهامة، وغيرهم. ووافى ابنه الأمير عبد الله بن سعود بعد قدومه من معركة الخيف، فاجتمع به في مكَّة المُشرفة. ونزل الإمام سعود قصر البياضية الشمالي، وأهدى إليه الشَّريف غالب هدايا ثمينة، هي (٣٥) خمسٌ وثلاثون رأساً من الخيل، وأعطاه سعود هدايا جزيلة، واجتمع به مراراً كثيرة، كأنه أحد نوابه في نجد.

• وقام الإمام سعود بكسوةِ الكعبة المُشرفة، وتزيينها بالديباجِ الأسود، فجعل إزارها وكسوة بابها من الحرير المُطرز بالذهبِ والفضة، وبذل فيها من العطاءِ الشيء الكثير من الغالي والنفيس، ثمَّ رحل منها هو وابنه عبد الله ومن معهم من الجنود في العشرِ الأواخر من ذي الحجة، بعد أنْ جعل فيها حامية عسكريةً من قواته، وأرسل إلى المدينةِ المُنورة جموعاً كثيرة، من أهل نجدٍ، واليمن، والحِجاز، لضبطِ القلعة ونواحي المدينة المُنورة وحفظها، ثمَّ رجع الإمام سعود بن عبد العزيز إلى عاصمته الدِّرْعيّة في نجد،

(١) تحفة المُشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، عبد الله البسام، ص٢٦٦.

وأذِنَ لأهل النواحي من قواتهِ أنْ يرجعوا إلى أوطانهم، ويُذكر في ذلك الوقت أنه لم يحج أحد هذه السنة من أهل إسطنبول، ولا مصر، ولا الشَّام، ولا غيرهم، إلا قلة من أهل المغرب حجوا بأمان[١].



* طواف الحجاج حول الكعبة المُشرفة[٢].

(١) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٧.

(٢) انظر الموقع: //www.lahlooba.com/forum/pictures/topic-t331.html

سادساً: حملة أحمد بونابرت لمؤازرة طوسون باشا في الحِجاز (١٢٢٧هـ/١٨١٢م) وسقوط الصّفراء:

أساليب طوسون باشا غير القتالية:

بعد هزيمة جيش طوسون باشا في وادي الصّفراء ورجوعه إلى يَنبُع، لم يُرِد أنْ يُضيع الوقت المُقرر لانتظار المَدد من والدهِ في مصر، كما أنه لمْ يشأ أنْ يجعل جنوده وأسلحته رغم كثرتها هي الوسيلة الوحيدة لكسبِ الحرب مع الدَّولة السُّعودية، لذلك لجأ إلى الأسلوب الذي سبق أنْ استخدمه في بداية الحملة؛ وهو الإغراء المالي بهدف استمالة قلوب شيوخ القبائل البدوية، القاطنة على طريقهِ، من يَنبُع إلى المدينة المُنورة التي كانت الهدفَ الأول الذي صوَّب سهمه إليه.

وهنا لجأ طوسون باشا إلى الإغداقِ بالكرمِ الحاتمي في مُعاملتهِ لرؤساءِ القبائل و العشائر، والحواضر حتى يُقوي بهم جانبه، ويشتدّ ساعده، ولقد استفاد في ضمهم إليهِ من مشورة شيوخ ووجهاء قبائل كبيرة كانت قد ساندته في جولته الأولى(١).

ولتحقيق هذا الغرض نجد أنَّ مُحمَّد علي باشا والي مصر اجتهد في جمعِ المبالغ المالية وإرسالها مع حملةِ المؤازرة التي قدمت إلى يَنبُع، بقيادة القائد العسكري أحمد بونابرت، وما إن اجتمعوا في

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٢٨، بتصرف.

يَنبُع حتى بدأوا في توزيع صناديق الأموال، والألبسة، والهدايا، على شيوخ ورجالات القبائل البدوية، التي تقطن في طريق يَنبُع المدينة المُنورة، وهو الذي مَهّد له السبيل للاستيلاءِ على مكَّة المُشرفة والمدينة المُنورة[١].

واستطاع المحروقي - كبير تُجَّار مصر - وبفضل تأثير الذَّهب على أفئدة شيوخ القبائل البدوية استمالة عدد كبير من قبيلة حرب، فاستمال شيوخ عشيرتي: بني سالم، وبني صبح اللتين كانتا تحتلان شِعب وادي الصّفراء والجديدة[٢].



* وادي الصفراء[٣].

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢١٨.

(٢) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣٥.

(٣) انظر الموقع: https: //twitter.com/nonet911/status/625199327221186560?lang=it

ومن هنا فقد كان لهذا الإغراء المادي عملٌ كبيرٌ في التأثيرِ على قلوب شيوخ وأعيان القبائل، إضافة إلى كثافة جيش الحملة، ورهبة كثير من هذه القبائل، وخوفها من النتيجة، التي توقعوا أنْ تكون ضد القوات السُّعودية أمام هذه العظمة والعدد والعُدّة، كل هذه العوامل حَتَّمت على بعض شيوخ وأفراد القبائل اتخاذ ذلك الموقف، كما فعلت قبيلة جُهينة التي تبعت وشيوخها جيشَ حملةِ طوسون باشا بعد وصول حملة إمدادات أحمد بونابرت[١] إلى يَنبُع[٢].

السيطرة دون حرب:

ولما وصلت إمداداتُ وتعزيزات الوالي مُحمَّد علي باشا إلى ولده بقيادةِ أحمد بونابرت، أصلح طوسون باشا مدفعيتهِ، وجميع صنوف أسلحته، ثمَّ استعدت الحملة بالعدة والعتاد إلى التوجه نحو بَدْر التي تقع عند مدخل تلك الجبال التي يتحتم عبورها في الطريق إلى المدينة المُنورة.

وقبل أنْ يشرع طوسون باشا بالمسيرِ أمر بقطع رأس كيخياه، بعد أنْ اتهمه بأنه مِمّن كانوا سبباً في هزيمةِ جيشهِ في ملحمة وادي

---

(١) يقول بوركهارت عن هذا القائد المصري: "ونحن لا يمُكن أنْ نُنكر أنَّ أحمد آغا كان جُندياً شُجاعاً؛ لكنَّ إدمان هذا الرجُل للمُسكرات والشهوات بأرذل أنواعها هو الذي جرد ذهنه من الطاقة والتمييز". مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٣١.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص١٣٥.

الصفراء، فقد ثبت عليه أنه خلال المَعركة اقتلع أوتاد خيمته وانسحب مع أمتعتهِ، فتبعهُ الجنود مُنهزمين، وكان الكيخيا مملوكاً سابقاً لدى مُحمَّد بيك الألفي، وكان منذ زمن في خدمة مُحمَّد علي باشا الذي عينهُ في الحملة بجانبِ ولده طوسون باشا.

عسكرت قوات طوسون باشا من جديد في بَدْر لبعض الوقت، ثمَّ تحركت وقامت بالمسير، وفي طريقها استطاعت الاستيلاء على المناطقِ التي تمُر منها، وتوضيب وضبط الأمن فيها، ابتداءً من يَنبُع البحر ويَنبُع البر، والمويلح، ووادي الصّفراء، وبلدان بوادي قبيلة حرب.

كان شيوخ وأعيان القبائل التي استمالها طوسون باشا، يأتون للمثولِ أمامه فيُهديهم الهدايا الثمينة من العباءات المُبطنة بالفراء، والأموال، والبشوت، والثياب الفاخرة، والسيوف المُرصعة بالذهب والفضة، فشمل كرمه جميع من أتى إليه.

ولكسبِ القلوب، واستمالة العامة والخاصة في تلك الفترة، كان طوسون باشا يستقبل العامة والوجهاء والشيوخ ببشاشة وترحيب مُنقطع النظير، لدرجةِ أنَّ كُلَّ من قدمَ إليه أقسم أنه سوف يكون عدواً لعدوه. وبذلك استولى طوسون باشا على مواقع السُّعوديينَ بدون قِتال، وتابع مسيره مُتجهاً إلى المدينة المُنورة.

وفي ذلك يقول الجبرتي: وفي(٢٤)رمضان سنة(١٢٢٧هـ) أول أكتوبر سنة(١٨١٢)م) وردت هجَّانة مُبشِّرون باستيلاء الأتراك على عقبة الصّفراء والجديدة من غير حرب، بل بالمُخادعة والمُصالحة مع العرب، وتدبير شريف مكَّة (الشَّريف غالب)، ولم يجدوا بها أحداً من "السعوديين"، فعندما وصلت هذه البشائر ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من القلعة[1].

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، من دون تاريخ، ج٣، ص٣٥٣، بتصرف.

سابعاً: احتلال المدينة المُنورة سنة (١٢٢٧هـ/١٨١٢م):

وصل طوسون باشا بجيوشهِ إلى المدينة المُنورة -دون مُقاومة تُذكر- في منتصفِ شوال من عام (١٢٢٧هـ/١٨١٢م)، بعد مسيرٍ دام ثلاث ليالٍ بسببِ الحر الشَّديد الذي كان يمنع قوات الحملة العُثمانيَّة من السير نهاراً.

وكانت حاميةٌ عسكريةٌ سعودية بقيادة القائد السُّعودي إبراهيم بن عفيصان تُسيطر على المدينةِ المُنورة مع قلعتها مُنْذُ العام السّابق، وكانت الحامية والقلعة، مُزودتين بالمؤن تحسُّباً لحصارٍ طويل[1].

وقد وقعت بعض الاشتباكات العسكريَّة بين جيوش الحملة وبين قوات الحامية السُّعودية المُرابطة أمام المدينة المُنورة، وترتب على هذهِ الاشتباكات دخول القائد المصري أحمد بونابرت إلى ضواحي المدينة وراح يُطارد المُقاتلين السُّعوديينَ إلى داخل المدينة المُنورة، حيث خرج سُكانها إلى الضواحي عند وصول قوات طوسون باشا، وانضموا إلى قواتهِ ضد القوات السُّعودية، ثمَّ أمر طوسون باشا بمُحاصرة المدينة، وبدَأوا بقصفها بالمدفعية الثقيلة، وبدأ الجيشان يتبادلان إطلاق نيران البنادق بغزارة شديدة.

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤٠.

وبعدها أمر طوسون باشا بإرسال النذير إلى الأهالي داخل المدينة المُنورة، وطلب منهم ضرورة التَّخلي عن مُساندة السُّعوديينَ أو الدفاع عنهم، وطلب منهم ارتداء ثيابهم المألوفة، لكي يستطيع جنوده تمييزهم عن الجنود السُّعوديينَ داخل أحياء المدينة فيدعهم وشأنهم، وقد أكد لهم أنه لن يُصيبهم أي أذىً خلال الهجوم إذا ما التزموا أوامره وتعليماته.

حصَّن السُّعوديون المدينة المنورة بسورٍ داخليٍّ قوي وعالٍ، وبقلعة قوية، وكان فيها عدد كبير من الجنودِ قد توزعوا على جميع النواحي؛ حيث جعلهم فيها الإمام سعود بن عبد العزيز وقت رجوعه من الحج نحو (٧٠٠٠) سبعة آلاف رجل، لكنهم ابتلوا بالأمراض المؤلمة.

ولكن بعد أنْ حاصرتهم القوات العُثمانيَّة حِصاراً شديداً لمُدة (١٥) خمسة عشر يوماً، رموهم بالمدافع والقنابر[١] و قاموا بقطعِ المياه الداخلة إلى وسط المدينة المُنورة، ثمَّ حفروا سرداباً تحت سور قلعة المدينة، وملؤوه بالبارود، وبينما كان السُّعوديون يؤدون صلاة الظهر، أشعلت قوات طوسون باشا فيه النار وثَوَّرُوا فيه البارود، وما هي إلا مُدة قصيرة حتى انهدم السور[٢].

---

(١) القنابر: هي القنابل: وكلمة قنبلة أصلها في التركية قانوبور، نقلها العرب عنهم، ونطقوها: قنبر ثمَّ قنبرة. وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي شاع استخدام كلمة قُنبلة بدل قنبرة. وكانت تُطلق على حشوة المدفع، ثمَّ توسعوا بها وأطلقوها على كُرته الحديدية. مجلة الفيصل، العدد: ٢٥٢، ص١٠٥.

(٢) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٨، ٣٢٩؛ مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤٠.

وأثناء ذلك الحصار الذي دام خمسة عشر يوماً قام السُّعوديون بعدةِ طلعات قِتالية، حيث أبطلوا مفعول حقل ألغام ودمروه كُلياً كان جيش طوسون باشا قد ربطه حول سور المدينة.

• دخول قوات طوسون باشا إلى المدينة المُنورة:

بعد انهيار سور المدينة حاول المُرابطون السُّعوديون الدِّفاع عن مدينتهم بكل ضراوة وبسالة وإيمان، ولكن الوضع العام الذي كان فيها لم يُكن في صالحهم، فعامل المُباغتة الذي سلكه طوسون باشا وجيشه كان قد أثَّر في قوةِ وحدات الدفاعِ السُّعودي، ونظراً لأنَّ أهالي البلدة سَهَّلُوا دخول الغُزاة، وفتحوا لهم الأبواب(١)، دخلت قوات طوسون باشا بأعداد كبيرة إلى داخل المدينة المُنورة، وقد أعملوا حدّ السيف في قسم من جنودِ الحامية، حيث قُتل منهم حوالي(١٠٠٠) ألف مُقاتل، بينما لجأ القسم الآخر منهم إلى القلعة. وانتظروا عبثاً وصول المُساعدات إليهم.

ولكثرةِ الجُثث في المدينة حينها نتيجة القصف بالمدافع وانتشار الأمراض اضطرت القوات السُّعودية إلى طلبِ الأمان، وعقد الصُّلح مع طوسون باشا، بعد أنْ نفدت كلّ الحلول التي بين أيديهم، وقد هلك منهم في القلعة جمع غفير، وصل إلى حدود (٤٠٠٠) أربعة آلاف مُقاتل، عندها طلب حاكم المدينة المُنورة من طرف الإمام

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٢١.

سعود إبراهيم بن عفيصان من قائد الحامية السُّعودية المُرابطة (مسعود بن مضيان الظاهري الحربي) أن يأمر الجنود بالاستسلام لقوات طوسون باشا، فوعده طوسون باشا- مَكراً وغدراً- بأنْ يسمح له ولقواتهِ بالخروج سالمين مُكرمين حاملين معهم أسلحتهم وأمتعتهم، فقدَّم لهم ما يكفي من الجمال لنقل الجرحى والمرضى، ووعدهم بالسماح لهم بالذهاب إلى أي مكان يريدون.

كان أهل المدينة المُنورة مُتعبين من حصارها الذي استمر (٧٥) خمسة وسبعين يوماً، ففرحوا بوعود طوسون باشا لقائدِ القوات السُّعودية على أنه مؤشر لتغييرِ الوضع بوضع أفضل مما هو كائن.

ولكن طوسون باشا لم يفِ بوعده للقائد السُّعودي الفّذ مسعود بن مضيان الحربي ولقواته، وسرعان ما أعطى أوامره بإلقاء القبض عليه[١]، وأسْرِهِ وإرساله إلى القاهرة، و بعدها أُرسل إلى السُّلطان العُثماني بإسطنبول، حيث قُتل هناك، كما قُبض

---

(١) انسحب القائد السُّعودي مسعود بن مُضَيَّان الظاهري شيخ قبيلة حرب من داخل المدينة المنورة مع عائلته، وأربعين رجلاً من رجاله إلى منزلٍ بناه في إحدى الحدائق، وحصنه تحصيناً جيداً في بيارة من بيارات النخيل تبعد مسير ساعة عن المدينة المنورة، وعندما جرى الاستيلاء على البلدة استسلم الرجل بعد حصوله على الأمان لنفسه ولأسرته وأتباعه ومعهم كل أمتعتهم، وجرى تخصيص منزل لإقامتهِ في الضواحي وأنزل فيه أسرته وبضاعته، لكن عندما استسلمت قلعة المدينة خرَّب جيش طوسون باشا بيته وقتلوا أبناءه وخدمه، وقيدوه بالأغلال وأرسلوه إلى يَنبُع. وأُرسل مسعود بن مُضَيَّان من يَنبُع إلى القاهرة، ثمَّ من القاهرة إلى الأستانة، حيث قُطع رأسه هناك في آخر سنة(١٢٢٧هـ)ـ انظر: مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤١، ١٤٢؛ والدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، مُحمَّد البسام، تحقيق سعود العجمي، ذات السلاسل، الكويت، ص٤٠؛ ابن مُضَيَّان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية في عهد الدَّولة السُّعودية الأولى، فايز البَدْراني، ص٤٩.

على حاكم المدينة المُنورة السابق حسن قلعي، وعُذب وأرسل إلى مصر[١].

ثمَّ لحِقت قوات طوسون باشا بمن تبقى من جنود الحامية السُّعودية خارج حدود المدينة المُنورة، وقتلوا أكبر عددٍ منهم، ولم ينجُ منهم بالهرب سوى قلة قليلة، وبَنتْ قوات طوسون باشا من جماجم المُقاتلين السُّعوديينَ بُرجاً مُرتفعاً على طريق يَنبُع، مما أثار عواطف القبائل البدوية في تلك المنطقة على القوات السُّعودية، وأثار غضبهم ونقمتهم على قوات طوسون باشا الغازية.

وصلت أخبار هذا الانتصار الذي أحرزته قوات طوسون باشا إلى مصر في العاشر من شهر ذي الحجة من عام (١٢٢٧هـ/١٨١٢م)، وكان مع البشيرِ وصول مَفاتيح المدينة المُنورة لوالي مصر، مما صار مَدعاة لسروره وانتشارِ الفرح في بلاده، وبعد ذلك أُرسلت المَفاتيح للسُّلطان العثماني[٢]في الأستانة.

وفي هذا الصدد يقول الجبرتي: "في ١٠ ذي الحجة سنة(١٢٢٧هـ)، يوم الأضحى وردت هجانة من ناحية الحِجاز، وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على قلعة المدينة المُنورة، ونزول المتولي على حكمهم، وأنَّ القاصد الذي أتت بشائره وصل إلى ميناء السويس وبصحبته

(١) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٢٩.

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج٣، ص٣٥٩.

مفاتيح المدينة المُنورة، فحصل للباشا (مُحمَّد علي) بذلك سرور عظيم، وضربوا مدافع بعد مدافع العيد"[١].

وقد كان للاستيلاء على المدينة المُنورة أثر كبير في قلوبِ كثير من الموالين ظاهرياً للدَّولة السُّعودية وخاصة القريبين من منطقة الأحداث وساحة الحرب مثل: الشَّريف غالب حاكم مكَّة المُكرمة، (الذي ذاع بين الناس صيت مكره، وخداعه، ودهائه)[٢] فنجده يَقلب للدَّولة السُّعودية ظهر المِجن، ويُساعد في دخول مكَّة، وما حولها في نطاق نفوذ الدَّولة العُثمانيَّة.

وليُطمئِن أهل المدينة بعد هذهِ الأحداث والمعارك، وجه طوسون باشا أثناء إقامته في المدينة المُنورة أمره بكُل عناية إلى ضرورة تدبير أمر سُكانها، وتسهيل وتنظيم معيشتهم، فعيَّن عليها والياً جديداً، عُرِفَ بحزمهِ وقساوته، ليُعيد الأمن والأمان فيها. فأعاد تنظيم القوات داخلها وفي الطُّرق المؤدية إليها، وأمر بضرورة استمرار الاستطلاع للتعرُّف على آخر شؤون وتحركات أعدائه السُّعوديينَ.

(١) المصدر السابق، ج٣، ص٣٥٩.

(٢) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهات، ص١٣١.

ثامناً: احتلال جدة سنة (١٢٢٨هـ/١٨١٣م):

بعد ذلك عاد طوسون باشا على رأسِ فرقةٍ من المُشاة إلى ميناءِ البريكة، مُتجهاً بحملةٍ عسكرية إلى مدينة جدة - قوامها (١٠٠٠) ألف حصان و (٥٠٠) خمسمائة من جنود المُشاة - فدخلها، دون أنْ يجد في طريقهِ أي مُقاومة أو مُمانعة من أعدائه السُّعوديينَ، دخول الظافرين حيثُ استقبله فيها الشَّريف غالب بن مساعد وأتباعه بموكبٍ حافلٍ وبترحابٍ شديد، وكان الجميع يعيش حالة النصر والغبطة والسرور، وفي صباح اليوم التالي ذهب الشَّريف غالب إلى مقرِ إقامةِ طوسون باشا ليُهنئه بانتصارهِ الذي حققهُ على الدَّولة السُّعودية الأولى، فاستقبله طوسون باشا بحفاوة مُتبادلة تليق بمقامهِ ومكانتهِ وخدماتهِ التي قدمها له.

تاسعاً: احتلال مكَّة المُكرمة والطائف (١٢٢٨هـ/١٨١٣م):

كان الإمام سعود بن عبد العزيز، قد أدى حجه لهذا العام، وهو يعلم بخبرِ احتلال المدينة المُنورة على يدِ جيش مُحمَّد علي باشا، وأثناء إقامته في مكَّة المُكرمة تلقى العهد والميثاق من شريفها غالب بن مساعد بعدمِ الخيانة والغدر، وبأنه سوف يكون جُندياً من جنود الدَّولة السُّعودية يُدافع عن بلادها المُقدسة وفي مُقدمتها مكَّة المُكرمة، إلا أنَّ الأيام أثبتت عكس ذلك، واتضح أنَّ ذلك كان نوعاً من الخداعِ والمُهادنة ليس إلا، حيثُ إنَّ الشَّريف غالب قدَّم خدمات جليلة لجيش الحملة العُثمانيَّة، وساعدها في الدخول إلى مُدن الحِجاز[1].

بعد أنْ تمكن طوسون باشا من دخولِ جدة أرسل طليعة عسكرية استكشافية بقيادةِ مصطفى بك إلى مكَّة المُكرمة، ليطمئن على سلامة الطريق، ولكي يعرف مدى إخلاص الشَّريف غالب لهم.

وبعد انتهاء الإمام سعود بن عبد العزيز من مناسك الحج ومُغادرته الحِجاز كانت جيوش حملة طوسون باشا تتجه صوب مكَّة، وكانت قد استطاعت السيطرة عليها دون أي مُقاومة تُذكر، بلْ إنَّ الشَّريف غالب استقبل قوات طوسون صباح يوم الأحد

(١) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٣٠.

الموافق للعشرين من شهر محرم عام(١٢٢٨هـ/١٨١٣م)، وأسكن قادته في بيتهِ تأكيداً منه على حُسنِ الضيافةِ وكرم الاستقبال[١]. ثمَّ قام بنقلِ مقرِ إقامته من جدة إليها.

كما قام جمعٌ من العلماءِ وأئمة المسجد الحرام آنذاك بالمُبادرةِ إلى مُكاتبة مُحمَّد علي باشا تأييداً له، مع الدُّعاء له بالعزِ والمنعةِ، ومُباركة له على انتصاراتهِ وفتحه لمكَّة المُكرمة[٢].

وسرعان ما وردت الأخبار إلى مصر بفتح مكَّة، فزُيِّنت المدينة خمسة أيام مُتواليات ابتهاجاً بهذا النصر.

قال الجبرتي: "وفي يوم الثلاثاء (٧) صفر سنة(١٢٢٨هـ) (٩ فبراير) (١٨١٣م) وردت بشائر من البلاد الحِجازية باستيلاء العساكر العُثمانيَّة على جدة ومكَّة من غير حرب، فضربوا مدافع كثيرة، ونودي في الصباح بتزيين المدينة ومصر وبولاق، فزُيِّنت خمسة أيام أولها الأربعاء وآخرها الأحد"[٣].

بعد أنَّ وطَّد طوسون باشا مركزه في مكَّة المُكرمة، تقدم نحو الطائف التي تبعد عن مكَّة مسير ثلاثة أيام باتجاهِ الشرقِ يُرافقه الشَّريف غالب بقواته، وكان الإمام عبد الله بن سعود قد أوكل

---

(١) من وثائق الدَّولة السُّعودية الأولى في عصر مُحمَّد علي، عبد الرحيم عبدالرحيم، ص٣١٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢٢.

(٣) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج٣، ص٣٨٣.

مُهمة الدفاع عنها للقائد السُّعودي عثمان المضايفي، وشدَّد عليه أنْ يبذل جهده في عدم سقوطها مهما كلَّفه الأمر، لكن مدينة الطائف بعد سقوط بلدة العبيلا[١]، ما لبِثت أنْ سقطت في يد قوات طوسون باشا بسبب كثرتهم وحداثة سلاحهم، فانسحب منها القائد السُّعودي عثمان المضايفي[٢]، ومعه أولاده ونساؤه وبعض خيله وما خفَّ حمله من أموالٍ ومتاع، واتجه إلى حيث تُعسكر القوات السُّعودية، ولما كان في طريقه إليهم مرَّ بديارِ عشيرة العصمة من قبيلة عتيبة، فألقوا القبض عليه، وسلموه للشريف غالب، فقيَّده وأرسله إلى مصر في شهر ذي القعدة، ثمَّ أرسلوه من مصر إلى إسطنبول وقُتل هناك. كما قُتل من أهله نحو سبعين رجلاً.

وقد حصل طوسون باشا من ذلك على مُكافأة من السُّلطان العثماني، وهي رتبةُ باشا بثلاثة ذيول[٣] في شهر ذي القعدة سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) بعد دخوله المدينة المُنورة وجدة ومكَّة المُكرمة والسيطرة عليهن.

---

(١) قرية تقع شمال شرقي الطائف، واقعة بين الطائف وتُرَبة. انظر: موقف أهل الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص٧٧.

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة رقم ٣، بحر بر، الوثيقة رقم٣، تاريخ ١٨٢٨/١/١٥م، رسالة من مصطفى بيك إلى مُحمَّد علي باشا بخصوص الاستيلاء على جدة ومكَّة، ٢٨ يناير ١٨١٣م.

(٣) كانت رُتبة الباشا في الدَّولة العُثمانيَّة رتبة عسكرية، وتكون بذيل واحد، وذيلان، وثلاثة ذيول وهذه أرفعها درجة، والذيل هي عبارة عن شارة تُصنع من ذيل الخيل، وتُزَّين بالذهبِ. انظر: مصطفى بركات الألقاب والوظائف العُثمانيَّة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٦٧، ٦٨.

وكان بين خروج الجيش السُّعودي من الطائف ودخول الحملة إليه ثلاثة أيام، حيث دخلتها في(٢٦) محرم (١٢٢٨هـ)، وكان خروج القوات السُّعودية في(٢٣)منه[١].

(١) تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٣٢.

فهرس الفصل الثَّالث

معارك القوات السُّعودية مع قوات طوسون باشا في الحِجاز:

الفصلُ الثَّالث: معاركُ القوات السُّعودية مع قوات طوسون باشا في الحِجاز

أوّلاً: وصولُ الإمام سعود بن عبد العزيز إلى الحِناكية، وهجومه على قوات طوسون باشا (١٢٢٨هـ/١٨١٣م):

بعد الانتصارات المُتتالية التي حققها جيش مُحمَّد علي باشا بقيادة ابنه طوسون باشا، واحتلاله مكَّة المُكرمة، والمدينة المُنورة، وأهم مواقع الحِجاز، بقيَ الإمام سعود بن عبد العزيز مُنذُ نزول الجيش العثماني إلى يَنبُع، يُراقب تطور الوضع عن كثب، لينظرَ مراحل القتال دون أنْ يُخاطر فيها، وترك لبعض أنصاره مُهمة الاشتباك مع الجيش العثماني في المعارك المُتقدمة، وكان خلال هذه الفترة يدرس أساليب الجيش العثماني في الحرب، ويتعرف مبلغ قوته، ويرسم الخِطط، ويستعد لمُلاقاتهِ في الوقتِ المُناسب، فلما بلغه نبأ احتلال الطائف أمر قواته بالزحف إليها، وكانت مؤلفة من جيشين، الأول يقوده بنفسه، ووجهته مدينة الحناكية، والثَّاني يقوده ابنه الأمير فيصل بن سعود، ووجهته تُربَة[١].

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣٠، ١٣١.

أما الفرقة الأولى فقد كانت بقيادة الإمام سعود بن عبد العزيز، وتمكنت من مُهاجمة العساكر العُثمانيين المُرابطين فيها، بقيادة القائد الألباني عثمان الكاشف، وعددهم نحو (٣٠٠) ثلاثمائة فارس ومُقاتل وتمخّض حصارهم إلى جنوحهم لطلبِ الصُّلح، مما جعل الإمام سعود بن عبد العزيز يحفظ لهم حياتهم في حالِ وافقوا على شروطه بإبرام الصُّلح معهم الذي ينص على: ضرورة مُغادرتهم الجزيرة إلى العراق، وأنْ لا يعودوا للقتالِ ضده مرة ثانية، وإلا فهو في حلٍّ من عهده معهم، ويحلُّ له قتلهم أو أسرهم، وبعد إذعان القائد عثمان كاشف ومُساعديه للصُّلح، أرسلهم الإمام سعود بن عبد العزيز تحت حماية فرقةٍ عسكرية من جنده بقيادة أمير جبل شمر، والجوف، مُحمَّد بن علي[١] إلى العراق[٢].

ربما يرجع السبب في عدمِ قتلهم، والاكتفاء بإرسالهم إلى العراق تمهيداً للسلام مع الأعداء، ومُحاولة إظهار حُسن النوايا، وحُسن المُعاملة في الجانب الإنساني مع الأعداء الذين حاربوا الدَّولة السُّعودية وأرادوا القضاء عليها، وهذا قد يكون سبباً في كسبِ واستمالة قلوب كثير من قبائل البدو لنصرةِ الإمام سعود بن عبد العزيز ضد الحَملات العُثمانيَّة.

---

(١) مُحمَّد بن علي: هو الأمير مُحمَّد بن عبد المحسن بن فايز بن علي. عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٦٣.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٣٣.

كما أنَّ الإمام سعود بن عبد العزيز قام بعدةِ حملات عسكرية تأديبية لعددٍ من القبائل المُقيمة قُرب المدينة المُنورة لنقضها العهد معه، ومُساندتها لجيوش طوسون باشا، فسار إلى بوادي قبيلة حرب والتقى بفرقة موحدة من بدو حرب والأتراك وحدث بينهم معركةٌ وقتالٌ دموي، فانتصر عليهم.

ثمَّ اتجه إلى وادي الصفراء والحرّة، وحاصر أهل بلدة السوارقية، إلى أنْ نزلوا بالأمان الذي منحهم إياه الإمام سعود بن عبد العزيز، وجمع من جراء ذلك غنائم كثيرة وزعها على أتباعه السُّعوديينَ الذين قاموا بنصرته ووقفوا في صفِّه.

لقد انزعج طوسون باشا من هذه الانتصارات التي أعادت إليه ذكريات معركتي: الخيف والصفراء اللتين انهزم فيهما أمام جحافل القوات السُّعودية، وبهذا فإنَّ قوة الإمام سعود بن عبد العزيز هذه والمكونة، حسب تقديرات بعض المؤرخين، من حوالي (٢٠٠٠٠) عشرين ألف مُقاتل، استطاعت أنْ تُحقق نتائج ميدانية كبيرة، حيث أخضعت بعض القبائل البدوية لسُلطتها، وحققت إنجازاً مُهماً بإخلائها لمدينة الحناكية ذات المكانة الاستراتيجية من الجيوش العُثمانيَّة[1].

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٢٨، ٢٢٩.

وقد استولى الإمام سعود بن عبد العزيز على مقرّ الحامية العُثمانيَّة، وعلى أسلحتها من بنادق ومدفعية وذخيرتها وعلى خيامها وأمتعتها. وتابع المسير بقواتهِ العسكريَّة إلى أنْ وصل إلى المدينةِ المُنورة، وعندها بدأوا بقطعِ الطُّرق البرية بين مكَّة المُكرمة والمدينة المُنورة والقصيم أمام البريد والمؤن والإمدادات العسكريَّة للجيوش العُثمانيَّة[١].

وما أنْ عَلِمَ طوسون باشا بهذا النبأ وهو في مكَّة المُكرمة حتى أرسل على الفور سلحداره[٢]، صالح آغا، في حملةِ استطلاع مؤلفة من (٣٠٠) ثلاثمائة مُقاتل من جنود المدفعية، ومثلهم من كتيبة الفُرسان فاتجه هذا القائد إلى المدينة المُنورة، ثمَّ عاد إلى يَنبُع البر، حيث اشتبك في طريقه مع عدةِ حاميات سعودية، استطاع من خلالها أنْ يوصل ما انقطع من اتصال مع المدينة المُنورة.

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣٠، ١٣١.

(٢) السلحدار: هو المسؤول عن سلاح السلطان أو القائد، وغالباً ما يكون هو رئيساً لحرس سيده.

ثانياً: حصار تُرَبة وهزيمة قوات طوسون باشا فيها(١٢٢٨هـ/١٨١٣م):

الأمير فيصل بن سعود في تُربة:

في هذهِ الأثناء تحركت القُوة الثَّانية من جيشِ الإمام سعود بن عبد العزيز تحت إشراف وقيادة نجله الأمير فيصل بن سعود، ونزلت في بلدةِ تُرَبة التي تَبعُد عن الطائف مسافة تُقدر بحوالي سبعين أو ثمانين ميلاً باتجاه الشرق، وعسكرت وتحصنت فيها.

قبل ذلك كان الإمام سعود بن عبد العزيز قد أمَرَ ولده فيصل ألا يُواجه قوات عدوه طوسون باشا إلا في تُرَبة، وأنْ يجعل بعضاً من قواتهِ تتحصن في بيشة وأنْ يضع الفُرسان والهجانة في المضائق حتى يسهل عليهم قطع طُرق مرور قوات طوسون باشا.

وصول طوسون باشا إلى تُربة:

وقد تَقدَّم طوسون باشا من الطائف في أواخر شهر أكتوبر سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) ومعه (٢٠٠٠) ألفا رجل للاستيلاء على بلدةِ تُرَبة، وكان برفقته القائد مصطفى بيك، وقد حاصراها حِصاراً مُحكماً .

نتيجة الحصار:

استمر حصار طوسون باشا لتُرَبة مُدة (٨) ثمانية أيام، وأياً كان الأمر؛ فإنَّ النتيجة النهائية كانت تراجع طوسون باشا مع قواته بعد أنْ أيقن بعدمِ جدوى استمرارية الحصار والقتال ضد غالية البقمية وقواتها.

وفي هذا الصَّدد يقول بوركهارت: "إنَّ الجنود قالوا لطوسون باشا: إنَّ استمرارهم في القتالِ سوف يَفنيهم، ولا يُبقي على أحد منهم، ويكفي أنْ عدد قتلاهم في اليوم الأول بلغ (٧٠٠) سبعمئة قتيل، ومات الكثيرون منهم بسبب نقصِ الماءِ والتموينات "[١]

المقاومة من داخل تُربة:

كانت قبيلة البقوم[٢]تَسكن بلدة تُرَبة، وكان رجال هذه القبيلة القوية قد حصّنوا بلدتهم تُرَبة بسورٍ قوي وخندقٍ عميق أحاط بها من جميع الجوانب، بالإضافة إلى أنهم ملؤوه بالمياه حتى يكون عقبة كبيرة في وجه تقدم القوات إلى داخل تُرَبة، وكانت شبكة غابة النخيل الكثيفة المُحيطة بتُرَبة بمثابةِ سورٍ إضافي[٣] لها ساهمت في زيادة قوة تحصينها، ضد ضربات الأعداء، وصدِّهم عن التقدم، وما

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٥.

(٢) البقوم: قبيلة عربية وبطن من بطون قبيلة الأزد القحطانية، وهي من القبائل الّتي تحمل نفس الاسم مُنذ العصر الجاهلي، وهي إحدى قبائل الأزد الّتي نزلت جِبال السراة، ويُطلق عليهم أزد السراة.

(٣) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤٥.

إنْ رأت القوات السُّعودية القوات العُثمانيَّة، حتى خرجوا بقيادة غالية البقمية لِقتالهم(١).

أمام هذه القوات، لم يكُن بمقدور الجيش السُّعودي في بلدةِ تُرَبة إلا المُقاومة الشرسة، وبقي على هذهِ الحالِ من المُقاومة والقتال، والصمود، والأخذ والردّ، إلى أنْ وصلت إليه تعزيزاتٌ ونجدةٌ من فرقة عسكرية من بلدةِ بيشة، فكان لها أثرٌ بارز في تشتيت جيش طوسون باشا وأحلافه الذين حاصروا الجيش السُّعودي داخل بلدة تُرَبة.

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٦٢.



* أحمد طوسون باشا قائد الحملة العُثمانيَّة المصرية على الدَّولة السُّعودية الأولى[١].

(١) انظر الموقع: https: //ar.wikipedia.org/wiki/

في ذلك الحين كانت أكثر القبائل البدوية الموالية لطوسون باشا والشَّريف غالب في نواحي تُرَبة قد انشقت عنهما، عائدين إلى ما كانوا عليه من نهب وسلب، وانقطعت طُرق المواصلات بين الطائف وتُرَبة.

أما مصطفى بيك القائد العثماني الذي كان قد تلقى الأوامر بالتقدُّم نحو تُرَبة، فقد وجد القوات السُّعودية بقيادة الأمير فيصل بن سعود قد استولت عليها، وكانت مُحصّنة بغابةٍ من النخيل، مُحاطة بِحُفرٍ مملوءة بالمياهِ وتمتد إلى مسافة فرسخين[١].

- غالية البقمية ومعركة تُرَبة[٢]:

هي المُقاتلة غالية بنت عبد الرحمن بن سلطان الغرابيط الرميثاني البَدْري البقمي، زوجة أمير تُرَبة[٣]: مد بن عبد الله بن محي السبيعي في عهد الدَّولة السُّعودية الأولى، وتوفيت نحو سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م).

كان سُكان بلدة تُرَبة من قبيلةِ البقوم الأزدية، وقد برزت واشتهرت هذه الزعيمة والفارسة (غالية) من بينهم في معاركِ بلدتها تُرَبة،

(١) الفرسخ الواحد طوله حوالي ستة كيلو مترات.

(٢) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٥٧ وما بعدها؛ موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) تقع بلدة تُرَبة قرب الطائف في الحجاز.

حيث كان لها صولات وجولات وضربات قاصمة لمُحمَّد علي باشا وابنه طوسون، حينما غزوا الجزيرة العربيَّة بجيوشهم الجرارة.

وقد برزت بطولات هذه الفارسة العربيَّة السُّعودية سنة (١٢٢٨هـ) وسنة (١٢٢٩هـ)،في معارك تُربَة مع العثمانيين.

ذكرها المؤرخ المصري الشَّيخ عبد الرحمن الجبرتي في كتابه: تاريخ الجبرتي، حيث قال بعدما ذكر حوادث جمادى الأولى سنة (١٢٢٩هـ): "والذي أخبر به المُخبرون عن الباشا وعساكره (أنَّ طوسون باشا وعابدين بيك) ركبوا بعساكرهم على ناحيةِ تُرَبة التي بها المرأة[١] التي يُقال لها (غالية)، فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام، ثمَّ رجعوا مُنهزمين، ولم يظفروا بطائل"[٢].

هزيمة القوات العثمانية:

حينها عاد مصطفى باشا ومن معه إلى الطائفِ مُنهزمين، بعد أن خَسِر مدفعيته وأمتعته، وقُتِلَ من جنوده ما يُقارب (٤٠٠) أربعمئة

---

(١) تُعتبر المرأة عند قبائل نجد والحجاز رمزاً للشرف والعِفة والكبرياء، ولذلك فإن البدو يُحيطون المرأة بكامل الرعاية الأسرية والمادية والاجتماعية. كما أنَّ المرأة عندهم مصدر للحب والعشق والتوق للسمو الروحي، فلا تجد رجلاً إلا ويمتلك تجربة في الحب والغرام والعشق، فتجده شاعراً مُلهما يصف المرأة في أحاديثه وقصائده، وقد انحصرت مهام المرأة في نجد والحجاز في الإنجاب والعمل بالزراعة، وتحضير كل ما يلزم البيت من الماء والحطب وطحن الحنطة وعمل الخبز والطعام، فترى أنَّ المرأة دائمة العمل، وتتصف بقيم الصبر وتحمل المشقة وشغف العيش وضراوته.

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبدالرحمن الجبرتي، ج٤، ص٢٢٠.

رجل أو (٥٠٠) خمسمئة رجل[1]، فكانت خسارته لا تقل عن تلك التي في مضائق وادي الصفراء. وبعد أنْ اقتسم الجنود السُّعوديون الغنائم، عادوا إلى بلادهم، وانسحب مصطفى بيك بمن تبقى معه من قوات إلى الطائف، حيث خلَّف وراءه هناك حامية عسكرية من جنوده، ومن الطائف تابع مسيره للقاء طوسون باشا في مكَّة المُكرمة.

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٣٤؛ مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤٥.

ثالثاً: خسائر جيش طوسون باشا في الحِجاز:

بعد هزيمة قوات طوسون باشا في بلدة تُرَبة، انقلبت الموازين ولم يَعُد الوضع العام آنذاك من صالحِ طوسون باشا وقوات حملته وحلفائه، حيث أنَّ الخِطَّة السُّعودية العسكريَّة في مُقاومة الحملة حققت انتصارات أضعفت مركز طوسون باشا، وكبدته خسائر فادحة من القتلى والجرحى وانتشار الأمراض وهو الذي دفعه إلى مُراسلة والده في مصر ليطلب منه العون شارحاً له الوضع المُزري الذي وقع فيه مُقارنةً بحالِ قوة الجيش السُّعودي، وعن مُحاولة السُّعوديينَ استعادة ولاء القبائل البدوية لهم عن طريق المُراسلات بالترغيب والإغراء المالي تارة، وبالتهديد والإغارة عليهم تارة أخرى(١).

يقول عبد الرحمن الرافعي: "وزاد في حرج الموقف انتشارُ الأمراض في الجيش المصري، وما أصاب الجنود من الإعياء لشدة القيظ(٢) وقلة المؤنة والماء، ورداءة الطقس، والمتاعب الهائلة التي أنزلتها بهم المعارك، وقطع المراحل الشاسعة في صحراء الحِجاز، ولم يكن في الجيش أطباء لمُعالجة المرضى وتدبير الوسائل الصحية، ففتكت بهم الأمراض فتكاً ذريعاً، وقد أصاب الجيش من المعارك والأمراض خسائر فادحة، بلغت من بدءِ القتال نحو (٨٠٠٠) ثمانية آلاف

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٣٤.

(٢) فترة شدة الحَر من فصلِ الصّيف.

قتيل، وفقد الجيش من مؤونته نحو (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرين ألف رأس من الماشية، وأسلحته من مدافع وبنادق وذخيرة، وتكلفت الحملة إلى ذلك الحين (٣٥٠٠٠) خمسة وثلاثين ألف كيس أي (١٧٥٠٠٠) ألف جنيه"[١].

على إثرِ ذلك أعقبت هذه التحركات واللقاءات العسكريَّة تَغيُّر واضح في سياسة طوسون باشا العسكريَّة وذلك نظراً لحرجِ موقفه وحاجته إلى المزيد من الإمدادات، حيث أنه رجع من المرحلة الهجومية ليتخذ موقف المُدافع، واكتفى بإقامة حاميات ونقاط عسكرية مُوزعة على مراكز مُدن الحِجاز الرئيسة في كلٍّ من: الطائف ومكَّة المُكرمة ويَنبُع وجدة[٢].

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣١، ١٣٢.

(٢) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٣١.

رابعاً: أسباب وصول مُحمَّد علي باشا إلى الحِجاز سنة (١٢٢٨هـ/١٨١٣م):

بعد حدوث هذه الوقائع أُعيد الحِجاز إلى الطاعة والولاء لسُلطة مُحمَّد علي باشا بقيادة ابنه طوسون باشا وجرت السيطرة على المدينتين المُقدستين، ووصلت قافلة الحج القادمة من القاهرة إلى مكَّة المُكرمة مصحوبة بكل الأُبَّهة والعظمة، وقام الحُجاج بأداء فريضة الحج على النحو المطلوب المُستطاب، ولكن قافلة محمل الحج الشَّامي لم تستطع المرور، أو حتى مُحاولة السير عبر الصحراء، وذلك نظراً لأنَّ القِلاع، والآبار الواقعة على طريق الحج، لم تَجْرِ صيانتها على النحو المُعتاد، فضلاً عن عدمِ توفر المؤن والتموينات المطلوبة.

كان أحمد بونابرت قد عاد إلى القاهرة، وكان طوسون باشا، الذي عين باشا جديداً على جدة، قد حضر في شتاء العام (١٢٢٧هـ/١٨١٢م) لقضاءِ فريضة الحج، وخلَّف وراءه ديوان أفندي[١]، أحدَ الموظَّفين في بلاط مُحمَّد علي باشا، في منصبِ مُحافظ المدينة المُنورة، وعلى الرغم من وجود مُدن الحِجاز الخمس تحت أيدي الأتراك، فإنَّ القوة السُّعودية لم تكن قد انكسرت تماماً، إذ كانت القبائل الموجودة شرقي سلاسل الجبال التي تمتد

(١) ديوان أفندي، هو من قتل شيخ قبيلة حرب: جزاء بن عامر السالمي الحربي بالمدينة المنورة.

بطول هذه البلاد، من الشمال إلى الشرق مُحاذية للبحرِ الأحمر، ما تزال تعترف بسيادة الإمام سعود بن عبد العزيز عليها، وكان الأتراك ينخدعون كلما التقوا البدو في الخلاء، يُضاف إلى ذلك أنَّ سلوك الشَّريف غالب كان يبعث الثقة في نفوس حلفائه.

وما إنْ عَلِمَ مُحمَّد علي باشا بالكوارث التي حلت بقواته في تُرَبة، والحناكية، والمدينة المُنورة، وبتمرد البدو، حتى اتخذ بعض الإجراءات لمُساندة جيشه في الحِجاز؛ فصادرت الحكومة الملابس اللازمة للقوات العسكريَّة، وجمعت الأموال والموارد لصالح القوات وقبائل البدو، وقد كُلف زعيم أوغلو خزندار طوسون باشا بأنْ ينقل بالسُفن الحربيَّة من مصر إلى الجزيرة العربيَّة على رأس حامية عسكرية (٥٠٠) خمسمئة جندي مُقاتل، والأموال، واللباس والغذاء، والأدوية، والمؤن، والذخائر الحربيَّة التي تنقلها القوافل إلى ميناء السويس(١)، فأبحرت السُفن المُكلفة بإيصالِ هذا الدعم العسكري إلى ميناء جدة التي كان طوسون باشا قد وصلها لتوهِ، ووصلت إليه الأوامر بتجميعِ جيشه في المدينة المُنورة.

في ظل هذه الظروف الحربيَّة، والتحرُكات العسكريَّة الجدية، وجد مُحمَّد علي باشا أنه من الضروري إشعال نار الحرب ضد القوات السُّعودية وبقوةٍ جديدة، وهذا يتطلب منه الذهاب بنفسه إلى الجزيرة العربيَّة لحسمِ الأمر الذي كلفته به السلطنة العُثمانيَّة

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٦٤.

في الأستانة، ليضرب فيها بقبضةٍ حديدية تكون إشارة، ودليلاً على رسوخ سُلطته ونفوذه في الحِجاز، وتُمكنه من أنْ يَحصُل على المزايا المُترتبة على الغزو(١).

وكان السُّلطان العثماني قد ضغط على مُحمَّد علي باشا للخروج إلى الحجاز، وكان مُحمَّد علي متخوفاً أن تكون هذه مؤامرة ضده من الدَّولة العُثمانيَّة لإبعاده عن مصر، كما كان متخوفاً من أن يستغل أعداؤه في الداخل الفرصة وينقضوا على حكمه في مصر، وهذا ما حدث فعلاً بعد خروجه، إذ قامت مؤامرة لطيف باشا ضده في مصر.

فيظهر أنَّ الهزائم التي تحمَّلها طوسون باشا، والتي جعلته يُراسل أباه، ويطلب منه المَدد جعلت مُحمَّد علي باشا لا يطمئن إلا إذا أشرف بنفسه، وبشكلٍ مُباشر، على مسرح العمليات العسكريَّة في ميدان القِتال، كما أنَّ هناك مُستجدات أخرى، استوجبت قدوم مُحمَّد علي باشا بنفسه للحجاز، أهمها: القضاء على الدِّرْعيّة.

ومن خلال استعراض الأحداث السابقة، يظهر جلياً مدى حاجة طوسون باشا إلى المَدد العسكري والتمويني من والدِهِ، ومُكاتبتهِ له من أجلِ ذلك.

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤٦، ١٤٧.

قَدِمَ مُحمَّد علي باشا إلى بلاد الحِجاز بعد أنْ أعدَّ حملة عسكرية ضخمة، وصل بها إلى ميناء جدة في شهر ذي القعدة سنة (١٢٢٨هـ) أغسطس(١٨١٣م).

كما سلك مُحمَّد علي باشا في مُحاولاتهِ لإسقاط الدَّولة السُّعودية هذه المرة نهجاً وتخطيطاً جديداً حاول أنْ يضمن نجاحه فيه عند تطبيقه، وقد تمثل في عدة جوانب، منها:

- الاستفادة من ميناء جدة كمستودعٍ رئيس للحملة.
- الاستعداد لنقلِ هذه المُعدات الحربيَّة.
- تخصيص مُرتباتٍ شهرية للقبائل البدوية الموكل إليهم حفظ الأمن في الطرقات ليكسب بذلك قلوبهم، ويضمن وقوفهم إلى صفِّه.

تحرك مُحمَّد علي باشا من السويس إلى جدة:

أبحر والي مصر مُحمَّد علي باشا من ميناء السويس، يُرافقه (٢٠٠٠) ألفان من جنود المُشاة، في حين تحرك في الموعد نفسه فيلقٌ مُساوي لهذا العدد من الخيالة، مَصحوباً بقافلةٍ من الإبل قوامها (٨٠٠٠) ثمانية آلاف جمل عن طريقِ البَر (السويس، العقبة، جدة)، وعندما وصل مُحمَّد علي باشا إلى ميناء جدة في ٢٨ من شهر أغسطس سنة (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)[١]، وبرفقتهِ حاشية

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٦٧.

مؤلفة من (٦٠) ستين رجلاً، وكان برفقته خزنداره أحمد آغا، وقد صعد للسّلام عليه كل من: الشَّريف غالب، وطوسون باشا، ودخل المدينة على دوي مدافع القلعة، ونزل في قصرٍ بسيفِ البحر، هيأه له ولده طوسون باشا، وأُقيمت بهذه المُناسبة حفلات كبيرة. وعند وصوله وجد ابنه طوسون باشا مَشغولاً بتجميعِ قواتهِ العسكريَّة في مكَّة المُكرمة.



* ميناء السويس[١].

(١) انظر الموقع: https: //www.gafrd.org/posts/390431

فشدَّ عند وصوله من عزائم جيش الحملة لِما كان يبعثه في نفوسهم من القوةِ المعنوية، وأثناء إقامته في جدة، أخذ يَدرس الوضع الميداني للأحداث عن كثبٍ وبدقةٍ مُتناهية، بالتعاون والتشاور مع قادتهِ ومُستشاريه، وكبار خُلفائه، وذلك للوصول إلى وضعِ خطةٍ عسكريةٍ مُحكمة، تضمن له الفوز والغلبة والنصر، ثمَّ تابع مسيره قاصداً مكَّة المُكرمة، حيث قام بأداء مَناسك العمرة، والحج لهذه السنة[١].

• ملابس الجيش في عهد مُحمَّد علي باشا[٢]:

وصف كلوث بيك ملابس الجُند في جيش مُحمَّد علي باشا، فقال: تتألف من الطربوش الأحمر وصدار، وبنطلون؛ وهو يُشبه السروال الواسع، يُشدُّ بدكة على الوسطِ، ويُربط على الرُكبةِ برباطِ السّاق (القلشين)، ويتمنطق الجنود على خواصرهم بحزام. وملابسهم في الشتاءِ من الجوخ، وفي الصيف من قماش القُطن السميك، أما الفُرسان ورجال المدفعية والحرس، فيلبسون في الشتاءِ صِداراً أزرق اللون وغيرهم من القوات يلبسون صِداراً أحمر، ويرتدي الجيش في الصّيف الملابس البيضاء، ويحتذون بأحذية من الجلدِ الأحمر (مراكيب).

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣٢.

(٢) لمحة عامة إلى مصر، أ ب كلوت بك، ج٢، مكتبة طريق العلم، ٢٠٢٠م، ص٣٣١، ٣٢١، الأصل الفرنسي.

ولا يختلف رداء الضباط عن رداءِ الجنود إلا في نوع الجوخ، وما يُزينه من التطريز، واللون الأحمر يُميز الضباط عن سواهم، أما الشارات التي تُميز بعضهم عن بعض بحسب مراتبهم العسكريَّة، فهي كما يلي:

- يحمل الأونباشي شريطاً واحداً على الصدر.
- يحمل الجاويش شريطين.
- والباشجاويش ثلاثة أشرطة.
- ويحمل الملازم أول على صدره من ناحية اليمين نجمة فضية.
- ويحمل اليوزباشي نجمةً وهلالاً فضيين.
- ويحمل الصاغ هِلالاً من الذهبِ ونجمة فضية.
- ويحمل البكباشي هِلالاً ونجمة من الذهبِ.
- ويحمل القائمقام هِلالاً من الذهبِ ونجمة من الألماس.
- ويحمل الأميرالاي هِلالاً ونجمة من الألماس.
- ويحمل أمير اللواء نجمتين في هلالٍ كلها من الألماس.
- ويحمل أمير اللواء نجمتين من الألماس.
- ويحمل الفريق (الميرميران) ثلاثة نجوم في هلالٍ كلها من ألماس.

مُرتبات الجيش المصري في عهد مُحمَّد علي في الشهر الواحد[١]:

- يتقاضى الجندي البسيط ١٥ قرشاً.
- يتقاضى الأنباشي ٢٥ قرشاً.
- يتقاضى الجاويش ٣٠ قرشاً.
- يتقاضى الباشجاويش ٤٠ قرشاً.
- يتقاضى الصول ٦٠ قرشاً.
- يتقاضى الملازم ثاني ٢٥٠ قرشاً.
- يتقاضى الملازم أول ٣٥٠ قرشاً.
- يتقاضى اليوزباشي ٥٠٠ قرشاً.
- يتقاضى الصاغ ١٢٠٠ قرش.
- يتقاضى البكباشي ٢٥٠٠ قرش.
- يتقاضى القائمقام ٣٠٠٠ قرش.
- يتقاضى الأميرالاي ٨٠٠٠ قرش.
- يتقاضى أمير اللواء ١١٠٠٠ قرش.
- يتقاضى الميرميران ١٢٥٠٠ قرش.

(١) لمحة عامة إلى مصر، ج٢، ص٣٣١، ٣٢١، الأصل الفرنسي.

خامساً: اعتقال مُحمَّد علي باشا للشريف غالب، واستمالته شيوخ قبائل البدو بالهِبات والوعود:

عقب وصول مُحمَّد علي باشا إلى مكَّة المُكرمة، قام بزيارةٍ للأماكن المُقدسة، ثمَّ أتمَّ عُمرته، وكان الشَّريف غالب قد أعدَّ لنزوله قصراً، وقدِم بنفسهِ للترحيبِ به يرافقه وفود الأعيان، فاستقبلهم مُحمَّد علي بكلّ حفاوة وترحاب، وخَلع عليهم جميعاً الخلع ليُعبر لهم عن الاحترام الذي يكنه لهم بداخله، ثمّ قَدَّم لهم وللعُلماء، الهدايا الجزيلة، ووزع الصدقات والأعطيات على الفقراءِ، وبدأ بترميم الحرم المكي وخصص مبالغ مالية لخدمةِ الحرم وتزيينه، وبدا له ما أشاع في نفسهِ من الرِضا من استقرارِ الأمور في الأماكنِ المُقدسة، لأنه تلقى من حكومتهِ شأنه شأن والي سوريا مُهمة السهر على أمنِ البلادِ، لكي يستطيع المُسلمون أداء الحج بأمان ويُسر(١).

• سبب خلاف الشَّريف غالب مع مُحمَّد علي باشا:

وكما جرت عادة الحُكام على مرّ العصور، فإنهم كانوا يُبدون الشكوك فيمن حولهم، فقد لاحظ مُحمَّد علي باشا أنَّ الشَّريف غالب يُهمل إهمالاً كبيراً شؤون حربه القائمة ضد السُّعوديينَ، وظنَّ أنَّه يريد أنْ يُطوِّل أمدها ليظل مُحتفظاً بمكانتهِ الفاعلة

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٦٧.

شريفاً على مكَّة المُكرمة. فحزم أمره في القبض عليه، وبدأ باختلاق الذرائع والحيل لتحقيقِ ذلك. فكتب لابنه طوسون باشا يأمره بالمجيء إلى مكَّة المُكرمة بقصدِ أداء العُمرة.

ولسوء الحظ فقد نفدت إبل الحملة كلها تقريباً بسبب قلة التموينات، ونفاد الأعشاب الصحراوية نتيجة لكثرة مرور القوافل، ولم يكُن قد تبقى من الـ (٨٠٠٠) الثمانية آلاف جمل التي أرسلها مُحمَّد علي باشا سوى (٥٠٠) خمسمائة فقط، وهي التي بقيت على قيد الحياة مُدة ثلاثة أشهر عقب وصولها.

عندما اكتشف مُحمَّد علي باشا تلك الحالة المأساوية حثَّ الشَّريف غالب على استعمال نفوذه وعلاقاته الشخصية لدى شيوخ وأعيان قبائل الحِجاز، والسعي في إقناعهم بتقديمِ أكبر عددٍ مُمكن من الإبل من أجل تحقيق هذا الغرض، فقام بتوزيع مبلغ كبير من المالِ على شيوخ القبائل، ووعده الشَّريف بتأمين الجمال التي يُريدها الباشا، ولكن الشَّريف غالب لم يفِ بوعده لوالي مصر.

علاقة الشريف غالب بالقبائل:

وهنا بدأ مُحمَّد علي باشا يكشف عن برودِ علاقته بالشَّريف غالب، وراح كل طرف من الطرفين يتهم الطرف الآخر بالكيد له والتآمر عليه. فبدأت تظهر علاقة الشَّريف الوثيقة بالقبائل

المُجاورة، وراحت تلك القبائل تتطلع للشريف غالب باعتباره حامياً لِحِمى هذه القبائل من السُّعوديينَ والعُثمانيين معاً.

عندها بدأت هذهِ العلاقة تُثير المزيد من الشكوكِ في ذهنِ مُحمَّد علي باشا، تجاه الشَّريف غالب الذي أصبح على قناعةٍ تامة أنَّ استمرار الشَّريف غالب في منصبه الحالي شريفاً لمكَّة المُكرمة يُشكل عقبة كبيرة في تحقيقِ أهدافِ مُحمَّد علي في عملياتهِ العسكريَّة بالحِجاز ونجد.

القبض على الشريف غالب:

في هذه الظروف المُتوترة بين الطرفين تلقى الباشا فرماناً همايونياً من السُّلطان العثماني في الأستانة يُخول له التحكم بالسُّلطة وصلاحيات التصرف مع الشَّريف غالب وفقاً لما يراه مُناسباً، فعندها خيره إما أنْ يتركه على رأسِ الحكومة، أو أنْ يعزله ويأسره، وهذا ما قرره الباشا، حيث قبض على الشَّريف غالب وأودعه السجن[١].

قُبض على الشَّريف غالب سنة (١٢٢٨هـ/١٨١٣م) لاتهامه بأنَّ ما وقع من أمر الدَّولة السُّعودية الأولى كان من تدبيره، ولأنه ارتاب في إخلاصه، ورأى منه تراخياً في معاونةِ الجيش المصري، ويحتمل أنْ يكون ذلك بسبب رغبته في إطالة الحرب ليخدُم مصالحه الذاتية،

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤٨، ١٥٠.

وعلى الفور عيَّن مُحمَّد علي باشا بدلاً عنه على مكَّة المُكرمة ابن أخيه الشَّريف يحيى بن سرور بن مساعد[١]، ليكون خلفاً له في تسيير أمور البلاد[٢].

أما عن تفاصيل إلقاء القبض على الشَّريف غالب فيرويها لنا جون لويس بوركهارت، فيقول: "كان مُحمَّد علي باشا قد قرّر القبض على الشَّريف غالب عند وجوده في المسجد الحرام، لكن القاضي منعه من الإقدامِ على عمل كبير من هذا القبيل، كان ذلك القاضي قد وصل مؤخراً قادماً من القسطنطينية. وأكد تأكيداً شديداً على عدمِ انتهاك الحُرمة الدينية للبيت الحرام"[٣].

وبعد مرورِ قرابة أسبوعين، حاول مُحمَّد علي باشا خلالها تنفيذ خطته، لكنه لمْ ينجح فيما أراد.

وأخيراً أعَدَّ مُحمَّد علي مَكيدةً تدلّ على الخِبرة والحِنكة السياسيَّة التي اكتسبها في فَنِّ التآمرِ والكيدِ والوقيعة، فقد وجَّه مُحمَّد علي باشا رسالة إلى ولده طوسون باشا، الذي كان وقتئذ في جدة، وطلب منه المجيء في ساعة مُتأخرة إلى مكَّة المُكرمة مساء أحد الأيام بقصدِ أداء العُمرة، ومن آداب اللياقة أنْ يخرُج الشَّريف غالب

---

(١) تولى شرافة مكَّة المكرمة حوالي ١٣ سنة حتى عام ١٢٤٢هـ، حيث تمَّ عزله عن الشرافة إثر قتله للشريف شنبر بن مبارك رئيس العربان. انظر: تاريخ مكَّة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكَّة، أحمد السباعي، نادي مكَّة الثقافي، دون تاريخ نشر، ج١، ص٥١٦.

(٢) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣٣.

(٣) ملاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٤٨، ١٥١.

لتحيةِ طوسون باشا، لأنَّ التغاضي عن مثلِ هذا السلام يُمكن أنْ يكون بمثابةِ إعلان الحرب على الأتراكِ، ولما كان الشَّريف غالب يود القيام بالزيارةِ قبل التآمر عليه، فقد ذهب الشَّريف غالب في ساعةٍ مُبكرة من صباح اليوم التالي لوصول طوسون باشا، ووصل إلى منزلِ طوسون ومعه مجموعة صغيرة من الجنودِ، لكن مُحمَّد علي باشا كان قد تنبأ بذلك مُؤخراً، وقام بأخذِ التدابيرِ اللازمة لذلك، ففي اليوم السابق لوصول ولده طوسون باشا، أمرَ مُحمَّد علي باشا حوالي (١٠٠) مئة من جنودهِ بإخفاء أنفسهم في غُرف مُختلفة مُجاورة لفناءِ المنزل الرئيسي الذي كان ينزل فيه طوسون باشا، وبالفعلِ فقد نَفَّذَ الجنود ذلك على نحو لا يسترعي مُلاحظة الناس لهم، أو لفت أنظارهم إليهم.

وفي صباح الثَّاني من نوفمبر[١] وصل الشَّريف غالب برفقةِ بعضِ الخدم وبعض حُراسه لتهنئةِ طوسون باشا بسلامة الوصول، فصعد إليه في مقرهِ بالدورِ العلوي بزعم أنّ طوسون كان مُتعباً من الرحلة، وطُلب من ضُباط الشَّريف غالب البقاء في الدور الأول، فدخل الشَّريف غالب غرفة الباشا وتحاور معه فترة من الوقت، وقدمت له القهوة تكريماً له، وبعد مرور برهة من الوقت طلب طوسون باشا من الجميع أنْ ينسحبوا، لكن عندما همَّ الشَّريف غالب بالرحيلِ، أعلمه عابدين بك (وهو من قادة الأرناؤوط) أنه

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٦٨.

ينبغي أنْ يبقى أسيراً عندهم، وأنَّ المُقاومة لا طائل من ورائها، فجرده من سلاحه وأخذ منه خنجره، وهنا اندفع الجنود المُختبئون، وقام عابدين بك هو، وطوسون باشا بإجبار الشَّريف غالب على أنْ يطل من النافذةِ على جنودهِ ويأمرهم بالعودةِ إلى منازلهم، ويُخبرهم بأنه بخيرٍ ولم يُصب بأي أذى.

عندما أذيع ذلك الكلام على الملأ، لجأ ولدا الشَّريف غالب إلى القلعةِ ومعهما قواتهما، واستعدا للدفاع بينما أظهر الشَّريف غالب بروداً شديداً.

ولم يمض وقت قصير حتى ذهب مهردار[١] مُحمَّد علي باشا إبراهيم أفندي ليُطلع الشَّريف غالب على الخطِ (الفرمان) الهمايوني (السُّلطاني) القاضي باعتقاله، وطلب منه أنْ يكتب إلى ابنيه كي لا يقوما بأي تمرد احتجاجاً على اعتقاله، وأكد لهما أنهم سوف يُعاملون معاملة حسنة تليق بمقامهما، وأنه سوف يُعين أحدهما على شرافة مكَّة المُكرمة مكانه، وأنه سوف يُرسل رسالة عاجلة إلى إسطنبول يطلب فيها العفو عنه، وذلك بعد أنْ اقتنع الشَّريف غالب بأنَّ مُحمَّد علي باشا صادق فيما يقول ويفعل.

قال الشَّريف غالب لطوسون باشا: "لو لم تكن قد خُنتَ لما حدث هذا الذي أنا فيه".

(١) الموظف المسؤول عن حفظ الأختام الخاصة برجال الدَّولة، والقيام بختم الأوراق التي تتطلبها. المعجم الموسوعي للمُصطلحات العُثمانيَّة التَّاريخية، د سهيل صابان، ص٢١٧.

وعندما عُرض عليه الفرمان الصادر من السُّلطان، والذي يطلب فيه حضور الشَّريف غالب إلى القسطنطينية ردَّ غالب قائلاً: "هذه إرادة الله، لقد أمضيت حياتي كلها في حروب ضد أعداء السُّلطان وبالتالي لا يُمكن أنْ أخاف أو أخشى مثولي أمامه". بعد ذلك قاموا بإجباره على كتابةِ مُذكرة إلى ولديهِ يطلب إليهما فيها تسليم القلعة لمُحمَّد علي باشا، لكنه لمْ يوقع تلك المذكرة إلا بعد أنْ هددوه بقطع رأسه.

اقتحم الأتراك القلعة في اليوم التالي، وتفرق أفراد الحامية بين البدو المجاورين لها أو الانضمام إلى السعوديين. وجرى تعيين القاضي وضابط من ضباط الباشا، ومعهما شخص ثالث من طرف الشَّريف غالب، وطُلب إليهم إعداد قائمة بِمُمتلكات الشَّريف غالب كلها، وجرى تفتيش قصوره في سائرِ أنحاء مكَّة تفتيشاً دقيقاً، وقُدرت قيمة ذلك الذي جرى حصره والعثور عليه بحوالي (١٦) ستة عشر كيساً أو حوالي (٢٥٠) مائتين وخمسين ألفاً من الجُنيهات الإنجليزية.

حال الشريف غالب بعد الأسر:

وما هي إلا أيام قلائل من أسرِ الشَّريف غالب بن مساعد في مكَّة المُكرمة حتى جرى نقله إلى مدينةِ جدة، حيث تمَّ احتجازه على ظهر سفينة في الميناء، وكان كنج آغا كبير الدلالة[1] هو المسؤول عن المُحتجزين، حيث سلمهم إلى زامي أوغلو المسؤول عن ميناء جدَّة، وقد أنزله هذا الضابط على ظهر سفينة بعيدة عن المرفأ حتَّى تصله الأوامر بترحيلهِ إلى مصر خوفاً من قيام تمرد من الشعب كان هذا الضابط يجهل أنَّ أهالي جدة كانوا يُبْطنون الكراهية للشريف غالب، وأنَّ القوة والبطش وحدهما كانا وراء سلطته.

بعد وصول أمر الترحيل، أبحرت السفينة إلى ميناء القصير، ومنه إلى القاهرة حيث التقى بنسائه اللَّواتي جرى طردهن من قصورهن بطريقة مُخزية ومؤلمة، ثمَّ إرسالهن عن طريق ميناء السويس ومعهن مُمتلكات الرجل كلها.

كان قصره يحتوي ما يزيد على (٢٠٠) مئتي جارية حبشيَّة، وعندما تمَّ طردهنَّ من القصر لم يكن يُسمع منهن إلَّا الصياح والبكاء.

(١) كان الشَّريف غالب أثناء الطريق يروي لكنج آغا: إنَّ ابنته رأت في الليلة التي سبقت يوم القبض عليه، فيما يراه النائم أنَّ شراً سيُحِيق بوالدها، وألحت عليه دون أنْ يستمع إليها ألا يخرُج من بيته.

وأما أسرته فقد سكنت بعد طردها من القصر في منزل السيد مُحمَّد العطاس والد زوجة الشَّريف غالب وكان نقيب الأشراف في مكَّة المُكرمة إذ ذاك، وقد أرسل لهم مُحمَّد علي باشا يُعزيهم لِما أصابهم من هذا المَصاب، وأنَّه قد أمر لهم بمرتباتٍ سنوية ليعيشوا منها[١].

وفي يوم ٤ ديسمبر بالتحديد وصل الشَّريف غالب وأسرته إلى القاهرة القديمة، وعندما دخل حيَّتهُ مدافع القِلاع بعدةِ طلقات نارية، وأرسل الكيخيا بيك أبرزَ ضبَّاطه لاستقباله ومُرافقته إلى منزلِ شقيق الكيخيا، حيث كان هو شخصياً في انتظارهِ لاستقبالهِ في أسفلِ الدرجِ، وقد قبَّل يده، ورافقه حتَّى الصالة المُخصصة له، وظل واقفاً والآخرون كذلك حتى سَمحَ لهم الشَّريف بالجلوس، وبعد وقتٍ قصير حضر عنده السيد مُحمَّد المحروقي، فنهض الشَّريف غالب لاستقبالهِ، وقَبَّلَ السيد المحروقي يده وجلس.

وأدَّى المحروقي دور المُترجم بين الكيخيا والشَّريف، واعتذر الكيخيا بيك عن البقاءِ معهم مُدة أطول، لأنَّ تسيير المصالح العامة لا يسمح له بالبقاء طويلاً، وأخبره بأنَّ شقيقه سوف يتشرف بخدمةِ الشَّريف غالب الذي قال لهم: إنني كنت أشك أنَّ مُحمَّد علي باشا سوف يُدبر مثل هذه المكيدة لي، ولكنه لم يخطر ببالي قط أنه سوف يُعجل بها إلى هذا الحد، وبعدها انسحب الجميع من

---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص ٧٠.

المجلسِ ولم يُسمح لأحد بزيارة الشَّريف غالب وهو في القاهرة وبقي تحت ظروف أمنية مُشددة.



* مدينة سالونيكا باليونان[١].

توفي أحد أبناء الشَّريف غالب المُرافقين له في الإسكندرية، وتبع الآخر والده إلى سالونيكا[٢] التي حدّدها الباب العالي مَكاناً لإقامة الشَّريف غالب، والتي كان يتقاضى فيها معاشاً يُناسب رُتبته، بينما بقيت في مكَّة المُكرمةِ بعض الجاريات، وأحد أبنائه

(١) انظر الموقع: https: //www.almrsal.com/post/205921

(٢) سالونيكا: مدينة يونانية سياحية كانت من أهم ولايات الدَّولة العُثمانيَّة.

الصغار، وإحدى شقيقاته، ولسوءِ الحظ ففي نهاية المطاف توفي الشَّريف غالب وأسرته بسبب مرض الطاعون الذي اجتاح سالونيكا في صيف عام (١٨١٦م)، حيث مات هناك في نفس العام (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)[١].

لقد استطاع مُحمَّد علي باشا بما اتخذه من إجراءاتٍ بعد أنْ قبضَ على الشَّريف غالب أنْ يضبط الأمن وينشر الهدوء والطمأنينة في مكَّة المُكرمةِ، وقام بإرسالِ العديد من الحاميات العسكريَّة إلى أكثرِ المواقع عُرضة لهجومِ أعدائه.

وخصّص لشيوخِ القبائل البدوية مُرتبات شهرية عالية لقاء خدماتهم الجليلة بحفظ أمن الطرق ومُساندتهم له[٢].

وعلى خلفية اعتقال مُحمَّد علي باشا للشريف غالب، هرب جميع الأشراف وأتباع غالب من شيوخ البدو عن مكَّة المُكرمة إلى رؤوسِ الجبالِ خوفاً من مُحمَّد علي باشا وبطشه، حيثُ عادوا جميعاً إلى تُربَة التي تحصّن بها السُّعوديون.

لجأ أصدقاء الشَّريف غالب في مكَّة المُكرمة، والعديد من عائلات الأشراف القوية ومعهم أتباعهم إلى خيام جيرانهم، لكن دون أنْ يعلموا أنَّ مُحمَّد علي باشا كان قد أعدَّ لهم خطةً لاقتلاع سُلالة

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٥٣، ١٥٤؛ عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٣٨.

(٢) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٧٤.

الأشراف من جذورها، والقضاء عليها، وكان الشَّريف راجح من بين هؤلاء الأشراف[١].

عيَّن مُحمَّد علي باشا ابن أخِ الشَّريف غالب، وهو الشَّريف يحيى بن سرور مُحافظاً لمكَّة المُكرمة وكان غريماً لغالب من قَبْل، وخصص مُحمَّد علي باشا مُرتباً شهرياً للشريف يحيى بن سرور مِقداره ثلاثين كيساً، وهو الأمر الذي جعل الشَّريف يحيى مُجرَّد موظف من موظفي مُحمَّد علي[٢].

(١) كان الشَّريف راجح من أشهرِ رِجالات الحِجاز الشُّجعان، كما اشتهر الرجُل أيضاً بصفاتِ العدلِ والكرمِ والإنصافِ والمروءةِ، وقد أسند إليه مُحمَّد علي باشا قيادة قوة عسكرية من أبناء قبائل البدو وكلفه بإحضار المزيد منهم، ليقوم بتجنيدهم ضمن القوات المصرية، وفي اليوم الذي أُلقي فيه القبض على الشَّريف غالب غادر الشَّريف راجح مكَّة المُكرمة، واتَّجه مع أهله إلى الدِّرْعيَّة، مقر الإمام سعود بن عبد العزيز، فسعد بانضمام مثل هذا الرجُل إليه، وأعطاه مَبلغاً كبيراً من المال، وعيَّنه بدلاً من عثمان المضايفي ليكون أمير الأمراء، أو شيخ الشيوخ على بدو الحِجاز. ملاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٥٥.

(٢) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٥٦.

فهرس الفصل الرابع

معاركُ السُّعوديينَ بعد وفاة الإمام سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد (١٢٢٩هـ/١٨١٤م):

الفصل الرابع: معارك السُّعوديينَ بعد وفاة الإمام سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد (١٢٢٩هـ/١٨١٤م)

أولاً: وفاة الإمام سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد وسيرته في بلدهِ وحروبه[1]:

بعد صمود القوات السُّعودية في مِيناء القنفذة، وتفوقها على قوات مُحمَّد علي باشا، شاءت إرادة الله تعالى ونَفذ حُكمه وقدره، أنْ يتوفى الإمام سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد بن سعود ليلة الأثنين الحادي عشر من شهر جُمادى الأولى عام (١٢٢٩هـ) الأول من مايو عام (١٨١٤م) في عاصمة دولته الدِّرْعيّة في وادي حنيفة، عن عمر ناهز (٦٨) الثامنة والستين عاماً، بسبب نوبة مغص كلوي كانت تنغِّص عيشه، وتقضُّ مضجعه مُنْذُ ثمانية أشهر[2]، بعد حُكم دام عشر سنوات وتسعة أشهر وعدة أيام، وكانت السنوات الثلاثة الأخيرة من عمره شاقَّة ومرهقة، فلم يكن يرى الراحة في

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٤٢، وما بعدها بتصرف.

(٢) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، مانجان، ص٨٢.

مقاومة أعداء الدَّولة العُثمانيَّة بكل همة وشجاعة ونشاط، صَمَدَ لهم فيها إلى حدود نجد، حيث كان بارعاً في بث الحماسةِ في نفوسِ جنوده عند الخروج للقتالِ معه، وهو بذلك يقودهم من نصرٍ إلى نصر مؤزر.

حياة الإمام سعود بن عبد العزيز:

وبالحديثِ عن حياته الشخصية والأُسرية، فقد تزوج الإمام سعود أربع نساء أنجبن له أربعة عشر ولداً[١] من الذكور، وابنتين.

وقد انتقلت الإمامة والقيادة والحكم بعد وفاته إلى ابنه الأكبر الإمام عبد الله بن سعود الذي تولى مُهمة الدفاع والوقوف في وجه الحملات الداخلية والخارجية على دولته، إلا أنَّ الله تعالى شاء أنْ تسقط الدِّرْعيّة في عهدِهِ أمام قوات إبراهيم بن مُحمَّد علي باشا[٢].

تولى الإمام سعود بن عبد العزيز الإمامة خلفاً لوالده في اليوم الذي اغتيل فيه والده الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد، فشهدت البلاد الأمان والطمأنينة في عهدِهِ، وانتظمت مصالح المُسلمين بُحسن مساعيه وجهوده وانضبطت الحوادث، وكان الإمام سعود في مُهمتهِ الجديدة مُتيقظاً بعيد الهِمّة، يسَّر الله له مِنَ الهيبة عند

---

(١) الجداول الأسرية لسُلالات العائلة المالكة السُّعودية، عبد الرحمن الرويشد، دار الشبل، الرياض، ١٩٩٨م، ص١٧.

(٢) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٣٦.

الأعداء والحشمة في قلوبِ الرعايا ما لم يره أحد ممن سبقه في سُدة الحُكم.

وكانت له إحاطة ومعرفة تامة في تفسيرِ القرآن الكريم، حيث أخذ العلم عن الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب رحمهما الله، وأقام مُدة سنتين يقرأ عليه، بالإضافة إلى أنه عكف على مجالسهِ ودروسهِ، وله معرفة لا يُستهان بها في علوم الحديثِ والفقه وغير ذلك، بحيث إنه إذا كتب نصيحة لبعضِ رعاياه من المُسلمين ظهر عليه في حُسنِ نظمه ومضمون كلامه عدم القصور في الاطلاعِ على العلوم الإسلامية والعربيَّة، والإيجاز في التعبير والقوة في البلاغة، وكان أول تصديره الوصية بتقوى الله تعالى، وتعريف نعمة الإسلام والاجتماع بعد الفرقة، وتعريف التوحيد، والحض على التمسُّك به، ثمَّ الزجر عن جميعِ المَحظورات من تركِ الصلاة في الجماعات، ومنع الزكاة، وغير ذلك من العبادات.

فمن وقفَ على مُراسلاتهِ ونصائحه شهد قوة بلاغته ووفور علمه، وكان كذلك إذا تكلّم في المَحافلِ أو مجالس الذكرِ أبهر عقل مَنْ لمْ يكن سمعه، وقد منحه الله تعالى الهيبة العظيمة والوقار، حيث إنَّ ملوك الأقطار لمْ تكن تجرؤ وتتجاسر على مُراجعته الكلام، وهو مع ذلك متواضعٌ للمساكين وذوي الحاجة وأبناء السبيل، وكثير المُداعبة والانبساط لخواصهِ وأصحابهِ، وكان ثبتاً شُجاعاً في الحروب، يغزو ومعه إخوانه وبنو عمه كل واحد من هؤلاء بدولة

عظيمة من الخيل والركاب والخيام والرجال، فيستخدم الشدّة في وقتها على أعدائه، والحلم في موضعه على رعيته.

وقام في الجهاد وبذل الاجتهاد، وفتح أكثر البلاد في أيامِ أبيه وبعد موته، وقذف الله الرُّعب في قلوبِ أعدائهِ.

سيرته في الحروب:

وأما سيرته في حروبه، فكان إذا أراد أنْ يحارب إلى جهةِ الشمالِ أظهر أنه يُريد جهة الجنوب أو الغرب، فإذا أراد الخروج من الدِّرْعيّة، وقفت له كتائب الخيل المُسرَجة في باطن الوادي وعند القصر، والرجال والنساء والأطفال ينتظرون خروجه.

سيرته في الكرم والإنفاق:

وأما سيرته في الكرم مع الأضياف، فقد كان خازنه يُخرج لضيفهِ كل يوم (٥٠٠) خمسمائة صاع من البُرِّ (القمح) والأرز، وكان طعام الضيوف اللحم والأرز والخبز.

وأما سيرته في الإنفاق والبذل، فقد كان يُرسل في كلِّ زمان إلى أهل كل ناحية وبلد صدقة (١٠٠٠) ألف ريال فتُفرق على ضُعفائهم وأئمة المساجد والمؤذنين وطلبة العلم، وكان إذا دخل رمضان سار مساكين أهل نجد وكل أعمى وزَمِن[١] قاصدين بابه في الدِّرْعيّة،

---

(١) زَمِن: صاحب مرض دائم.

فكان الإمام سعود كل ليلة يُدخِلهم للإفطارِ عنده في القصرِ مع كثرتهم ويُعطي كل واحد منهم (٥) خمس ريالات.

وكان يملك من الخيل العتاق (١٤٠٠) ألفاً وأربعمائة فرس يغزو معه منها (٦٠٠) ستمائة فرس، ومماليكه (١٢٠٠) ألف ومائتين من الذكور والإناث، وعنده من المدافع (٦٠) ستون مدفعاً، وكان يتبعه في مَغازيهِ من الجيوشِ والخيل الجِياد من النواحي والبوادي من جميع القبائل أممٌ لا يحصيها العدّ، ولا يبلُغها الحصر والحد.

شجاعته:

وأما فيما يتعلق بشجاعتهِ وبسالته في حروبه ومعاركه، فيُعدُّ الإمام سعود بن عبد العزيز أقوى رجالات آل سعود في زمانهِ، فقد كان رجُلاً مَهيباً مرهوب الجانب، أعظمهم هيبةً، وأوسعهم شُهرة، وأعلمهم وأبلغهم، حيث كان الإمام سعود في أواخر حياة أبيه مُتولياً وقائماً على مقاليد الأمور والحُكم ويقود الجيوش ضد الأعداء.

ففي عهدِ والده الإمام عبد العزيز استطاع استعادة الحِجاز ودخل مكَّة المُكرمة، بعد أنْ تركها الشَّريف غالب ورحل إلى جدة تاركاً أخاه الشَّريف عبد المُعين فيها، فقام الشَّريف عبد المعين بالكتابة إلى الإمام سعود يعرض عليه الولاء على أنْ يُبقيه الحاكم على مكَّة المُكرمة، فوافق الإمام سعود بن عبد العزيز ودخل مكَّة المُكرمة مُسالماً دون قتال، وأزال ما فيها من القِباب وألغى الضرائب،

كما كتب إلى السُّلطان العُثماني بالأستانة سليم الثالث ليمنع والي مصر ووالي دمشق، من إرسالِ المَحمل الذي تُصاحبه الطُبول إلى مكَّة المُكرمة.

ثمَّ اتجه إلى جدة وحاصرها، إلا أنه لم يستطع اقتحامها لِمَناعة أسوارها، فتركها وعاد إلى الدِّرْعيّة، فقام الشَّريف غالب بالعودة إلى مكَّة المُكرمة[1].

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن شر، ج١، ص٢٦٣.

ثانياً: هزيمة جيوش طوسون باشا في القنفذة (١٢٢٩هـ/١٨١٤م):

أسباب وأحداث معركة القنفذة:

حين توفي الإمام سعود بن عبد العزيز كان والي مصر مُحمَّد علي باشا يعمل على تنظيمِ قواتهِ العسكريَّة ويضع الخِطط الحربيَّة لمُواجهة السُّعوديينَ، وحتى يُحوِّل الأنظار عن مركزِ القتال الرئيسي له؛ أمر بتسييرِ حملةٍ عسكرية باتجاهِ اليمن، وعين والي جدة زعيم أوغلو[1] لقيادتها، والذي تلقى أمراً بالتوجهِ نحو القنفذة، فسارَ بجيشٍ تعداده (٢٠٠٠) ألفي مُقاتل من المُشاة، و(١٢٠٠) ألف ومئتي مُقاتل من الفُرسان.

وبعد وقوع بعض المُناوشات استولت قواته البحرية والبرية على ميناء مدينة القنفذة[2] في ١٤ مارس عام (١٨١٤م)[3] وفيها قَتل جنوده الكثير من السُّكان الأبرياء العُزَّل في القنفذة، وقاموا بتقطيع آذانهم لإرسالها إلى الأستانة كدليلٍ على البسالةِ في القتال، والوفاء للسّلطنة العُثمانيَّة في مُقاتلةِ أعدائها.

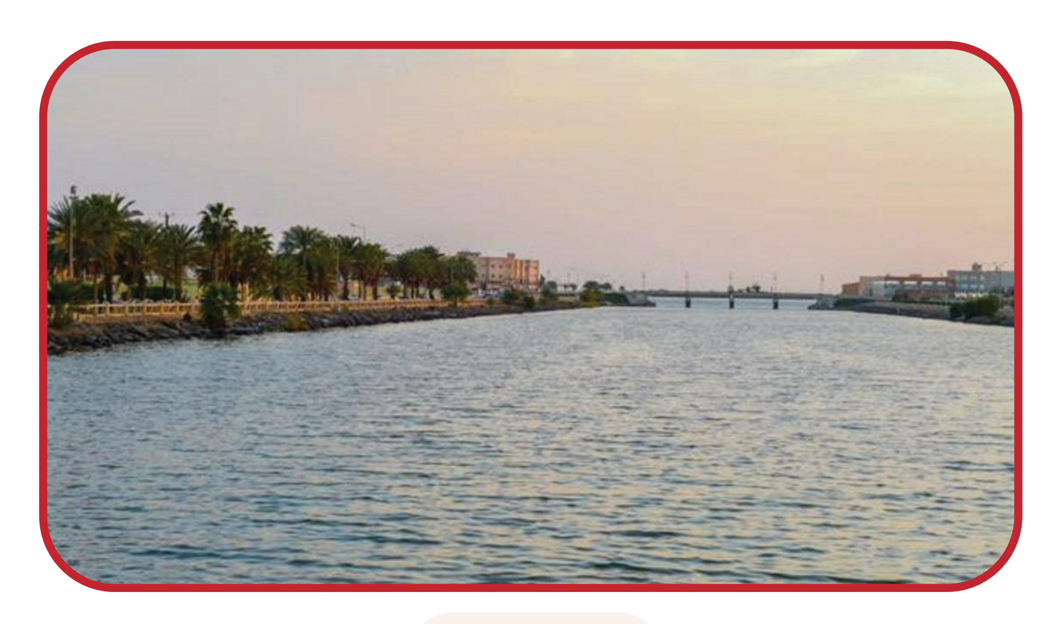
---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، مانجان، ص٨٠.

(٢) القنفذة: ميناء وبلدة تقع في تهامة الحجاز على ساحل البحر الأحمر، وهي إحدى مُحافظات مكَّة المُكرمة.

(٣) المرجع السابق، مانجان، ص٨٠ .

وبعد أنْ وصل إلى مُحمَّد علي باشا خبرُ استيلاء زعيم أوغلوا على ميناء القنفذة أشار إليهِ بضرورة تحصين المدينة ومينائها، وأنْ يترك فيها حامية عسكرية، ثمَّ يتوجه إلى داخل البلاد.



* ميناء القنفذة[١].

لكن السُّكان المحليين الغاضبين بسببِ ذلك الفعل المُشين بحقهم وبحق الإنسانية، توحدوا حول القائد السُّعودي طامي بن شعيب، أمير عسير، الذي حاصر القنفذة، وقطعَ عنها مياه الآبار[٢] الموجودة حولها، وبعد أنْ استنزف قِوى القوات العُثمانيَّة المُحاصَرة، بدأ

(١) انظر الموقع: /https: //www.alarabiya.net/saudi-today/2016/02/20

(٢) هي عِدة آبار مياه تقع على مسير ثلاث ساعات من القنفذة، حيث نسي القائد المصري والي جدة أن يُقيم حصونه قُرب هذه الآبار، واكتفى بوضع بعض جنوده حولها، فهاجمهم شيخ قبيلة عسير طامي بن شعيب وهزمهم. تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى، فيلكس مانجان، ص٨٠.

بالهجوم العسكري الكاسح عليهم، بكل ما أوتي من بأس وقوة في الرجالِ والسلاحِ والإرادة، ولمْ يكن أمام الجنود الغازين إلا الهرب إلى السُفن في هرج ومرج، وقُتل الكثير منهم وغرق آخرون أو هلكوا في الطريق بسبب العطش[(١)].

وكان زعيم أوغلوا الذي لم يكُن جديراً بالقيادةِ في الحروبِ، قد اتخذ ترتيبات دلت على خوفهِ وجُبنه وقلة خبرته في ميادينِ القتال، حيث أمر ملَّاحي السُفن البحرية من جيشه بالإبحار، فلما رأى جنوده ذلك ظنوا أنها علامة الهزيمة، فوقعت الفوضى في صفوفهم، وعَلت صيحاتهم أمام جحافل القوات السُّعودية، وبدأوا يصرخون: النجاة، النجاة، فتدافعوا يقتل بعضهم بعضاً في التنافسِ على الصعودِ إلى المراكب، وكان آخرون منهم ممن أدركهم الجوع والعطش يُلقون بأنفسهم في اليَمِّ، وتخلى الفُرسان عن خيولهم، فغنم السُّعوديون كل ما لدى أعدائهم الغازين من سلاحٍ، ومؤن، وخيام، وخيول، وعتاد، وذخيرة.

نتائج المعركة:

وعن نتائج معركة القنفذة يقول ابن بشر: فالتقى الفريقان، وحصل قتال شديد، ونصر الله السعوديين، فانهزمت العساكر العُثمانيَّة وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذوا سلاحاً كثيراً ومدافعهم

(١) تاريخ العربيَّة السُّعودية، فاسيلييف، ص١٩٤.

وأمتعتهم، وانهزم شريدهم ومن كان منهم في السُفن، وهربوا إلى مكَّة وجدة[١].

كما أسهب ابن بشر في وصفِ تسيير مُحمَّد علي باشا قواته نحوها وأحداثها في قوله: "فأرسل تلك العساكر براً وبحراً، فسيَّر في البحر أكثر من أربعين سفينة، وبندروا عند القنفذة وعساكر تابعة لهم في البر(...) وكان أمير عسير وتهامة طامي بن شعيب، قد سار بجميع الشوكة من رعيته وتوجه إلى الحِجاز، فلما بلغه استيلاء التُّرك على القنفذة حَرَف جيوشه إليهم وقصدهم فيها، ومعه أكثر من (٨٠٠٠) ثمانية آلاف مُقاتل، فنازلهم فيها، ووقع قتال شديد فنصر الله طامي بن شعيب ومن معه(...) وأخذوا المحطة وما فيها.

وغنموا من خيلهم نحو (٥٠٠) خمسمائة، وغنموا من الرِّكاب والمَتاع والسِّلاح والأزواد ما لم يَبلغه العدّ، حتى قيل: إنَّ الخيام التي أخذوها تزيد على الألف، وانهزم شريدهم في السُفن. وذلك أنهم لما انهزموا تركوا المحطة وجنبوها وتوجهوا إلى السُفن وركِبوها"[٢].

كما ذكر الجبرتي هذه الوقعة العسكريَّة فقال: "وصلت القافلة من ناحية السويس، وأخبر الواصلون عن واقعة القنفذة، وما حصل بها بعد دخول العسكر إليها، وذلك أنهم لما ركبوا عليها براً وبحراً وكبيرهم محو بيك، وزعيم أوغلي، وشريف آغا، وجدوها

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٦٧، بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٣٦٧.

خالية، فطلعوا إليها وملكوها من غير مُمانع ولا مُدافع، وليس بها غير أهلها (...) فقتلوهم وقَطَّعوا آذانهم، وأرسلوها إلى مصر ليرسلوها إلى إستانبول، وعندما علم العُربان بمجيء الأتراك خلوا منها، ويُقال لهم: عرب العسير، وترافعوا عنها (...) فلما استقر بها الأتراك، ومضى عليهم بها نحو ثمانية أيام رجعوا عليهم وأحاطوا بهم، ومنعوهم الماء، فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم، فانهزموا وقُتل الكثير منهم، ونجا محو بيك بنفسه في سبعةِ أنفار، وكذلك زعيم أوغلوا وشريف آغا، فنزلوا في سفينة وهربوا"[١].

كما ذكر الجبرتي أنَّ مُحمَّد علي باشا سيَّرَ بعض قواته براً لنجدتهم في قولِهِ: "فغضب الباشا، وقد كان أرسل لهم نجدة من فُرسان الشفاسية[٢]، فحاربهم العرب، ورجعوا مُنهزمين من ناحية البرّ"[٣].

ولما علم مُحمَّد علي باشا بهذه الهزيمة الكبيرة التي ألحقت الخزي والنكبة بقواتهِ أصابه الذهول في أمره، حيث كانت هذه الهزيمة وهزيمة تُرَبة التي سبقتها بالنسبة إليه كارثة كُبرى وهزيمتين فادحتين[٤] قد قصمتا ظهره.

---

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج٤، ص٣٣٢.

(٢) فرسان الشفاسية: فرقة عسكرية من الخيالة (فرسان النخبة) في صفوف جيش مُحمَّد علي باشا.

(٣) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج٤، ص٣٣٢.

(٤) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، مانجان، ص٨١.

كما أنَّ إزاحة الشَّريف غالب بن مساعد من منصبهِ واعتقاله، كانت قد أغضبت العديد من القبائل الموالية له لأنَّ الشَّريف سرور والد الشَّريف يحيى الذي نصبه مُحمَّد علي باشا على مكَّة المُكرمة كان عدواً لهم، فقاموا بقطع الطُّرقات، ومُهاجمة القوافل التي أصبح لزاماً أنْ يُرافقها أكبر عدد مُمكن من الحرس لحمايتها.

ولما عَلِمَ الإمام عبد الله بن سعود بانتصار قواته في القنفذة عَمِدَ إلى حصار طوسون باشا، وقواته، والتضييق عليهم في مدينةِ الطائف.



* الإمام عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بريشة رسام أوربي(١).

(١) انظر الموقع: https: //www.al-jazirah.com/2016/20160905/wo2.htm

ثالثاً: معركة حصن بخروش، وحصار الإمام عبد الله بن سعود لطوسون باشا في الطائف سنة (١٢٢٩هـ/١٨١٤م).

أسبابُ المعركة:

بعدَ هزيمة العثمانيين في القنفذة، أدرك مُحمَّد علي باشا خطورة جنوب الحِجاز على نفوذهِ، وعلم أنها تُهدد امتداده وتوسعه فسَيَّرَ مُحمَّد علي باشا فرقةً عسكريةً كبيرة من قواته بقيادة عابدين بيك الأرناؤوطي لإخضاع بلدات قبائل زهران[١] المُمتدة جنوب الطائف وإنزالها تحت سطوة حكمه.

كما هدف مُحمَّد علي باشا من حملتهِ هذه هو قطع خط الإمدادات عن الجيش السُّعودي، حيث رأى أنَّ هذه المنطقة هي مَصدر تموين مُهم للقوات السُّعودية لما تتمتع به من خصوبة أراضيها وتوفر المياه فيها[٢]، حيث تُنتج هذه البلاد الكثير من ثِمارِ العِنب واللوز .

(١) قبائل زهران: هي قبائل عربية أزدية قحطانية كانت مَساكنهم في الباحة وبعض مناطق الحجاز.

(٢) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، مانجان، ص٨٣.

القادة العسكريون:

وكان عابدين بيك القائد العثماني في هذه المعركة، أما السُّعوديون كانت قيادتهم إلى أمير عسير طامي بن شعيب، وبخروش بن علاس الزهراني.

أحداث المعركة:

زحف عابدين بيك في (٢٠٠٠٠) عشرين ألفاً من المُقاتلين، وضرب شِباك حصاره على حصنِ عامل الدَّولة السُّعودية في الحِجاز، بخروش بن علاس الزهراني[١]، فاستعصم القائد السُّعودي بخروش وتمنَّع في حصنه بعد أنْ فَشِلت محُاولاته في وقف تقدُّم عابدين بيك وقواته إلى ناحيتهم بوضع الصُّخور الضَّخمة فوق الجبال المُطلة على الممراتِ والأودية الضيّقة وإيقاعها على مؤخرة جيشه.

(١) هو بخروش بن علاس (١١٧٠-١٢٣٠هـ)، من قرية العُدية في وادي قُريش، كان من كبار شيوخ وفرسان قبيلة زهران وأحد قادة الدَّولة السُّعودية الأولى، قاد قبيلة زهران في أربع معارك ضارية ضد حملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة نصرة للدولة السُّعودية الأولى، وقد تمكنت القوات المصرية والعُثمانيَّة منه فقتلوه وحزوا رأسه.
ذكره المؤرخ الإيطالي جيوفاني فيناتي Giovanni Finati الذي رافق حملة مُحمَّد علي باشا في حربه ضد الدَّولة السُّعودية الأولى بقوله: لم يشهد العرب أشجع من بخروش في زمانه. انظر في ذلك: جيوفاني فيناتي، حياته ومغامراته في جزيرة العرب، ١٨٢٩م.

عندما وصل خبر الحِصار الآثم إلى مسامع الإمام عبد الله بن سعود بالدِّرْعيّة وبلغه تحرك قوات عثمانية كبيرة إلى جهةِ الطائف أصدر أمراً لعاملهِ على عسير طامي بن شعيب، وأشار إليه بضرورة فك الحصار عن بلدات زهران؛ فوقعَ القِتال لاحقاً بين الطرفين عند الحصن، وحصل التشتُّت في صفوف قوات عابدين بيك، إلى أن انهزم هزيمة نكراء.

يروي ابن بِشر أحداث هذه المعركة، فيقول: "وفي شوال سار طامي بن شعيب برعاياه من عسير وألمع وغيرهم نحو عشرة آلاف مُقاتل، وكان الروم قد ساروا من مكَّة والطائف بعساكرَ كثيرة نحو عشرين ألفاً من الأتراك والمَغاربة، فحاصروا بخروش في أودية وادي زهران.

واجتمع عليه طوائف شعلان ومن معه من قبائله، ومُحمَّد بن دهمان ومن معه من قومه، وابن حابش وغيرهم وحصلت المُواقعة بين الروم وتلك الجنود الحِجازية والتهامية قُرب حصن بخروش، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الروم هزيمة شنيعة"(١).

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٦٨؛ عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣٥.

نتائج المعركة:

انتهى هذا اللقاء الدامي بانتصارٍ حاسم للقوات السُّعودية، التي استمرت في مُطاردةِ الحملة إلى أنْ حاصرتها في الطائف، حيث كانت فيها قوات طوسون باشا أيضاً، وفيها قُتل سلحدار[١] طوسون باشا، والتجأت جميع القوات العُثمانيَّة المُنهزمة ولاذت بالفرار إلى قرية كلاخ[٢]، بلا مُؤن، ولا خيام، ولا سلاح، ولا ذخيرة، ولا أمتعة، فلم يستطع قائدهم عابدين بيك إلا بشق الأنفس من الهربِ واللحاقِ بقواتهِ إلى كلاخ، وقد أجبرته قوات السُّعوديينَ التي كانت تُطارده عن التخلي عن كلاخ، والهروب إلى الطَّائف.

خطة مُحمَّد علي باشا لمُساعدة قوات طوسون باشا المُحاصر:

كادت هذه المعركة تقضي على القوات العُثمانيَّة بشكل كلي ونهائي، إلا أنَّ الإمداد الذي وصل بقيادة مُحمَّد علي باشا بنفسه إلى الطائف خفَّفَ من وقع الهزيمة وآثارها المعنوية على القوات الغازية العُثمانيَّة حيث استطاع بشقّ الأنفس تخليص الطائف من القوات السُّعودية، التي اضطرت لفك الحصار عنه[٣].

(١) السلحدار: هو المسؤول عن سلاح السلطان أو القائد، وغالباً ما يكون هو رئيساً لحرس سيده.

(٢) كلاخ: قرية سعودية مشهورة تقع جنوب مدينة الطائف وتبعد عنها مسافة ٧٠ كيلو متراً، واشتهرت القرية بالكثير من الحروب التي حصلت تاريخياً.

(٣) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣٥؛ موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٣٦.

ويسرد الرافعي الكيفية التي تمّ بها فك الحصار عن قوات طوسون باشا في الطائف من قِبل مُحمَّد علي باشا فيقول: "بلغَ مُحمَّد علي باشا هذا النبأ في جدة، فأخذ يعمل فكره لإنقاذِ ابنه من الحصار، فاهتدى إلى حيلةٍ حربيةٍ تدلُّ على شدةِ ذكائهِ وحضور ذهنه، ذلك أنه ركب في عشرين من رجاله، وسار نحو الطائف، ووقف على جبل يُشرف عليها، فشاهد مركزها وهي محصورة، وفيما هو كذلك جاءه رجاله بفارس عربي من السُّعوديينَ، كان قد وقع أسيراً في أيديهم بوقتٍ سابق، فلما رآه مُحمَّد علي باشا أخذ يسأله عن قوات السُّعوديينَ، فيُجيبه على ما يسأل، ثمَّ عرض عليه أنْ يُطلق سراحه على أنْ يحمل رسالة إلى ابنه طوسون باشا في الطائف، وأخذ عليه موثِقاً أنْ يؤدي الرِّسالة، فوفى الرجل بعهده، وحمل الرَّسالة إلى طوسون باشا، فإذا هي تحوي الكلمة الآتية: "إني قادم إليك فاحضر، والحق بنا فوق الجبل"، وقد اطلع السُّعوديون على فحوى الرَّسالة، فتوهموا أنَّ جيشاً عرمرماً قد أقبل لنجدة طوسون باشا، وأنهم سيقعون حينئذ بين نارين.

والحقيقة أنها خدعةٌ ابتكرها مُحمَّد علي باشا لإيهام السُّعوديينَ أنه قادم في قوةٍ كبيرةٍ، وقد كان لهذه الخدعة أثرها الفعال في سيرِ القتال، فإن السُّعوديينَ أجمعوا على الانسحاب ورفعوا الحصار عن الطائف"(١).

(١) عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص١٣٥.

ما بعد فكِّ الحِصار:

في هذه الأثناء تراجعت قوات مُحمَّد علي باشا بكاملها لتُعسكر في مدينة جدة، حيث مركز التدريب الذي استمرت مُدته ثلاثة أشهر، كاد أنْ يُحدث خلالها تغيُّراً في موقف كثير من القبائل البدوية تجاه الحملات العُثمانيَّة على الدَّولة السُّعودية الأولى، فقد تفاقمت ثورةٌ شبَّت بين يَنبُع والمدينة، وسببها أنَّ حاكم المدينة المنورة، طاهر أفندي[١]، أمر بقتل شيخ حرب[٢] بداي بن مضيان[٣]؛ حيث قامت عشائر حرب ومن معها للأخذِ بالثأرِ ورده بالمثل، فقطعت السُّبل (الطُّرق) بين يَنبُع والمدينة، ومنعت وصول المؤن من ناحيتها إلى المدينة، وكادت الثورة أنْ تتفاقم وتعظم لولا أنَّ مُحمَّد علي باشا عالجها بالحكمة.

سار طوسون باشا لاحقاً بأمرٍ من أبيهِ لمُصالحتهم، وواعدهم ناحية بَدْر، حيث التقى بشيوخ عشائرهم، وبأبناء الشَّيخ المقتول جزاء بن عامر السالمي الحربي، وبالغ في إكرامهم بالمالِ والهدايا النفيسة، وتعهد لهم بعقابِ طاهر أفندي حاكم المدينة المنورة؛

---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٨٨.

(٢) وقد ذكر لنا الباحث د. فايز البدراني: إنَّ مُحافظ المدينة المنورة ديوان أفندي هو الذي نفذ أمر قتل الشَّيخ جزاء بن عامر الميموني السالمي الحربي شيخ قبيلة حرب، وإنَّ الشَّيخ بدّاي بن بدوي بن مضيان مات بمرض الجدري بناءً على ورود خبر ابن بشر سنة ١٢٢٠هـ حيث قال: "وفيها مات رئيس حرب بدّاي بن بدوي بن مضيان بعلة الجُدري، وولى الإمام سعود بن عبد العزيز أخاه مكانه في بوادي حرب "انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ص٣٨. وهذا يُخالف رواية مانجان.

(٣) المرجع السابق، ص٨٧.

عِقاباً من جنسِ جريمته، فهدأت بذلك نفوسهم وسكنت حدَّة غضبهم، وساعده على تهدئتهم ما بذله لهم من المال.

وفي خلال تلك الحادثة، تلقى طوسون باشا من المدينةِ نبأ وفاة حاكمها طاهر أفندي الذي اندلعت الثورة بسببه فأذاع طوسون باشا هذا النبأ، وأعلمهم أنَّ أباه هو الذي أعطى الأمر بقتلهِ عِقاباً له على فعلتهِ، فجنحت عشائرهم إلى السِّلم، وكفت عن قطع الطُّرق ناحيتها مع اقتراب موسم الحج(١).

في تلك الفترة كانت قوات الإمداد العسكريَّة تصل كل يوم من مصر إلى ميناء يَنبُع، وكان قادة مُحمَّد علي باشا: طويز أوغلوا، وحسن آغا صارلي جشمي، وحسن بيك، رئيس الدلالة ينتظرون في يَنبُع مع جنودهم أوامره على أهبة الاستعداد، وحينها كان قد توجه بنفسه إلى جدة وجلس فيها شهرين، وكان والده يستعجله بالعودةِ إلى يَنبُع ليجمع قواته من المُشاة والفُرسان، ويتوجه بهم بعدها إلى فتحِ مناطق أخرى.

---

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج٤، ص٣٣٩.

رابعاً: الإمام عبد الله بن سعود يؤدب القبائل المُناصرة لطوسون باشا في الحِجاز (١٢٢٩هـ/١٨١٤م):

أخذت سياسة مُحمَّد علي باشا في الحِجاز تُؤتي ثمارها، فقد تمكن بفضل التَّخطيط المدروس من تحسين علاقاته مع قبائل البدو في الحِجاز. والدليل على ذلك ما ذكره ابن بشر: من أنَّ الإمام عبد الله بن سعود هاجم القبائل البدوية الحِجازية المُوالية لمُحمَّد علي باشا مراراً، كما اضطر إمام الدِّرْعيّة للقيام بحملة تنكيلية ضد بدو مطير أيضاً[١].

قال ابن بشر: وفيها (سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م) سار عبد الله بن سعود بجميع (السعوديين) من أهل نجد الحاضرة والبادية. خرج من الدِّرْعيّة أول السنة، واجتمع عليه جميع النواحي، وقصد جهة الحِجاز قبل وفاة أبيه الإمام سعود، فأغار على بوادي قبيلة حرب، وهم في الحرة قُرب صفينة القرية المعروفة في تلك الناحية، فأخذ لهم إبلاً وغَنماً كثيرة، ونزل بالغنائمِ صفينة وقفل منها[٢].

اعتبر الإمام عبد الله بن سعود أنَّ مُناصرة الأجنبي على البلاد، وتمكينه من الاحتلال والسيطرة على المُقدسات الإسلامية والبلاد

(١) تاريخ العربيَّة السُّعودية، فاسيلييف، ص١٩٦.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٦٧، بتصرف.

العربيَّة مُخالفٌ لتعاليم الشَّريعة الإسلامية والسُّنة النبوية الشَّريفة، وتَجب مُحاربته ومُعاقبة كل من تسول له نفسه فعل ذلك على أرضِ الجزيرة العربيَّة مهد الرَّسالة ومهبط الرَّسل، ولذلك فقد اجتهد الإمام عبد الله بن سعود بتأديب بعض القبائل البدوية التي تآمرت عليه مع القوات العُثمانيَّة، واستمر بمواجهة القوات الغازية في حصن بخروش.

خامساً: هجوم طوسون باشا للمرة الثانية على تُربة، ووصول الأمير فيصل بن سعود بجيوشه إلى تُرَبة سنة (١٢٢٩هـ/١٨١٤م):

عاودَ طوسون باشا الهجوم على تربة للمرة الثانية عام (١٢٢٩هـ)بعد هزيمته في المرة الأولى عام (١٢٢٨هـ)، وهذه المرة اصطحب طوسون باشا برفقتهِ من القوات (٥٠٠٠) خمسة آلاف من المُشاة و(١٠٠٠) ألف من الفُرسانِ و (٦) ستة من المدافع[1]، وفي تُرَبة، البلدة المُحصنة شرقي الطائف، استنفر الأمير فيصل[2] بن سعود الكبير جميع القبائل البدوية المُوالية للدَّولة السُّعودية الأولى للقيامِ إلى القتالِ معه، وكان ذلك بعد أنْ ولاه أخوه الإمام عبد الله بن سعود قيادة جبهة تُرَبة بعد وفاة أبيهم الإمام سعود بن عبد العزيز .

فخرج بمن معه من تُرَبة وعددهم حوالي (١٠٠٠٠) عشرة آلاف مُقاتل من أهالي نجد إلى بئرِ ماء غزايل، لمُلاقاة مُقاتلي القبائل التي لبَّته واستجابت لندائه، ووفدت إليه للوقوف إلى جانبه في هذه المعركة الفاصلة. وقد قُدِّرت القوات التي اجتمعت للأمير

---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٧٤.

(٢) الأمير فيصل: هو ثاني أبناء الإمام سعود بن عبد العزيز. انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٦٩، ٣٧٠.

فيصل بن سعود ما بين (٢٥٠٠٠) الخمسة وعشرين إلى (٣٠٠٠٠) ثلاثين ألفاً.

روى ابن بِشر أحداث نزول الأمير فيصل بن سعود في تُربَة واجتماع ثلاثين ألفاً معه قائلاً: "نزل بلدة تُربَة واستنفر الرعايا من السعوديين الحِجازية، فَقَدم طامي بن شعيب في عسير وألمع، ومن دونهم من زهران ورؤسائهم وغامد وغيرهم نحو عشرين ألفاً.

فلما أقبلوا على تُربَة أرسلوا إلى الأمير فيصل وأخبروه بقدومهم، فَقَدِم الأمير فيصل بن عبد الله من تُربَة ومعه نحو عشرة آلاف مُقاتل، فاجتمعت تلك الجموع كلها في غزايل، وهو بئر كبير واسع غزير الماء قرب بلد تُربَة"(١).

كما وصف بوركهارت رد فعل القوات المُرابطة مع الأمير فيصل بن سعود عن حشد مُحمَّد علي باشا قواته لمُلاقاتهم، فقال: "ضحك العدو عندما قيل إنَّ مُحمَّد علي باشا يَعتبر أخذ تُربَة أمراً مؤكداً؛ وحول هذا الوقت استلم الباشا من القائد السُّعودي بخروش بن علاس رسالة مكتوبة بأسلوب منطوي على السخرية والاحتقار بشخصهِ وبقواتهِ.

لقد أخبره فيها إنَّ لديه بالفعل براهين كافية عما يستطيع السُّعوديون أنْ يفعلوه، وإذا عزم على حربهم، فينبغي أنْ يأتي

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٦٩.

بجنودٍ أفضل من أولئك الذين يقودهم الآن، لكن الخطة الأكثر حكمة له هي أنْ يعود إلى مصر من حيث جاء، ويغمس نفسه في ماءِ النيل العذب. وقد كَفَّرَ بخروش بن علاس لاحقاً عن إهانته هذه لكرامة الباشا بأن مات ميتة شنيعة"(١).

وأما ابن بِشر المُعاصر لتلك الحقبة، فقد روى أحداث معركة تُرَبة تلك قائلاً: "ثمَّ إنَّ مُحمَّد علي باشا سَيَّرَ ابنه طوسون باشا بالعساكر العظيمة والجموع الكثيرة إلى جهةِ الحِجاز واليمن، وكان أدنى ما يليهم تُرَبة، وكان قد حصَّنها الإمام سعود بن عبد العزيز بالبناءِ وأعد فيها عِدَّة للحصارِ ومرابطته، واستنفر أهل الحِجاز وأمرهم أنْ ينزلوا حولها مُرابطة لها، ثمَّ أقبل طوسون باشا ومن معه من العساكر والجموع ونازلوا أهل بلد تُرَبة وحاصروها نحو أربعة أيام، ونصبوا المدافع والقنابر ورموها رمياً كثيراً، فلم يؤثر فيها شيئاً، وأنزل الله الرعب به وبعساكره ورحل عنها بعدما قتل من قومه قتلى كثيرة"(٢).

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص١٧٧.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٧١.

إذاً وبعد حصار طوسون باشا لتُرَبة للمرة الثانية وبعد ضربها بالمدافع فشل في احتلالها ودخول أسوارها، وكانت النتيجة النهائية لهذه المَعركة: تراجع طوسون باشا مع قواتهِ لاقتناعهم بعدم جدوى الاستمرار في القتال[١].

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٣٥.

سادساً: ملحمة بِسْل[١] بين الأمير فيصل بن سعود ومُحمَّد علي باشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م):

أحداث المعركة:

وبعد أنْ تمت مناسِك الحج تجدَّدت الحرب بين القوات السُّعودية وقوات طوسون باشا، وأنفذ مُحمَّد علي باشا جنوده إلى الطائفِ تمهيداً للزحفِ والمعركة الجديدة، وكان السُّعوديون بقيادة الأمير فيصل بن سعود قد جمعوا من المُقاتلين الأشاوس نحو (٢٠٠٠٠) عشرين ألفاً، قاموا بحشدهم من تهامة والحِجاز بقيادة الأمير فيصل بن سعود بين (بِسْل) و(تُرَبة)، كما قدم إلى موقع الأمير فيصل بن سعود هناك جمع غفير قُدر بعشرين ألفاً مكونٌ من قبائل عسير وألمع وزهران ورؤسائهم وغامد وغيرهم، وكان هذا الجمع تحت قيادة أمير عسير طامي بن شعيب.

زحف مُحمَّد علي باشا مع (٤٠٠٠) أربعة آلاف مُقاتل على بِسْل الواقعة بين الطائف وتُرَبة، ليلتقي فيها بالجيش السُّعودي، عندئذ دارت رحى القِتال بين الجيشين، واستعرت نار الحرب بينهم والتهبت،

---

(١) بِسْل: وادي وقرية وقلعة وقصر معروف يقع جنوب شرقي الطائف (بين الطائف وتُربة)، وقرية بِسْل وقلعته تقع في ديار العصمة من قبيلة عتيبة. معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلاذري، دار مكَّة للنشر والتوزيع ١٤٣١هـ، ص٢٢١، ٢٢٢؛ عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٧٠.

واستمرت المَعركة حامية الوطيس من الفجرِ وحتى المساء، إلى أنْ انتهت بتراجع الجيش السُّعودي، وقُتل منهم نحو (٦٠٠) ستمائة وتشتت الباقون، وقد دفع مُحمَّد علي باشا لجنودهِ (٦) ستة ريالات مُقابل كل رأس من الجنود السُّعوديينَ.

قادة الجيش السعودي:

بعد ذلك اتجه قادة الجيش السعودي يتزعمهم الأمير فيصل بن سعود، وطامي بن شعيب، وفهاد بن سالم بن شكبان (من بيشة)، ومصلط بن قطنان (من رنية) إلى بلدة تُرَبة، ولكن قوات مُحمَّد علي باشا لم تدعهم وشأنهم، وطاردتهم إلى أنْ اتجهوا إلى رَنية، ومنها رحل الأمير فيصل بن سعود إلى بلاد نجد[1].

وعن مَسير الأمير فيصل بن سعود إلى بِسْل على رأسِ جيشه ومُجريات الأحداث، ذكر ابن بشر: أنهم ساروا إلى قوات طوسون باشا، بعد أن اجتمعوا بعددهم وعدتهم على بِسْل، فنازلهم جنود الدَّولة السُّعودية الأولى، ووقع بينهم في ذلك اليوم قِتال وطراد، وقُتل من قوات طوسون باشا عدد كثير، ثمَّ قَدِم والي مصر مُحمَّد علي باشا بعساكر كثيرة مَدداً لتلك العساكر، ووقع القتال بين الفئتين، فثبت الأمير فيصل ومن معه من القوات السُّعودية، ووقع كسيرة في ناحية جموع قواته؛ من جهة زهران وغامد، ثمَّ اتصلت

(١) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٣٧، ٢٣٨.

الكسرة في قوم طامي من عسير وغيرهم، واتصلت الكسرة على القوات السُّعودية لا يلوي أحد على أحد[١].

كما أرَّخ هارفرد بريدجز لهذه الواقعة فقال: عندما وصل الباشا محطته الثَّانية في الزيمة قابله مبعوث أرسل على عجل من كلاخ، وأبلغه أخباراً مَفادها: إنَّ مجموعة كبيرة من السُّعوديينَ قد تمكنت من الاستيلاء على بلدة بِسْل التي تقع بين كلاخ والطائف، وبذلك استطاعت قطع الاتصال بين هذين المكانين، وإنَّ مجموعة أُخرى من السُّعوديينَ كانت تقوم بغارةٍ على العربِ المُتعاونين مع الأتراك، والذين تقع ديارهم إلى الشرق من كلاخ.

وصول محمد علي باشا إلى كلاخ:

على الرغم من كل هذا أسرع الباشا مُحمَّد علي خُطاه إلى قرية كلاخ، وفي اليوم التالي تقدَّم باتجاه بِسْل ومعه جميع فرسانه. وجد الباشا السُّعوديينَ يُعسكرون على سفوحِ الجبالِ التي تشرف على سهول بِسْل، وقوتهم تُقدر بحوالي (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرين ألف مُقاتل، ولكن فُرسانهم كانوا قليلين جداً، في حين لم تكن لديهم مدفعية من أي نوع، ومن ناحية أُخرى كان غالبية القادة السُّعوديينَ الأقوياء موجودين في هذا المُعسكر، وقد ظهر الآن جلياً أنَّ الهجوم من القنفذة كان الغرض منه توجيه اهتمام الباشا

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٧٠، ٣٧١، بتصرف.

بعيداً عن هدفِ الهجوم الأساسي وهو بِسْل حيث يُسيطرون الآن على موضع قوي في مُنتصف خطوط المُواصلات التركية.

وعندما تقدمت الخيالة العُثمانيَّة للهجوم، صمد السُّعوديون في مواقعهم.. وتمكنوا من صَدِّ مُحاولة قام بها مُحمَّد علي باشا لزرع واحدة من مدافعه الميدانية في موضع يستطيع مُضايقتهم به. وقد أدرك مُحمَّد علي باشا في الحال أنه طالما احتفظ السُّعوديون بمواقعهم فلنْ تكونَ هناك فرصة للنجاحِ ضدهم، كما أدرك أيضاً أنه طالما بقي في مكانه فإنَّ التأخير المُترتب على ذلك سيكون له آثارٌ خطرة عليه بقدر ما ستكون فيه فوائد لأعدائه.

ولذلك خلال الليل أرسل الباشا بطلب التعزيزات من قرية كلاخ، كما قام بنشرِ مدفعيتهِ على جناح القوات السُّعودية، وعندما طلع الصباح جدّد مُحمَّد علي باشا الهجوم ثانية بواسطة خيالته، ولكنه صُدَّ مرة أخرى، بعد ذلك لجأ إلى خدعة تَمكن بواسطتها من تحقيق أقصى ما كان يتمناه.

لقد أصدر الباشا أوامره للطابور الموجود على جناح القوات السُّعودية ليتحرك مُقترباً من مُعسكر السُّعوديينَ مع إطلاق النيران من المدفعية، ثمَّ ليتراجع بعد ذلك بطريقة ظاهرها عدم الانضباط والفوضى؛ حيث يتعقب السُّعوديون من كانوا قد تصوروهم هاربين، واعتقدوا أنَّ السَاعة التي يستطيعون فيها وضع النصر بين أيديهم قد جاءت، إلى أنْ قال في النهاية: وصل السُّعوديون الآن

إلى السهل وأصبحت تفصلهم عن الجبال مسافة كافية لتشجيع الباشا على القيام بالهجوم الذي كان يُبيته، لقد حشد كل خيالته وتصدى لمواجهة من كانوا يتعقبونه، ولم يمضِ وقت طويل قبل أنْ تُصبح نتيجة المَعركة في صالحه، وبدأت المَذبحة في صفوف السُّعوديينَ.

جرائم محمد علي باشا في كلاخ:

لقد قيل: إنه خلال ساعات طُرح (٥٠٠٠) خمسة آلاف رأس عند أقدام الباشا، في حين استطاع كثير من زُعمائهم الكِبار الهرب من ساحة المعركة بصعوبة"، وقال أيضاً: أشير إلى الظروف الاستثنائية التي كانت تمر بها جماعات عدة من عربان أقسموا بالطلاق من زوجاتهم قبل الخروج في هذه الحملة بألا يولوا ظهورهم للأتراك، لقد وجدهم المُنتصرون على الجبال مربوطاً بعضهم إلى بعض عند الساق، لكي يمنع بعضهم بعضاً من الهرب من ميدانِ المعركة، لقد حارب هؤلاء المُتعصبون (..) وتمَّ تقطيعهم جميعاً إلى أشلاء(١).

وفي ساعات قليلة تجمعت (٥٠٠٠) خمسة آلاف رأس أمام الباشا، وأحيط بـ (١٥٠٠) ألف وخمسمائة من القوات السُّعودية في وادي ضيق فمُزّقوا إرباً" إلى أن قال: وقد أُخذ (٣٠٠) ثلاثمائة مُقاتل سعودي أحياء بناء على أمر مُستعجل من والي مصر مُحمَّد

---

(١) موجزٌ لتاريخ الوهابي، هارفرد جونز بريدجز، تحقيق: د. عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٨٧، بتصرف .

علي باشا، الذي أمر عساكره أن يمنحوهم مأوى، إذ لم يتنازل لطلب الرحمة من الأعداء إلا عدد قليل جداً. وأرسل الشَّريف راجح مع بعض الفُرسان لتعقُّب الهاربين(١).

أسباب الهزيمة:

وبالحديثِ عن سبب هزيمتهم، قال: "كان سبب هزيمة السُّعوديينَ نزولهم من الجبالِ إلى السهل، إذ لم تكن لديهم أية وسائل لمُقاومة الفُرسان. وكان الإمام سعود بن عبد العزيز قد حذَّر ابنه في كلماته الأخيرة التي وجهها إليه من القيام بمثل هذا العمل. ولكن رغبتهم في إنهاء الحملة، وربما رغبتهم في اعتقال مُحمَّد علي باشا شخصياً، من الأمور التي جعلتهم ينسون الأسلوب الحكيم الذي اتبعوه في الحرب من قبل(٢).

وأما عن مصير قادةِ وأتباع الأمير فيصل بن سعود وما حلّ في مُعسكرهم بعد هذه الملحمة فيقول بوركهارت: أصبح كل مخيمهم وأمتعتهم وأكثر إبلهم للأتراك، و نجا طامي بن شعيب مع عدد قليل فقط من أتباعه.

وقال أيضاً: بخروش بن علاس، الذي كان من أبرز القادة السُّعوديينَ، قَتل بيده اثنين من ضُباط الباشا، وحين قُتل حصانه

---

(١) مُلاحظات عن البدو والوهابيين، بوركهارت، ج٢، ص١٨٣، ١٨٤، بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص١٨٥ بتصرف.

اختلط بقوات طوسون باشا حتى وجد فرصة جذب بها أحدهم من فوق ظهر حصانه، ثمَّ امتطاه وهرب.

وقد قُدرت خسائر الدَّولة السُّعودية البشرية آنذاك بـ(١٠٠٠٠) عشرة آلاف مُقاتل أو ما يُعادل ثلث قواتها التي هبطت بِسْل، حيث هلك مُعظمهم ولقي حتفه في اليوم الثالث والأخير للمعركة، إلا أنَّ الخسارة الكبرى التي كان لها دويها الأكبر في الدِّرْعيّة هي فقدانها لمعسكرها بما فيه من أموال وأسلحة وأقوات وغير ذلك في بِسْل، إذ لم تستطع تعويض تلك الخسارة الفادحة أبداً. وعلى إثر ذلك ومن نتاجه، تهاوت بقية بلداتها في الحِجاز ومعظم عسير بسرعة لا تتصور على أيدي قوات مُحمَّد علي باشا لاحقاً"[١].

(١) الجواهر النفاس في آثار نجد الأُخَرْ، إبراهيم بن مُحمَّد بن عبد الوهاب، ج١، ص٣١٢، ص٣١٣.

سابعاً: احتلال قوات طوسون باشا لتربة، ورَنية، وبيشة سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م):

بعد واقعة بِسْل تصدَّع وتضعضع قِوام الجيش السُّعودي، وارتفعت معنويات مُحمَّد علي باشا وجنوده، فتابع الزحف واحتل (تُربَة) ثمَّ احتل (رنية)، ثمَّ زحف نحو (بيشة[1]) فقاتل فيها قبيلة بني أكلب[2] وأنزلهم تحت سلطته وطاعته.

وما إنْ خرج الأمير فيصل بن سعود من تُرَبة، حتى وصل إليها مُحمَّد علي باشا.

وهنا استسلم سُكان البلدة أمام جيشه بعد انتصارهم على الجيش السُّعودي، وأنشأ الباشا مركز رئاسته في تُرَبة لفترة من الوقت، وقام بتخريب بعض البيوت، وبعد ذلك شق الجيش المصري طريقه من تُربَة باتجاه الجنوب مُتجهاً إلى رنية التي تبعُد مسيرة يومين عبر أرض مُنبسطة ومستوية[3].

---

(١) مدينة قديمة تقع في مُلتقى طُرق جنوب الجزيرة العربيَّة وشرقها وشمالها وغربها أي تتوسط بين الحجاز وعسير ونجد، وتبعد عن مكَّة المُكرمة ٥٠٠ كم، وفيها سوق تجارية قديمة.

(٢) هم بنو أكلب بن ربيعة بن نزار. تسكن قبيلة أكلب منطقة بيشة في جنوب الجزيرة العربيَّة منذ القدم، وبيشة مفتاح اليمن قديماً من الشمال، واعتبرت مفتاح جنوب البلاد السُّعودية في القرن الرابع الهجري، وهي امتداد طبيعي لنجد.

(٣) الجواهر النفاس في آثار نجد الأُخَرْ، إبراهيم بن مُحمَّد بن عبد الوهاب، ج٢، ص١٨٧، ١٨٨.

روى الجبرتي الأحداث التي تلت معركة بِسْل واستيلاء مُحمَّد علي باشا على تُربَة، والهدايا التي تلقاها الباشا فقال: "وصلت قافلة(..) وفيها الأخبار والبُشرى بنصرة الباشا على العرب، وأنه استولى على تُرَبة، وغنم منها جمالاً وغنائم، وأخذ منها أسرى (..).

وفي أواخره ورد لحضرةِ الباشا هدية من بلادِ الإنكليز فيها طيور مُختلفة الأجناس والأشكال كِباراً وصغاراً، وفيها من يتكلم و يُحاكي، وآلة مصنوعة لنقلِ الماء، يُقال لها الطلنبة، وهي آلة (مضخة) تنقل الماء إلى المسافة البعيدة ومن الأسفل إلى العلو، ومرآة زجاج نجف[١] كبيرة قطعة واحدة، وساعة تضرب مقامات موسيقى في كل ربع يمضي من الساعة، بأنغام مطربة، وشمعدان به حركة غريبة، كلما طالت فتيلة الشمعة غمز بحركة لطيفة، فيخرج منه شخص لطيف من جانبه فيقطع رأس الفتيلة بمقص لطيف بيده، ويعود راجعاً إلى داخل الشمعدان"[٢].

وبعد كل تلك المعارك والملاحم الضارية حقق مُحمَّد علي باشا إنجازات كبيرة في المنطقة الجنوبية، ومنها:

١- نازل قبيلة الفزع وشمران[٣] ورمى قصر أميرها وقتله مع مائة من رجاله.

(١) قطعة من الكريستال.

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج٤، ص٣٤٤.

(٣) قبيلة شمران من القبائل العربيَّة الأزدية نسباً و الخثعمية حلفاً، وتقع مساكنها على طريق=

٢- أخضع آل شكبان لسلطانه وحكمه.

٣- دمَّر وهدم رنية وأضرم فيها النيران.

٤- سلَّم له صاحب خميس مشيط ورعاياه.

٥- أطاعه مُحمَّد بن واكد ورعاياه(١).

وقد لقي جيش الحملة خلال هذه المعركة متاعب هائلة ومشقة كبيرة، فلم يكن هناك غذاء للجنود في الغالب سوى التمر، وكان مُحمَّد علي باشا يُقاسمهم شظف العيش ومرارته ليُشجعهم على احتمالهِ.

=الطائف، وأبها منحدرة إلى الغرب حتى تهامة، ويحيط بها من الغرب والشمال قبيلة غامد، ومن الشرق قبيلة شهران، ومن الجنوب خثعم وقبيلة بلقرن.

(١) الجواهر النفاس في آثار نجد الأُخَرْ، إبراهيم بن مُحمَّد بن عبد الوهاب، ج٢، دون تاريخ نشر، ص٢٣٨، ٢٣٩.

فهرس الفصل الخامس

سُقوط القصيم سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م)

* أولاً: حصار الإمام عبد الله بن سعود لقوات طوسون باشا في الخبراء والرَّس.
* ثانياً: معركتا: قصر البعجاء، والشبيبة بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا سنة(١٢٣٠هـ/١٨١٥م).
* ثالثاً: سقوط الرَّس سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

١- نزول الإمام عبد الله بن سعود عند ماء الحجناوي بين عنيزة والرَّس سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

٢- اتفاقية أهل الرَّس مع طوسون باشا.

٣- عوامل تسليم أهل الرَّس لطوسون باشا.

٤- صُلح الرَّس بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

أ- أسباب التفاوض بين قيادة الجيشين المُتحاربين.

ب- دواعي قبول طوسون باشا للصُّلح مع الإمام عبد الله بن سعود.

ت- دواعي قبول الإمام عبد الله بن سعود للصُّلح مع طوسون باشا.

ث- مُقررات نص الصُّلح بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا.

ج- وثيقة مصرية ذكرت الصُّلح بين طوسون باشا والإمام عبد الله بن سعود.

ح- نتائج الصُّلح بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا.

خ- عوامل نقض السُّعوديينَ للصُلح مع طوسون باشا.

*** رابعاً: حملة الإمام عبد الله بن سعود على الخبراء والبكيرية لمُناصرتهم طوسون باشا.**

*** خامساً: عودة مُحمَّد علي باشا إلى مصر (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).**

*** سادساً: عودة طوسون باشا إلى القاهرة سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).**

*** سابعاً: أسباب وفاة أحمد طوسون باشا سنة (١٢٣١هـ/١٨١٦م).**

*** ثامناً: دور الإمام عبدالله بن سعود في الدِّفاع عن الدَّولة السُّعودية الأولى .**

الفصل الخامس: سُقوط القصيم سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م)

أسباب التقدم نحو القصيم:

تذكُر بعض المصادر التَّاريخية إلى أنَّه نتيجة للمُراسلات والأخبار التي تلقاها طوسون باشا من بعضِ زُعماء ووجهاء القصيم الذين كاتبوه وحرَّضوه على القدومِ إليهم في القصيم، شجعه ذلك على أنْ يُصدر الأوامر لقواتهِ العسكريَّة الموجودة في الحناكية بالتحرك نحو القصيم[١].

وهنا يُمكن القول: إنَّ وصول أمير بلدة الرَّس، وأمير بلدة الخبراء وبعض أعيانها، وأمراء بلدات البكيرية والهلالية والشنانة وآخرين، إلى مقرّ إقامة طوسون باشا لتجديدِ الولاءِ[٢] والطاعة له قد أعطاه دافعاً مَعنوياً قوياً لغزوِ بلاد القصيم[٣].

ولعلّ ذلك أيضاً أعطى دافعاً قوياً لمُشاركة أبيه مُحمَّد علي باشا في هذا المجد، وخاصة إنَّ طوسون باشا مُنح رتبة الباشوية

(١) مواد لتاريخ الوهابيين، بوركهارت، ص١٨٥.

(٢) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٩٢.

(٣) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص٨٦.

من الباب العالي نفسه، إذ يبدو أنه كان يأمل أنْ يصل إلى الدِّرْعيّة ويُحقق هدف السُّلطان العُثماني في القضاءِ على الدَّولة السُّعودية، وبذلك سينال الشّرف العظيم والحظوة الكُبرى عند السُّلطان العُثماني، فربما كان يطمح لأكثرِ من ذلك كأن يُصبح حاكماً لإحدى الولايات العُثمانيَّة.

ولا يفوتنا ذكر دور القبائل البدوية المُناصرة لطوسون باشا في إضافة دافع آخر له للتوغل العسكري داخل القصيم حيث الطريق إلى نجد، فقد ذكرت المصادر عن تحالف قبيلة حرب مع طوسون باشا، فبعد قتلِ حاكم المدينة المُنورة لشيخ قبيلة حرب جزاء بن عامر أرسل طوسون باشا إلى زُعماءِ وأبناء شيخ القبيلة دعوته ورجاءه أنْ يأتوا للتفاوض معه في بلدةِ بَدْر التي تمكن من السيطرةِ عليها مع فرسانه مُستخدماً (٢) مدفعين و (٤٠٠) أربعمئة جندي من المُشاة، ثمّ وزَّع الهدايا الثمينة والأعطيات على الأهالي الذين عادوا إلى بَدْر بعد فرارهم منها.

وتطبيقاً لسياسةِ استمالة شيوخ قبائل البدو وإغرائهم المادي استقبل طوسون باشا أبناء شيخ قبيلة حرب المقتول (جزاء بن عامر الحربي)، وأكد لهم حُسن نواياه تجاههم، ثمَّ أهدى إليهم الشالات والألبسة، وعيَّن بدلاً من الشَّيخ المقتول ابنه غانم بن مضيان، الذي انضم إلى قوات حملة طوسون باشا نحو الرَّس، إضافة إلى انضمام بعض أبناء قبائل: مطير والحويطات إلى قواته، وكان السبب في

اعتماد طوسون على قوةِ وخبرة أهل البادية هو معرفتهم بالطُّرُق والمسالك المؤدية إلى المناطق الاستراتيجية بالمنطقةِ وبالصحراء[١].

في تلك الأثناء، كان مُحمَّد علي باشا في تهامة، وكان ابنه طوسون باشا في المدينة المُنورة، فكتب أبوه يأمره بالتوجه إلى نجد بمن معه من الجيش والعِتاد، فتوجه مُباشرة إليها ونزل بلدتي: الخبراء والرَّس[٢].

---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى، مانجان، ص٩١.

(٢) المرجع السابق، ص٨٧.

أولاً: حِصار الإمام عبد الله بن سعود لقوات طوسون باشا في الخبراء والرَّس:

طوسون باشا في الرس:

كان طوسون باشا يتقدم بقواتهِ إلى غربِ نجد، ويُحرز الانتصارات تلو الأخرى على القوات السُّعودية فوصل بزحفهِ إلى بلدةِ الرَّس[١] في القصيم، وذلك قبل وصول قوات الإمام عبد الله بن سعود إليها، والتي كانت مُتمركزة في بلدةِ الرويضة[٢] بالقربِ من الرَّس، وتمكن طوسون باشا بُمساعدة بعض عشائر حرب ومطير من الاستيلاء على عددٍ من بلدانِ منطقة القصيم مثل: الخبراء والشبيبة.

خروج الإمام عبد الله بن سعود من الدِّرعيّة:

فلما بلغ ذلك الإمام عبد الله بن سعود استنفر جميع أتباعه من السعوديين من أهلِ الجبل (جبل شمر) والقصيم ووادي الدواسر، والأحساء، وعُمان، وما بين ذلك من نواحي نجد، فخرج من الدِّرْعيّة في مُستهلّ شهر جمادى الأولى واجتمع عليه السعوديون، ونزل المذنب البلدة المعروفة في القصيم، ثمَّ رحل منه ونزل الرويضة

---

(١) الرَّس: مدينة رئيسية تقع في غربي القصيم مجاورة لوادي الرمة في شمالهِ وهي من المدن المعروفة في نجد.

(٢) الرويضة تصغير روضة، نخيل ومزارع تابعة للرَّس، تقع إلى الشمال من مدينة الرَّس على الضفة الجنوبية لوادي الرمة.

المعروفة فوق الرَّس، فقطع النخيل والأشجار الموجودة فيها، ودمّرها وأهلك وحَرق غالب زرعها وأقام فيها يومين، فخرجت قوات طوسون باشا من الرَّس، وبدأوا برمي المدافع من بعيد على القوات السُّعودية، لكنهم لم يشتبكوا معهم.

ثمّ ذُكر للإمام عبد الله بن سعود وجود بعض البدو من بوادي قبائل حرب ومطير مُجتمعين في البصيري[1] الماء المعروف في عالية نجد.

فرحل من الرويضة وقصدهم، وبلغه في أثناءِ طريقه أنّ أحمد طوسون باشا وقواته أقبلوا من المدينة المُنورة ونزلوا الداث، الماء المعروف، قُرب بلدة الرَّس.

حملة الإمام عبد الله بن سعود على أهل البصيري:

هُنا غيَّرَ الإمام عبد الله بن سعود وجهة سيره بجيوشِ الدَّولة السُّعودية وأراد أنْ يُباغتهم على ذلك الماءِ ويُقاتلهم فإذا هم قد رحلوا من ماءِ الداث، وغيَّروا وجهتم ليقصدوا بلدة الرَّس، فأمر الإمام عبد الله بن سعود مُقاتلي أهل القصيم ممن معه أنْ يعودوا وينزلوا قُرب بلداتهم وقُراهم، لئلا يقع عليها هجوم عسكري غادر من قبل قوات طوسون باشا، ثمَّ أغار الإمام عبد الله بن سعود

(١) البصيري: منطقة تقع غربي منطقة القصيم، وتبعد عن الطريق الرابط بين القصيم والمدينة المنورة (٥٣) كيلاً من جهة الجنوب.

على أهل البصيري، وداهمهم، وأخذ مساكنهم، وأمتعتهم وأغنامهم، وكانوا قد هربوا بالإبل وزبنوها[١][٢]، كما نجحت القوات السُّعودية من تصفية القائد المصري إبراهيم آغا مع كامل فرسانه، وهم في طريقهم لنجدةِ قوات طوسون باشا[٣]وإغاثتهم، ثمَّ تابع الإمام عبد الله بن سعود زحفه باتجاه قصر البعجاء والشبيبة.

(١) زبن عَنهُ الشَّيْء: صرفه ودفعه عنه.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص٩٧.

ثانياً: معركتا قصر البعجاء و الشبيبة بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م):

أحداث معركة البعجاء:

ثمَّ ذُكر للإمام عبد الله بن سعود أنَّ القوات العُثمانيَّة تنزل في بلدة البعجاء قرب البصيري، وأنهم يُريدون التوجه نحو بلدة الرَّس، فتوجه نحوهم لمُلاقاتهم، ولما عَلِم به جنود طوسون باشا دخلوا قصر البعجاء ليتحصّنوا به، فحُشدت عليهم الجموع، وثلموا جدار القصر، وتسلقوه، ونزلوا عليهم، وقتلوهم أجمعين. وكانوا نحو (١١٠) مائة وعشرة رجال .

ثمَّ رجع الإمام عبد الله بن سعود من بلدةِ البعجاء ونزل بلدة المذنب[١]، وكان طوسون باشا حينها قد استوطن بلدة الخبراء، وأرسل من قواته ونزل بلدة الشبيبة المعروفة بين عنيزة والخبراء، ومعهم بعضٌ من عرب قبيلة حرب.

(١) المذنب: مدينة تُعتبر الواجهة الجنوبية لمنطقة القصيم في وسط المملكة العربيَّة السُّعودية، وأتاها اسم (المذنب) لكونها تقع في أذناب الأودية والشِّعاب، وهذا ما جعلها منطقة غنية التُربة نتيجة جلب الأودية عناصر مُهمة من مناطق بعيدة.

وقد أراد طوسون باشا أنْ يرحل بعدهم من الرَّس ثمَّ ينزل بلدة عنيزة، فلما عَلِم بذلك الإمام عبد الله بن سعود ارتحل من بلدةِ المُذنب، ونزل بلدة عنيزة، وكان أميرها يومئذ من جهة الإمام عبد الله بن سعود؛ إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود.

حملات الإمام عبد الله بن سعود على الشبيبة:

فأقام الإمام عبد الله بن سعود في عنيزة أياماً، وهو يُرسل الفِرق العسكريَّة من قواته لتُغير على جيوش طوسون باشا، وعلى البدو الذين تبعوه في الشبيبة[1]، ويَشُنّ عليهم الغارات تلو الغارات، فضيّق عليهم، وقد ندِم كثير من أهل الرَّس على إطاعتهم الجيوش الغازية، وانحاز عدة رجال منهم إلى الشنانة؛ النخل المعروفة فوق الرَّس إلى أنْ صاروا في قلعتها، فسارت قوات طوسون باشا إليهم وحاصروهم أشد الحصار ورموهم بالمدافع والقنابر[2]، وقد أُلقي من هذه القنابر على أهل الرَّس في ليلةٍ واحدة حوالي (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف قنبرة، وكانت نساء أهل الرَّس يتلقين تلك القنابر بعد وصولها إلى الأرض وعندما تنفجر للمرة الأولى يُسارعن بنقلها، وإلقائها في قدور كبيرة مليئة بالماء، وعندما تنطفئ يقمن بنقل عبوتها من ملح البارود إلى الرجالِ الذين يضعونها في البنادق، ويقتلون بها جنود طوسون باشا.

---

(١) موقع بين عنيزة والخبراء، انظر: ابن بشر، ج١، ص٣٧٧. (المترجم).

(٢) القنابر: عبارة عن كرة صلبة وثقيلة مصنوعة من الحديد والرمل المتماسك بقطر (٢٥) سم تقريباً، يملؤها الجنود بالرصاص وتوضع في فوهة المدفع وعندما تُرمى على الهدف تنفجر مرتين الأولى في نفسها فتفتح فيها فتحة، والثَّانية تنفجر على الهدف فتدمّره. ويوجد نموذج لها في متحف المواطن سليمان بن مُحمَّد الدبيان في الرَّس.

ثَبَتَ أهل الرَّس على هذهِ الحال، وقضوا على عدةِ جنود من جيش طوسون باشا ورحلوا عنهم، ورحلت قوات طوسون باشا أيضاً من الشبيبة وانهزموا في الرَّس[١].

طوسون باشا في وضع حرج:

كان طوسون باشا في هذه الأثناء في وضعٍ حرجٍ، ولم يكن أمامه من مخرجٍ وأمل إلا انتظار المَدد والدَّعم من والدهِ عن طريق المدينة المُنورة التي تبعد حوالي (١٦٠) كيلومتر من موقعهِ في الرَّس، ولما حاولت إحدى القوافل القادمة من المدينة المنورة إلى الرَّس والمؤلفة من مائة جمل محملة بالمؤن والذخيرة الوصول إلى مُعسكر قوات طوسون باشا استولت عليها القوات السُّعودية على بعد (٦) ستة كيلو متر.

وقتل جميع حراسها وعددهم(٢٠٠) مئتي حارس مع قائدهم خزندار طوسون باشا[٢]الذي حزن عليه طوسون باشا حزناً شديداً، ويبدو أنَّ ميزان القوى تغيَّر لصالحِ السُّعوديينَ، حيث إنَّ قوات الإمام عبد الله بن سعود خرَّبت المراعي، ولم يبق فيها مراعي للماشية والجمال التي كانت مرعى خصب لمواشي وجمال قبائل

(١) رحلة عبر الجزيرة العربيَّة خلال عام ١٨١٩م، فورستر سادلير، ترجمة أنس الرفاعي، ج٢، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠١٣م، ص١٢٩.

(٢) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٩٢.

البادية الموالية للمصريين التي توجهت إلى مراعي بلدة الشبيبة (مزارع بين عنيزة والخبراء)، وترك طوسون باشا بعض قواته في بلدة الشبيبة لحراسة المراعي حول البلدة[١].

(١) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص٩٨.

ثالثاً: سقوط الرَّس سنة (١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م):

١- نزول الإمام عبد الله بن سعود عند ماء الحجناوي بين عنيزة والرَّس سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م):

ثمَّ رحل الإمام عبد الله بن سعود من عنيزة، ونزل الحجناوي الماء المعروف بين عنيزة والرَّس، وحُوصِر جيش الحملة في الخبراء والرَّس، فأقام الإمام عبد الله ومن معه من المُحاربين قريب شهرين على هذه الحال يُصابرون قوات طوسون باشا وظلت المُناوشات غير مباشرة تقع بينهم من بعيد، ثمَّ إنَّ الله سبحانه وتعالى ألقى الرعب في قلوبِ قوات طوسون باشا إلى أنْ جنحوا للسِّلم. فقد أقبل ثلاث ركائب من جِمَال عليها ثلاثة رجال، رجُلين من قبيلتي: حرب ومطير، ورجل من قوات الحملة بالأمر لطوسون باشا بالمصالحة.

فوقعوا في قوم الإمام عبد الله بن سعود يحسبونهم قوات طوسون باشا، فأخذهم رجاله وأتوا بهم إلى الإمام عبد الله بن سعود، فضرب عنق الرجلين وأظهر مبعوث طوسون كِتاباً معه وأنه أتى للمُصالحة، فأكرمه الإمام عبد الله بن سعود، وأرسله إلى أصحابه فقام الصُّلح بينهم.

الصُّلح بين طوسون باشا و الإمام عبد الله بن سعود:

عند ذلك انعقد الصُّلح بين طوسون باشا والإمام عبد الله بن سعود على وضع الحرب بين الفئتين. وعلى أن يرفع العُثمانيون أيديهم عن نجد وأعمالها وأنّ السابلة (المارة من القوافل وغيرهم) تمشي آمنة بين الطرفين من بلد الشَّام ومصر وجميع ممالكهم إلى نجد، والشرق، وجميع ممالك الإمام عبد الله بن سعود، وكل منهم يحج آمناً، ووثقوا ذلك الصُّلح بوثيقة وسجلٍّ مكتوب.

ورحلت القوات العُثمانيَّة من الرَّس أول شعبان متوجهين إلى المدينة المنورة. وبعث الإمام عبد الله بن سعود معهم بكتابِ الصُّلح مع عبد الله بن مُحمَّد بن بنيان[١] صاحب الدِّرْعيّة، والقاضي عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم ليعرضوه على مُحمَّد علي باشا صاحب مصر، فوصلوا مصر ورجعوا منها وقام الصُّلح[٢].

٢- اتفاقية أهل الرَّس مع طوسون باشا:

خرجت حملة طوسون باشا من المدينة المُنورة بعد أنْ أصدر طوسون باشا أمراً إلى قواتهِ مُتوجهاً إلى الحناكية، وكان معه قوة هائلة تُقدر بحوالي (٤٠٠) أربعمائة بعير تحمل المؤن و(٣٠٠) ثلاثمائة فارس و(٤٠٠) أربعمائة من الجنود المُشاة، وبضع مئات

(١) الشَّيخ عبد الله بن مُحمَّد بن بنيان من قبيلة سبيع، وهو أحد علماء الدِّرْعيَّة في زمنه. علماء نجد في ثمانية قرون، عبد الله البسام، ج٤، ص٣٩٤.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٧٨، ٣٨٨.

من قبائل حرب، ومطير، وغيرهم من بعض أفراد من عشائر البادية التي تمت الإشارة إليهم. وأثناء توجه الحملة العسكريَّة إلى بلدة الشنانة القريبة من الرَّس تمكن من أسرِ (٣٠٠) ثلاثمائة من جيش السُّعوديينَ، بينما استطاع الباقون أنْ يلوذوا بالفرار.

ثمَّ بعد ذلك انتشر خبر وصول جيش طوسون باشا الذي انتصر على القوات السُّعودية، فجاءه زُعماء بلدة الرَّس وأميرهم ليعقدوا تفاهم ولاء معه، ويقدموا لجيشه وجنده مؤناً مدفوعةَ الثمن على ألا يدخُل البلدة، وتعهد طوسون باشا بذلك[1].

عندما علم طوسون باشا بوصول والده مُحمَّد علي باشا إلى المدينة المُنورة قادِماً من مكَّة المكرمة أصدر أمره من مقرّ قواته في القصيم بالرحيل للعودة إلى الحناكية لرؤية والده في المدينة المنورة، وربما أراد بذلك الإجراء أنْ يُعلق مشروعه في الاستيلاءِ على القصيم، أو لعلمهِ بقلةِ إمكانياته العسكريَّة المحدودة آنذاك وعدم ضمانه لولاء قوة قبائل البدو المُرافقة لحملتهِ؛ ولكن الأحداث تغيرت، فبينما هو في طريق العودة وصله نبأ بتقدم الإمام عبد الله بن سعود على رأس جيش كبير نحو بلدة الرَّس، وأنَّ قواته ستكون في خطرٍ كبير لأنَّ الإمام عبد الله بن سعود ينوي قطع طُرق الاتصال بين نجد والحجاز في الدولة السعودية الأولى، فعاد طوسون باشا مُسرعاً نحو قواته في القصيم ليمنع السُّعوديينَ

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى، مانجان، ص٩٢.

من هذا الإجراء العسكري الذي يُشكل خُطورة على الحجاز من جهة الشمال.

عاد طوسون باشا إلى الرَّس قبل وصول الإمام عبد الله بن سعود إليها، ثمَّ جاء زُعماء بلدة الرَّس إلى طوسون باشا، فقام باستقبالهم وأغدق عليهم الخلع والهدايا، وقام إمامه بتعليم إمام بلدة الرَّس كيفية الدُّعاء للسُّلطان العُثماني في خطبةِ الجُمعة، ثمَّ دخل طوسون باشا إلى مسجدِ الرَّس للصلاةِ يوم الجمعة، وبعد الصلاة توجه إلى منزل كبير الشيوخ، وأرسل إلى المُشاة أنْ يتمركزوا على أبوابِ البلدةِ ويهدموا قسماً من أسوارها، وكذلك الحصن، ويبنوا مساكن لهم فيها، ولعله أراد بذلك أنْ يمنع السُّعوديينَ من التحصُّن فيها لاحقاً، كما حدد رواتب لشيوخ وأفراد قبائل البدو، وأخذ بعضهم رهائن ليضمن ولاءهم وتبعيتهم الكاملة له، واشترى من بلدةِ الرَّس القمح والذرة، وجاءه زعماء من بلدات: الخبراء، والبكيرية، والهلالية والشنانة، للتعبير عن الاستسلام، كما استولت قوات طوسون باشا على المناطق الواقعة غرب القصيم من القُرى والمزارع مثل: ضرية، ومسكة، والبصيري، ونجخ، ويبدو أنه أراد أن تكون مراكز تموين له ولجيشه في حالات احتياج الحملة[1].

(١) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص٩٢، ٩٣.

٣- عوامل تسليم أهل الرَّس لطوسون باشا:

والمُتتبع لحوادثِ القصيم يجد أنَّ جنوح بلدة الرَّس وقُرى القصيم (الخبراء، والبكيرية، والهلالية، والشنانة) التي سلمت زمامها لطوسون باشا دون مُقاومة يعود لأسباب عِدّة، منها[١]:

• أخبار الخسائر المهولة في الأرواح التي تكبدتها القوات السُّعودية خاصة في معركة بِسْل.

• تلال الجماجم التي أقامها جنود الحملة من رؤوس قتلى جنود القوات السُّعودية على مداخل البلدان ولا سيما يَنبُع.

• الآذان المقطوعة والتي يتم دبغها، ومن ثمَّ شحنها إلى مصر أو الأستانة، والتي ملأت القلوب رُعباً من القواتِ الغازية، وأعطت صورة مُبالغاً فيها لمدى قوة وقسوة هذه القوات ومدى دمويتها.

• ومن الأسباب أيضاً أن بلدة الرَّس غير مُحصنة تحصيناً جيداً، وليس لديهم القوة والسلاح لمُحاربتهم لذلك فقد سمحوا لطوسون باشا بدخول البلدة حِفاظاً على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأنفسهم.

بعد ذلك زحفت قوات طوسون باشا إلى بلدة الرَّس إحدى مُدن الدولة السعودية الأولى المُهمة واحتلتها، ثمَّ احتلت بلدة الشبيبة

(١) تاريخ البلاد العربيَّة الإسلامية، منير العجلاني، ج٤، ص٣٠٦.

الواقعة على طريقِ الدِّرْعيّة، فاستعد الجيشان: السُّعودي والمصري وأخذ كلٌّ مِنهما يتأهب للمعركة الفاصلة الكبرى. على أنَّ طوسون باشا رأى أنه من المُغامرة والتهور بمكان أنْ يبدأ بالهجوم، لأنه أدرك أنه أمام قوات سعودية تفوقه عدداً، فتشاور مع قادة جيشه واتفقوا على الانسحاب والتراجع إلى المدينة المنورة، ولكن لم يكد رأيه أنْ يستقر على هذا العزم حتى أوفد إليه الإمام عبد الله بن سعود رسولاً هو الشَّيخ أحمد الحنبلي[١] يَعرض عليه الصُّلح، فدُهش طوسون باشا لهذه المُفاجأة المُرتقبة، على حين كان يشعر بأنَّ مركز عدوه قوي منيع.

٤- صُلح الرَّس بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م)[٢]:

أ- أسباب التفاوض بين قيادة الجيشين المُتحاربين:

بعد أنَّ تمَّ انتزاع مُدن الحِجاز من أيدي القوات السُّعودية، وقيام مُحمَّد علي باشا بتأمينها من الجنوب أجبرت تطورات الأحداث

(١) أحمد الحنبلي: هو الشَّيخ أحمد بن حسن بن رشيد بن عفالق الأحسائي الحنبلي، ولد في الأحساء عام ١١٧٧هـ تقريباً، وهو قاضي الإمام سعود بن عبد العزيز على المدينة المنورة. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج١، ص٤٥٧؛ وتاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٩٦.

(٢) انظر: الأرشيف العثماني، اسطنبول، تصنيف: HAT.344.19630؛ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١-١٨ تاريخ الوثيقة: ١٢ شعبان، ١٢٣٠هـ؛ موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص١٦٧.

في مصر مُحمَّد علي باشا العودة إلى مصر بسرعةٍ خشية ضياع كُرسي الولاية من يده، بسبب المؤامرة التي دبرها لطيف باشا، كما سيرد لاحقاً، وفي الوقت نفسه تقدّم طوسون باشا إلى بلدة الرَّس بعد ولاء بعض زعماء بلدات القصيم والقبائل له، وحشد الإمام عبد الله بن سعود قواته لمواجهة قوات طوسون باشا، وحدثت بين القوتين مُناوشات وأَخْذٍ وَرَدٍّ، ولكن الأحداث تطورت بشكل مُغاير لم يكن مُتوقعاً، لأسبابٍ تخصّ كل قوة من الفريقين، فجنح الطرفان إلى خيار الصُّلح.

أما عوامل التفاوض فمنها ما هو خاص بكل طرف، ومنها ما هو مُشترك بينهما، وقد تمثلت العوامل المُشتركة بما يلي[1]:

١- طول فترة الحرب بين الطرفين، حيث وصلت قوات طوسون باشا إلى القصيم آخر جمادى الآخرة (١٢٣٠هـ) بداية مايو(١٨١٥م)، وعادت إلى المدينة المُنورة نهاية شعبان(١٢٣٠هـ) يونيو(١٨١٥م).

٢- قلةُ الإمدادات، وشحُّ المؤنِ بالرغم من خصوبة بُلدان القصيم، فالطواف المُستمر للقوات السُّعودية حول المناطق والبُلدان المُحتلة من قبل طوسون باشا ضيَّق عليهم العيش

(١) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص١٠٢– ١٠٥.

والمُستقر، وكذلك حال قبائل البدو المُتحالفة معه، حيث قلَّت عندها المراعي اللازمة لرعي الأغنام والإبل.

٣- تعرض الجيشان لمواقف سيئة، بسبب تذبذب وتلون مواقف شيوخ القبائل البدوية، ما بين الولاء للدَّولة السُّعودية، وما بين ذهب، وهدايا، ووعود طوسون باشا التي كان يُغدقها عليهم، حيث جَنَّد بعض القوات من قبائل البدو ونصَّبهم ليكونوا أدلاء ومعاونين.

٤- قُتل الكثير من القوات العُثمانيَّة وبعض قياداتهم، حيث قضت القوات السُّعودية على (٢٥٠) مئتين وخمسين من فُرسان القوات العُثمانيَّة، والتي كانت بقيادة إبراهيم آغا عند قرية البعجاء.

٥- انتشار الأمراض المُميتة التي أصابت قوات الطرفين لأسباب عديدة مثل: سوء الطقس وشرب الماء المُلوث، ونوعية الطعام، فكلها آذنت بانتقالِ الجُند إلى الموتِ البطيء بسبب عدم علاجها فور حدوثها.

٦- لم يكن لجنود الجيش السُّعودي نظام مالي ثابت يتقاضون منه رواتب شهرية، وكان كل الذكور من عمر(١٨) الثامنة عشرة إلى سن (٦٠)الستين عاماً يُعَدُّون جنوداً – خدمة إلزامية- للدَّولة، بالإضافةِ إلى أنه يُطلب من الجندي المُقاتل تقديم سلاح وفرس أو جمل ومواد غذائية هي عبارة عن (١٠٠) مائة رطل دقيق، و(٦٠) ستين رطل تمر، و(٢٠) عشرين رطل زبدة، وكيس قمح أو شعير

لزوم دابته، وقربة ماء، وبالمُقابل فقد كان الجُندي المصري يتلقى تدريباً جيداً، مع توفر وسيلة الانتقال لديه، ونوعية السلاح الحديثة، وحتى سروج الخيل، ليكون تصويب الفارس جيداً.

٧- وفي المُعسكرات العُثمانيَّة المصرية تتوفر المواد التموينية، وفي حال الانتقال تُصرف النقود اليومية لشراءِ الطعام مع توفرِ الخِدمة، وسُيَّاس لرعاية الأفراس والإبل وإطعامها وسقياها، والأهم أنّ الجندي المصري، إضافة إلى ذلك كله، يتلقى راتباً شهرياً.

ب-دواعي قبول طوسون باشا للصُّلح مع الإمام عبد الله بن سعود:

كانت قوات طوسون باشا قد وصلت في زحفها إلى بلدة الرَّس بعد أنْ استولت على عددٍ من بُلدان منطقة القصيم، وعلى الرَّغمِ من هذه الانتصارات التي حققتها قوات طوسون باشا على بعضِ بُلدان القصيم، إلاّ أنَّ طوسون باشا أدرك أنه ارتكب خطأً كبيراً حين توغل في أعماق منطقة القصيم، حيث إنَّ قادة جنده لم يكونوا على علمٍ ودرايةٍ بالمنطقة، ولم يُتقنوا فنون حروب الصحراء بالقدر الذي تُتقنه القوات السُّعودية المُتدربة والمُعتادة عليه، والتي تَعرف البُلدان ودروبها ومناطق وجود الماء فيها، بالإضافة إلى تأييدِ السكّان لها.

لذا فقد فكر طوسون باشا أنْ يعقد صُلحاً مع الإمام عبد الله بن سعود، ويلحق بعد ذلك بوالده، خصوصاً وأنَّ صحته

كانت غير مُستقرة، فقد مرِض وأُثقل بالتعب والإرهاق وأصبح بحاجة إلى الراحة والبُعد عن القتال والحروب، وقد ضَمَّن ذلك في رسالةٍ إلى والده مُحمَّد علي باشا كي يأذن له بالعودة إلى مصر. فاستأذن مُحمَّد علي باشا الباب العالي في ذلك فوافق، عندها عاد أحمد طوسون باشا إلى القاهرة عام(١٢٣١هـ/١٨١٦م).

وقد ذكر المؤرخون أسباباً أُخرى أرغمت طوسون باشا لقبولِ مشروع الصُّلح من أهمها[١]:

١- تناقص الأموال المُتوفرة لدى طوسون باشا لرواتب الجنود، أو لرشوة المشايخ ورؤساء القبائل لضمان ولائهم له، حيث كان مؤكداً لطوسون باشا أنه في حال توقف عن الدفع سيتحول ولاء هؤلاء وانحيازهم إلى السُّعوديينَ[٢].

٢- إن القوات السُّعودية إضافة إلى قطعها خطوط الإمداد القادمة من المدينة المُنورة، أو جدة أو يَنبُع، فإنها كذلك كانت تغِيرُ على قبائل البدو المُتحالفين مع طوسون باشا وقواته، وتمنع عن إبلها وأغنامها المراعي، وتمنع وصول المؤن إلى مُعسكر طوسون باشا.

(١) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص١٠٥، ١٠٧.

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين، جوهان بوركهارت، ترجمة عبدالله العثيم، دون دار نشر، ١٩٩١م، ص١٩٢.

٣- قلة الذخيرة، كما جاء في رسالة مُحمَّد علي باشا إلى رئيس الكُتَّاب في إستانبول، حيث قال: " كنت عرضت على الأعتاب السامية بأنَّ نصف القصيم في يد ولدي طوسون باشا... وكانت الذخائر قد تضاءلت فإنه اهتم بتدارك النقص ورأى بعقله وتفرسه أنَّ هذا سيفوّت عليه الوقت والفرصة، فوجد أنَّ فقدان الذخيرة من الأمورِ الخطيرة التي يُلاحظ معها محاذير الإقدام على الحرب... "(١).

٤- وجد طوسون باشا نفسه في مأزقٍ جغرافي حربي بسبب طول خط إمداداته، وقلة القوات والذخيرة والأموال، فأحس عندئذ بخطورة التوغل إلى الداخل، وأنه يمكن أنْ يلقى حتفه بكامل قواته.

٥- شوق طوسون باشا لرؤية طفله عباس بيك الذي وُلِد قبل عامين، ولم تُتح له فرصة رؤيته في مصر عند ولادته، حيث كان مجيئه خلال فترة حملة والده على الحجاز.

٦- ما سمِعه طوسون باشا من خازنداره أحمد آغا، عن ظروف مصر الداخلية، وخِواء الخزينة المصرية خلال تلك الفترة، لمْ يُشجعه على الاستمرار في مواصلة عملياته العسكريَّة، وذلك خشيةً وخوفاً من انقطاع الإمدادات عنه، وخاصة الجند المُقاتلين، والذخائر ووسائل النقل من إبل وخيل وغيرها الكثير.

---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى، مانجان، ص٣٠٩.

ت-دواعي قبول الإمام عبد الله بن سعود للصُّلح مع طوسون باشا:

كان وراء قبول الإمام عبد الله بن سعود للصُّلح مع طوسون باشا[١] عدة أسباب، منها:

١- على الرغم من تفوق قواته عسكرياً على قوات طوسون باشا في القصيم، حيث وصله في اليوم التالي لاتفاق الصُّلح دعم مكون من (٤٠٠٠) أربعة آلاف رجل، ونقود، وذخائر حرب جاءت من عُمان، وكان بإمكانه مُواصلة القتال بما أتاه منها في هذه الفترة، إلا أنه جَنح للسلمِ حتى يستعد ويستقوي بشكلٍ أفضل من ذلك، ويقوم بتحصين البلاد، وهذا ما حصل تالياً بعد الهدنة، حيث حصر اهتمامه بتحصين القُرى، وبناءِ أسوارِ حمايةٍ قوية، وخاصَّة في العاصمة الدِّرْعيّة، وكذلك اختيار قيادات جديدة للبلدات من طرفه يثق بهم لعلمهِ بحكمتهم وقُدراتهم على قيادة القوات[٢].

٢- وفاة أبيه الإمام سعود في جمادى الأولى(١٢٢٩هـ)، أبريل(١٨١٤م)، والذي كان من أعظم أئمة وقادة الدَّولة السُّعودية الأولى، وأقوى رؤسائها[٣].

(١) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص١٠٨، ١١٢.

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين، بوركهارت، ص١٩٢.

(٣) الدَّولة السُّعودية الأولى، عبد الرحيم، ص٣٢٢.

٣- استخدام السلاح التقليدي البدائي في المعارك مثل: السيف، والدرع، والرمح القصير، والسهام، والبنادق، والمدافع. ويبدو أنَّ المدافع لم تُستخدم في الحروب الصحراوية لصعوبة حملها وثقل وزنها[1].

٤- الأوضاع المُزرية للجنود السُّعوديينَ الذين كانوا يكتفون بالغنائم، دون أية رواتب شهرية تبذل لهم في حال النصر.

٥- هزيمة القوات السُّعودية في بِسْل بعد انتصارها في جديدة وادي الصفراء، فقد كان تأثير تلك الهزيمة سلبياً على الإمام عبد الله بن سعود وعلى القوات السُّعودية أيضاً، فقد يوجه مُحمَّد علي باشا كل قوته ضد هذه المنطقة.

٦- قسوته في فرضِ بعض العقوبات على التابعين للدَّولة من أمراء المناطق الذين تحول ولاؤهم إلى طوسون باشا، والمُبالغة في أخذِ الثأر، بالرغم من مُعاناة سُكان القُرى والحضر من تبعاتِ المعارك والحصار والقحط.

٧- إقالة وتسريح الإمام عبد الله بن سعود لكثيرٍ من أمراءِ البُلدان، أو لزعماءِ العشائر أو القبائل، وتعيين غيرهم، كما حدث لرؤساء الرَّس ومنهم أميرها شارخ بن فوزان الدهلاوي، وزعماء قرى القصيم الذين هادنوا طوسون باشا وأخذهم الإمام عبد الله بن سعود معه

(١) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص١٠٩.

إلى الدِّرْعيّة. إضافة إلى حاجتهِ لزمنٍ طويل يُعيد فيه تأديب القبائل وبعض شيوخ القبائل الذين كانوا قد هادنوا قوات الحملة وانحازوا إلى صفهم ليُعيدهم إلى جادة الصواب في الدِّفاع عن بلدهم. وعدم الرضا بوجود أجنبي يحكمهم في بلادهم.

٨- توقع الإمام عبد الله بن سعود بأنَّ أي انتصار سيُحققه على قوات طوسون باشا لن يكون إلا مؤقتاً فحسب، وأنَّ مُحمَّد علي باشا لن يلبث أنْ يُرسل له قوات أكبر وعتاداً أقوى من ذي قبل وبالتالي خراب ودمار الدِّرْعيّة، فرأى أنْ يُجنب نفسه تلك الأحداث ويجنح للصُّلح بدلاً من إهدار وقته[١].

٩- فقدان الإمام عبد الله بن سعود لعددٍ كبير من قادة جيشه، أمثال طامي بن شعيب أمير عسير، وإبراهيم بن عفيصان قائد حامية المدينة المُنورة، وعثمان بن عبد الرحمن المضايفي أمير الطائف وضواحيها، وسعد بن إبراهيم الدغيثر من قادة الفرسان[٢]، وجابر بن جبارة العياشي رئيس حامية يَنبُع وآخرين غيرهم.

المُفاوضات بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا:

وقبل أنْ يعود طوسون باشا إلى القاهرة دخل في مُفاوضاتٍ مع الإمام عبد الله بن سعود الذي جمع القوات السُّعودية وتوجه بها

---

(١) مواد لتاريخ الوهابيين، بوركهارت، ص١٩٠.

(٢) الموروث التَّاريخي لأسرة آل دغيثر في الدِّرْعيَّة.

إلى القصيم لمُحاربة القوات العُثمانيَّة التي احتلت الخبراء والرَّس وغيرهما من بلدان منطقة القصيم. وقد توصل الطرفان بعد ذلك كله إلى صُلح مؤقت، وهو ليس صُلحاً بقدرِ ما هو هدنة مؤقتة، عُرف فيما بعد بصلحِ الرَّس.

فقد أرسل الإمام عبد الله بن سعود رسالة سريعة إلى طوسون باشا لمعرفة رأيه بأنْ يُرسل إليه أحد المُفاوضين للتفاوض، ولما استجاب طوسون باشا إلى طلبه أرسل إليه الشَّيخ أحمد الحنبلي الذي أظهر باسم الإمام عبد الله بن سعود الرغبة في طاعة السُّلطان والخضوع له والإقرار بأنهم من رعاياه ونازل تحت إمرته، وأعاد الشَّيخ الحنبلي الحديث على مَسامع طوسون باشا عدة مرات، إلا أنَّ طوسون باشا أجاب: بأنه لا يستطيع اتخاذ أي قرار نهائي بمفرده، وأنّ عليهم أنْ يُمهلوه عشرين يوماً ريثما يستشير والده مُحمَّد علي باشا[١].

وهنا عاد الشَّيخ أحمد الحنبلي إلى مُعسكر الإمام عبد الله بن سعود برفقةِ أحد ضباط طوسون للتوقيعِ على الهدنةِ، وبعد عدة أحداث وقعت بين الطرفين، علم طوسون باشا بأخبارِ سفر أبيه مُحمَّد علي باشا إلى مصر، فاستشار قادة جيشه في الجنوح إلى الصُّلح فأشاروا عليه بالموافقةِ، لكن على أنْ تبقى قوات عثمانية في الرَّس،

---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص٩٧؛ وموقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص١١٤.

ويُقدم لها الأهالي المؤن مدفوعة الثمن، وأن يقدم الإمام عبد الله رهائن[١] في انتظار موافقة نائب السُّلطان على الاتفاقية، فإذا رفضها عاد الرهائن إلى ذويهم.

بعد ذلك وصل الأمير عبد الله بن عبد العزيز عم[٢] الإمام عبد الله بن سعود يُرافقه أربعة من أقاربِهِ إلى مُعسكر طوسون باشا للاتفاق على عقد الصُّلح، ومعهم خيول أصيلة لطوسون باشا وخزنداره أحمد آغا[٣] ودارت مراسم الاستقبال بحضور قادة الجيش وشيوخ قبائل البدو، وقرأ الأمير عبد الله بن عبد العزيز رسالة منه تُعلن أنه عَيَّنَ عمه عبد الله بن عبد العزيز للتفاوض باسمه لبحثِ مشروع الصُّلح، وطلب منه طوسون باشا أنْ يُسلم أمره للدولة العثمانية:

ويبدو أنَّ الطرفين وصلا بعد التفاوض إلى صيغة نهائية كَتَبَا بها عقداً[٤].

كما تذكر الرَّسالة التي بعث بها الإمام عبد الله بن سعود إلى مُحمَّد علي باشا لإقرار الصُّلح على أن يُرسل الإمام عبد الله بن سعود

(١) دار الوثائق المصرية، وثائق بحر بر، المحفظة رقم ٤، وثيقة رقم ٣٣، ١٢٣٠هـ.

(٢) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص١٠٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٤) موقف بلدة الرَّس من حملتي طوسون باشا وإبراهيم باشا، مشاعل بنت سعد الرويس، ص١١٥.

جماعة من أتباعهِ ليكونوا رهائن[١]، وبالفعل فقد انسحبت قوات طوسون باشا إلى المدينة المُنورة.

وقد أرسل الإمام عبد الله بن سعود وفداً يضم: عبدالله بن بنيان من أعيان الدِّرْعيّة، والقاضي عبد العزيز بن إبراهيم[٢] إلى القاهرة في شوال (١٢٣٠هـ) سبتمبر (١٨١٥م) لإقرار الصُّلح مع مُحمَّد علي باشا.

ويؤكد كثير من المؤرخين، ومنهم المؤرخ الرجبي، وهو مؤرخ مصري مُعاصر لهذه الفترة، أنَّ مُحمَّد علي باشا كان راضياً بهذا الصُّلح في ذلك الحين، لكن مع عقد النية على نقضهِ في الوقت المناسب، في حين أنَّ بعض المؤرخين أكدوا أنَّ مُحمَّد علي باشا لم يُقِرَّ هذا الصُّلح في الأصل، ولم يكن راضياً عنه[٣].

ولذا يُمكن القول: إنَّ الصُّلح كان بمثابةِ هدنة مؤقتة لا غير، وإنْ كانت غير مُحددة بفترة زمنية يلتقط كل طرف فيها أنفاسه ويستعد للجولة القادمة.

---

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص١٠٢.

(٢) القاضي عبد العزيز بن إبراهيم بن مشرف، ولد سنة ١١٩٠هـ، تولى القضاء في الدِّرْعيَّة في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز وعهد ابنه الإمام عبد الله بن سعود، توفي سنة ١٢٤١هـ. علماء نجد في ثمانية قرون، عبد الله البسام، ج٣، ص٣١٩.

(٣) تاريخ الوزير مُحمَّد علي، مُحمَّد خليل الرجبي، القاهرة، دار الآفاق العربيَّة، ١٤١٧هـ، ص١٣٥.

وإنَّ الاختلاف بين تلك الآراء يرجع سببه إلى ما جرى الاتفاق عليه بأنْ يُرسل الإمام عبد الله بن سعود بعض رجاله ليكونوا رهائن[١] عند مُحمَّد علي باشا لضمان تجديد العهد والصلح بينهما.

ث- مُقررات نص الصُّلح بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا:

تضمن نص الصُّلح بين الطرفين عدِّة مُقررات[٢]، هي:

أ- أنْ تقِف الحرب والمُناوشات بين الطرفين.

ب- استقلال الإمام عبد الله بن سعود بحكم نجد وأهلها، بعد أنْ تنسحب القوات العُثمانيَّة منها.

ت- أنْ يبقى الحجاز تحت السيادة العُثمانيَّة مُمثلة في سيادة مُحمَّد علي باشا والي مصر.

ث- احترام سلامة التنقل في بلاد نجد، وبينها وبين الحجاز، وولاية الشَّام، وولاية مصر، وغيرها من الولايات التابعة للحكومة العُثمانيَّة.

ج- عدم اعتراض سبيل مواكب الحجاج وقوافلهم من قبل الطرفين.

(١) دارة الملك عبد العزيز، الوثائق العُثمانيَّة، الوثيقة رقم ١٨/٢، تاريخ ٢١ شعبان، ١٢٣٠هـ.

(٢) موقف الأهالي في نجد والحجاز من الحملات العُثمانيَّة، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٤٣.

وقد خرج الإمام عبد الله بن سعود من عاصمته الدِّرْعيّة، ومعه قوة لمُساعدة بلدان القصيم، فأقام ومن معه على الحجناوي (وهي مزارع بين الرَّس وعنيزة) حوالي شهرين.

وقد وقعت مواجهات ومُناوشات غير مُباشرة بينهم من بعيد، وحارب القبائل التي انضمت لجيش طوسون باشا، فانشغل طوسون باشا بلقاء الإمام عبد الله بن سعود، ومن معه، مدة شهر تقريباً.

وعندما تأخر عنه المدد العسكري، وتباطأت النجدة عنهم، من والده وعجز عن إخضاع بُلدان الدولة السعودية الأولى، اضطر لعقد الصُّلح مع الإمام عبد الله بن سعود.

لكن عند عقد الصُّلح بين الإمام عبد الله بن سعود، وطوسون باشا، اشترط طوسون باشا أن يعطيه الإمام عبد الله بن سعود رهينتين يتم ترحيلهما إلى مصر لمدة سنة، فأعطاه العالمين: عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم حفيد الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب، وعبد الله بن مُحمَّد بن بنيان[1]، وأخذهما طوسون باشا معه.

وفي النهاية رحل الأتراك عن الدولة السعودية الأولى في شعبان عام (١٢٣٠هـ/١٨١٥م) وانتهى برحيلهم وجلائهم عنها دور طوسون

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ج١، ص٣٧٩، ٣٨٠. (طبعة دارة الملك عبد العزيز)؛ تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص١١٠.

باشا في أرض الدولة السعودية، وكان رحيلهم إلى المدينة المُنورة، ثمَّ تابعوا منها رحلتهم إلى مصر، ولا شك أنَّ بنود هذا الصُّلح كانت في جيب طوسون باشا ليعرضه على والده مُحمَّد علي باشا.

وكان الإمام عبد الله بن سعود أوفد معه رجلين ليشهدا توقيع الباشا، وهما: عبد الله بن مُحمَّد بن بنيان من الدِّرْعيّة، والقاضي عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم. فوصلوا جميعاً إلى مصر، وعرضوا على مُحمَّد علي باشا بنود الصُّلح، لكنه رفضها[1] ولمْ يوافق عليها. بعد ذلك انتظم الصُّلح بين الطرفين.. حتى عاد إبراهيم باشا في عام (١٢٣١هـ/١٨١٦م) ليواصل بعدها الحرب على نجد وأهلها.

ج- نتائج الصُّلح بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا:

كان الصُّلح الذي عقده طوسون باشا مع الإمام عبد الله بن سعود ناتجاً عن إدراك كل منهما أنه من الخير لهم جميعاً إيقاف الحرب والجنوح إلى عقد السلم، وذلك بسببِ طولِ المعارك والتعب والإرهاق الذي أصاب جنود كِلا الفريقين، كما أنَّ قِلّة المؤن والأحوال المُحيطة غير المُطمئنة لموقف القبائل البدوية لكلا الفرقين ساهمت في إتمام الصُّلح بين طوسون باشا والإمام عبد الله بن سعود.

---

(١) الأرشيف العثماني، اسطنبول، تصنيف: HAT.345.19671؛ دارة الملك عبدالعزيز، الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ١/٢-٩١، تاريخ الوثيقة، ١٣٢٠هـ.

ح- عوامل نقض السُّعوديينَ للصُّلح مع طوسون باشا:

تُشير المصادر إلى أنَّ الصُّلح انتقض في السّنة التالية، ويرجع سببه إلى قيام الإمام عبد الله بن سعود بعد خروج طوسون باشا بعمليات عسكرية واسعة النطاق ضد المناطق والقبائل التي أعلنت ولاءها لمُحمَّد علي باشا، حتى وصلت قواته إلى مناطق قريبة من حدودِ المدينة المُنورة.

ثمَّ إنَّ الإمام عبد الله بن سعود أغار بجيوشه حتى وصل إلى حدود الحرة غرب بلاد نجد، حيث كان في تلك الجهات بدو من قبيلتي حرب ومطير، وهما من أسهم في تقوية مُحمَّد علي باشا، ثمَّ عاد إلى بلاده وقد قبض على (٣) ثلاثة من أهل الرَّس، منهم أميرها شارخ بن فوزان الدهلاوي، واصطحبهم معه إلى الدِّرْعيّة[١]، ونتيجة لقيامِ هذه التحرُكات السُّعودية، اعتبر مُحمَّد علي باشا الصُّلح مُنتقضاً غير قائم، وأخذ في معاقبة الإمام عبد الله بن سعود، وإنذاره بأنه سيسوق إليه جيشاً جراراً لا يعرف في قلبهِ معنى للشفقة أو الرحمة[٢].

كما وردت أخبار من الحجازِ تُفيد أنَّ الإمام عبد الله بن سعود قام بتغييراتٍ في قبائل الحجاز التي أعانت الدَّولة العُثمانيَّة، ومن

(١) تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي باشا على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ص١١١.

(٢) المرجع السابق، ص١١١.

بين هذه الإجراءات والتغييرات: أنه أخذ الزكاة منها وحاول إغراءها بالدخولِ تحت طاعته فكان لورود هذه الرَّسائل أثرٌ في اقتناع مُحمَّد علي باشا بأنَّ الصُّلح قد انتهى، وأنَّ عليه التجهيز لتسيير حملة عسكرية جديدة إلى بلاد الحجاز ونجد[1].

(١) المرجع السابق، ص٢٤٧.

رابعاً: حملة الإمام عبد الله بن سعود على الخبراء والبكيرية لمُناصرتهم طوسون باشا:

تخلل هذه الفترة قيام الإمام عبد الله بن سعود في عام (١٢٣١هـ/١٨١٦م) بإعداد وتجهيز جيشٍ كبير يجمع بين صفوفه عناصر من البدو والحضر، من بلاد الأحساء، وعُمان، ووادي الدواسر، وجبل شمر، والجوف مُتجهاً به إلى القصيم، ودخل بلدتي البكيرية والخبراء وهدَّ سورهما، ويذكر ابن بشر: إنَّ ذلك كان عقوبة للبلدين على موقِفهما من حملة طوسون باشا، ودرساً للمُستقبل حتى لا يُحدثوا مثلها فيما بعد[1].

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص٣٨١.

خامساً: عودة مُحمَّد علي باشا إلى مصر (١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م):

كان طوسون باشا بن مُحمَّد علي باشا قائداً في الميدان الشمالي من الحجاز أثناء قيام والده بعملياته الحربيَّة في الميدان الجنوبي منه، ولكن مُحمَّد علي باشا بعد حروبه في جنوبي الحجاز والتي كلفته خسائر كبيرة رغم نجاحها من الناحية العسكريَّة، قرر قراراً مُفاجئاً لم يكن مُتوقعاً يقضي برجوعه سريعاً إلى مصر، وقد علَّل المؤرخون هذا القرار بعدة تعليلات منها[1]:

١- خطورة الوضع الأوروبي العام آنذاك، لا سيما بعد تأكده من هرب نابليون من منفاه في جزيرة ألبا.

٢- المؤامرة التي دبرها لطيف باشا: فقد كان لطيف باشا من مماليك مُحمَّد علي المقربين إليه، فلما فتحت المدينة المُنورة على يد طوسون باشا، انتدبه مُحمَّد علي باشا لحمل مفاتيحها إلى الأستانة، وبعد رجوعه إلى مصر ظهر تغيُّر في سلوكه، فنُسِبَ إليه التآمر على مُحمَّد علي ليحل محله بينما هو غائب في الحجاز.

وقد اختلفت الروايات التي تروي هذه الحادثة. فالرواية الدارجة هي: أنَّ رجال الأستانة رأوا من لطيف باشا في أثناء إقامته في

---

(١) موقف الأهالي في نجد والحِجاز من الحملات العُثمانيَّة على الدَّولة السُّعودية حتى عام ١٢٣٣هـ، أحمد بن صالح الدهش، ص٢٤٠، وما بعدها.

عاصمة السلطنة اعتزازاً وغروراً بنفسه وحُباً للسيادةِ، وذلك بعد أنْ أنعم عليه السُّلطان برُتبة الباشوية، فأغراه ذلك على اغتصاب منصب مولاه، وانقاد إلى هذه الوساوس، فبعد رجوعه إلى القاهرة أخذ يُنفق المال بكثرة، لاجتذاب المريدين الذين يعضدونه في تنفيذ مآربه ومراميه الشخصية.

حينها شعر مُحمَّد علي باشا بتغير سلوك لطيف باشا، فلما عزم على السفر إلى الحجاز أوعز إلى كخياه[١] وصهره، مُحمَّد بك، ليُراقبه مُراقبة دقيقة شديدة، فصدع بالأمر واكتشف مؤامرة دُبرت لقتلهِ هو نفسه، ولإعلان وفاة مُحمَّد علي باشا في الحجاز وتولية لطيف باشا على مصر من بعده.

فبادر الكخيا إلى محل اجتماع المتآمرين، وبعد أنْ فرَّ لطيف باشا من منزلهِ عاد فوقع في قبضتهم، فحُوكم وأعدم في القاهرة في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨١٣م.

على أنَّ بعض المُعاصرين رووا أنَّ قتل لطيف باشا كان مبنياً على تعليمات تركها مُحمَّد علي باشا لكخياه مُحمَّد بك لاظ أوغلي[٢]، لأنه

---

(١) الكيخيا: ويشار إليه أحيانا باسم (كتخدا) هو وكيل الباشا أو نائبه.

(٢) اسمه الحقيقي مُحمَّد لاظ وكلمة "أوغلي" تعني "باشا" أو "قائمقام". قَدِمَ إلى مصر في نفس الظروف التي قدم إليها الوالي مُحمَّد علي باشا عندما قدمت الجيوش العُثمانيَّة إلى مصر للإشراف على خروج الحملة الفرنسية سنة (١٨٠١م). ثمَّ استقر بمصر مع مُحمَّد علي، وعقب حملة فريزر تولى منصباً كبيراً في مصر يُعادل منصب رئيس الحكومة الآن، وكان ذلك عام (١٨٠٨م)، كما تولى منصب وزير المالية. =

نقم على لطيف باشا لأسباب عديدة، من أهمها: إنَّ لطيف باشا كان يجتمع كثيراً في أثناء وجوده في الأستانة بأشخاص معروفين بعدائهم لمُحمَّد علي باشا، وهذه الاجتماعات هي التي أثارت الشُّبهة في نفس مُحمَّد علي باشا، ثمَّ إنَّ لطيف طلب التزوج بابنة مُحمَّد علي باشا، فلما رفض طلبه تفوه بكلام يُزري بقدر مولاه، وأتى أموراً أخرى تدل على عدم الأمانة لولي نعمته، وهو الذي كان سبباً في إعدامه أخيراً.

=وفي عام (١٨٢٢م) تولى منصب وزير الدفاع، وكانت تُسمى وقتها بالجهادية. واستطاع تحقيق إنجازات هائلة بجيش مصر، ولكن برغم منصب مُحمَّد لاظ أوغلي والمُدة التي رأس فيها الوزارة إلا أنه لم يكن يهتم بذكر اسمه أو تمجيد أعماله وإنجازاته ولا أحد يعلم السبب.

سادساً: عودة طوسون باشا إلى القاهرة سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م):

أثناء المُفاوضات بين الإمام عبد الله بن سعود مع طوسون باشا حول الصُّلح بينهما، توقف القِتال، وأخلى طوسون منطقة القصيم من دون سبب، عائداً بعدها إلى المدينة المُنورة، ثمَّ أرسل إلى أبيه، يطلب منه السماح له بالعودة إلى مصر، لسوء حالته الصحية، فاستأذن مُحمَّد علي باشا الباب العالي في ذلك، فوافق بعد تعهد والي مصر بالقضاء على قوة السُّعوديينَ في الوقت المناسب حين يُطلب منه.

ثمَّ سافر طوسون باشا من المدينة المنورة إلى يَنبُع، ومنها إلى السويس بحراً، وكان وصوله إليها في شهر ذي القعدة سنة(١٢٣٠هـ)،وقدم القاهرة يوم (٥) ذي الحجة (٨ نوفمبر سنة ١٨١٥م)، وكان الاحتفال باستقباله عظيماً، قال الجبرتي في هذا الصدد: "في رابع ذي الحجة سنة(١٢٣٠هـ) نودي بزينة الشارع الأعظم لدخول طوسون باشا سروراً بقدومه، فلما أصبح يوم الثلاثاء خامسه، احتفل الناس بزينة الحوانيت والشوارع، وعملوا

له موكباً حافلاً، ودخل من باب النصر، وعلى رأسه الطلخان[١] وشعار الوزارة، وطلع إلى القلعة، وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وحراقات"[٢].

(١) الطلخان: كلمة عامية تعني تاج الوزارة.

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج٣، دون تاريخ نشر، ص٤٩٥.

سابعاً: أسباب وفاة أحمد طوسون باشا سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م):

وفي(٦) سبتمبر سنة(١٨١٦م) توفي طوسون باشا في مدينة رشيد نتيجة إصابته بمرض الطاعون، وقد كان الرجل على رأس قوةٍ مخيمةٍ في مدينة رشيد للدَّفاع عن ساحل البحر، واتخذ مُعسكره في (برنبال) الواقعة بالبر الشرقي للنيل تجاه رشيد، بعد أنْ التمس بها الراحة من عناء المعارك التي خاضها في الحجاز، فأصابه هناك مرض الطاعون فجأة، ولم يمهله أكثر من عشر ساعات حتى فتك به، ثمَّ فاضت روحه، فنُقلت جثته بطريق النيل إلى القاهرة، ودُفن في مقبرة الإمام الشافعي[1].

جَزِعَ والي مصر محمد علي باشا على فقدهِ ابنه وتألم ألماً شديداً وحَزِنَ الناس أيضاً لوفاتهِ، وظلَّ الحُزن عليه عاماً كاملاً بين أهل القاهرة، لأنه كان مُحبباً إلى جميع طبقات الشعب وذلك لما أوتيه من دماثة الخلق وحُب الخير، فامتاز على صغر سنة بالحزمِ وسداد الرأي وشدِّة البأس، وقد تولى قيادة الحملة على الدَّولة السُّعودية الأولى قبل أنْ يبلغ العشرين من عمره، وكان لوالده وشعبه فيه آمال كبيرة عظيمة جداً[2].

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٣.

(٢) ملاحظات عن البدو الوهابيين بوركهارت، ص٢٠٥.

ثامناً: دور الإمام عبدالله بن سعود في الدِّفاع عن الدَّولة السُّعودية الأولى:

لم يدخر الإمام عبدالله بن سعود جهداً إلا وقام به لصدِّ جحافل الغُزاة المُعتدين عن تراب الدَّولة السُّعودية الأولى وعن أهلها، وقد سطر بشجاعته وصموده وحنكته أروع مِثالاً لُكبرى ملاحم البطولة والصمود في التَّاريخ العربي الإسلامي الحديث،

تمكّن الإمام عبدالله بن سعود من الصمود في المواجهة الدِّفاعية الباسلة سنوات عديدة (١٢٢٦هـ -١٢٣٣هـ) كَبَّد خلالها القوات العُثمانية المصرية الغازية الكثير من الخسائر بالأرواح والعتاد.

ومن المؤسف أن نجدَ اليومَ منْ يتبنَّى الرأي القائل: إنَّ الإمام عبدالله بن سعود كان ينقصُهُ الخبرةُ العسكريَّة[1] والسياسيَّة في الحكم، وإنه لم يكن في مستوى كفاءة أبيه الإمام سعود في تدبير أمور السلم والحرب.

والناظر بعين الإنصاف والحق يجد في هذا الرأي ظُلماً تاريخياً كبيراً بحقِّ الإمام عبدالله بن سعود، فقد سجل التاريخُ العربيُّ والإسلامي له العديدَ من الانتصارات السياسيَّة و الحربيَّة، استطاع

(١) انظر: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، حسن الريكي، دارة الملك عبدالعزيز، `ص: ١٨٣-١٨٤.

فيها أن يقود معاركَهُ ضدَّ جحافلِ الجيوشِ الغازيةِ لبلاده بكلِّ شجاعةٍ وبراعة وذكاءٍ وحِنكة وخبرة، ويُحقق عليهم الانتصاراتِ تلو الانتصارات، منها[1]:

- انتصاره في معركة حصن بخروش على قوات طوسون باشا سنة (١٢٢٩هـ/١٨١٤م).

- نجاح حِصار الإمام عبد الله بن سعود لقوات طوسون باشا في الخبراء والرَّس (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

انتصاره في معركتا: قصر البعجاء والشبيبة على قوات طوسون باشا سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م).

- نزول الإمام عبد الله بن سعود بقواته عند ماء الحجناوي بين عنيزة والرَّس سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٥م): حيث انعقد الصُّلح بين الإمام عبد الله بن سعود وطوسون باشا على وضع الحرب بين الفئتين، وعلى أنْ يرفعَ العُثمانيون أيديهم عن نجد وأعمالها وأن تمشي السَّابلةُ (المارة من القوافلِ وغيرِهم) آمنةً بين الطَّرفين من بلادِ الشام، ومصرَ، وجميع ممالكهم إلى نجد، والشرق، وجميع أراض الدولة السُّعودية الأولى، وكل منهم يحج آمناً، ووثقوا ذلك الصُّلح بوثيقة وسجلٍّ مكتوب.

(١) لمزيد من الاطلاع انظر: الفصل الرابع في هذه الدراسة.

- قيادته الدفاعية الباسلة لمعركة الدَّرعية العاصمة، ومُقاومتهِ لِحصارها الغاشم مُدة (٦) ستة شهور دون كلل أو ملل أو تهاون على الرغم من الظروف القاسية التي كان يمر بها جيشه السعودي الباسل أمام تفوق عدوه عليه بالسلاح والإمداد والأعوان... .

وعلى الرغمِ من أنَّ نتائج المعركة لم تكُن في صالحهِ لأسباب موضوعيَّةٍ قاهرة، وخارجة عن إرادةِ وقدرةِ أي قائدٍ عظيم، فقد قدَّم روحَهُ الطَّاهرة فداءً لذلك على أمل أن يحفظ أرواح أهل الدِّرْعيَّة من القتل والتشريد.

ثمَّ إنَّ سقوط الدَّرعية العاصمة واحتلالها كان نتيجة لقرارٍ دولي عام أجمعت عليه القوى العالمية الكبرى في زمنه وهي: فرنسا و بريطانيا وروسيا وفارس والدولة العثمانية، ولو لم يكن لإمام الدَّرعية الإمام عبدالله بن سعود ثقلٌ سياسيٌ ودينيٌ وعسكريٌ واجتماعيٌ كبيرٌ ومؤثر على مصالحِ تلك القوى العالمية العُظمى بحكم خبرته الكبيرة في السياسة والقيادة، لما كان ذلك الإجماع الدّولي بحتميةِ وأدِ الدولة السُّعودية الأولى، ومن هنا تظهر للعيان المكانة الكبرى للإمام عبدالله بن سعود، وقوته وسداد رأيه وحنكته في إدارة شؤونِ دولتهِ على الصعيد الداخلي والخارجي.

الخاتمة

مَرَّ تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى بأحداثٍ تاريخيةٍ مهمة، كان في طليعتها الفتوح الكثيرة التي قام بها حُكَّام هذه الدَّولة إلى المُناوشات الحربيَّة التي حصلت مع جيوش الدَّولة العُثمانيَّة في العراق، وأخيراً بقدوم الحملات العُثمانيَّة المصرية على هذه الدَّولة وإسقاطها ونهاية الدور الأول من أدوارها.

لقد كان سبب تسيير وتحرُّك تلك الحملات العُثمانيَّة إلى الحجاز هو الخوف من توسّع الدَّولة السُّعودية الصاعدة وتمددها جغرافياً، حيث شملت مُعظم أرجاء الجزيرة العربيَّة (الأحساء وعمان والحجاز والشَّام). فعند ذلك أحَسَّت السلطنة العُثمانيَّة التي تُمثل العالم الإسلامي آنذاك بالخطرِ الذي يُداهم موقعهم ومركزهم العالميّ. فاتخذت السلطنة موقف العداء لهذهِ الدَّولة، وعندما لم يستطيعوا القضاء عليها وعلى جذورها بواسطة وكلائهم في العراق والشَّام قرروا إرسال الحملات العسكريَّة والجيوش والقوات لمُحاربتها، فكانت حملة طوسون باشا، وحملة إبراهيم باشا أبناء حاكم مصر آنذاك مُحمَّد علي باشا.

كان المحور الذي تدور حوله هذه الرواية هو موضوع حملة طوسون باشا على الحجازِ وما جرى فيها من أحداث ووقائع

ومُناوشات، ابتداءً من الإعداد للحملة، ثمَّ طريق مسيرتها، ثمَّ المعارك التي دارت بين الجيش المصري العثماني والجيش السُّعودي، مع بيان موقف الأهالي وحُكام المدن ورؤساء القبائل من هذه الحملة.

ولتحقيق أهداف هذه الرواية بتحويلها من نص مكتوب إلى نص درامي تمثيلي فقد ركزت الرواية على ذكر دقائق الأمور والتفاصيل العامة لهذه الأحداث والوقائع التَّاريخية.

لقد تبين من خلال استعراض الأحداث أنَّ قيام الدَّولة السُّعودية الأولى نشأ عنه مُعارضة سياسية داخلية ومُعارضة خارجية.

وقد أدت تلك المُعارضة إلى نشوبِ مَعارك وصراعات داخلية أبرزت قوة الدَّولة السُّعودية التي انتصرت فيها على كل الخصوم في الداخل، وباتت خطراً وشيكاً على خارج الجزيرة العربيَّة، وقد تمثَّل ذلك بهجمات الجيش السُّعودي على العراقِ وبلاد الشَّام.

ويُمكن أنْ نقول: قد حدث تضامن بين أعداء الدَّولة في الخارج، وخاصة في العراق، وبين بعض أعدائها في الداخل، وقد تجلَّى ذلك بوضوح من خلال مُتابعة مسير الحملات القادمة من العراق والموجهة من قبل الدَّولة العُثمانيَّة والمُتمثلة في حملتي: ثويني السعدون وعلي كيخيا.

وقد أظهرت هذه الحملات الولاء الذي حظي به الجيش السُّعودي من خلال الجموع التي انضمت معه في مقاومةِ جيش ثويني

عام(١٢١١هـ)، وهذا يوضح الصورة المُشرفة للموقف الشعبي المُناصر للدَّولة السُّعودية الأولى ووقوفه معها ضد الحملات الداخلية والخارجية، وإن حدث من أحدهم أنْ اغتر بهذه الحملات فسرعان ما يُعلن رجوعه ويطلب الانضمام إلى الدَّولة السُّعودية، ثمَّ يُصبح من قادتها كما فعل براك بن عبد المحسن حاكم الأحساء.

وبالحديث عن الوضعِ في بلاد الشَّام فقد كانت الدَّولة السُّعودية في عهد الإمام عبد العزيز بن مُحمَّد تتسلم زكوات بعض بادية الشَّام، وهذا يعني وجود ولاء للحكم السُّعودي هناك، وقد توجهت عدة حملات سعودية إلى بلاد الشَّام، ولم تستطع ولاية الشَّام قمعها أو حتى الرد عليها، وقد كانت هذه رغبة الدَّولة العُثمانيَّة، لكن الأحداث أثبتت عجز ولاية الشَّام عن هذه المُهمة، مما مَهَّد لتكليف مُحمَّد علي باشا والي مصر بها.

وقد تمَّ تكليف طوسون باشا ابن مُحمَّد علي باشا بهذه المُهمة، وهي قيادة الحملة المُتجهة إلى الحجاز للقضاءِ على الدَّولة السُّعودية الأولى، وتبين بعد ذلك أنَّ طوسون باشا قد استخدم أسلوب الإغراءات المالية لكسب قلوب الأهالي والقبائل وضمانهم في صفه، وقد كان ولاء هذه القبائل سببه الظروف الاقتصادية الصَّعبة التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، ولذلك كان هذا الولاء على الأغلب ظاهرياً وليس عن قناعة واعتقاد ومبادئ، وربما يرجع سبب ذلك إلى الخوف من الحملة العُثمانيَّة ليس إلا.

وأخيراً فقد تبين من خلال استعراض مجريات ووقائع وحوادث حملة طوسون باشا أنها لم تُحقق أهدافها التي قامت من أجلها، فقد اقتنع الطرفان المُتقاتلان أنَّ الاستمرار في القتالِ ستكون نتائجه سيئة عليهما، ولذلك تمَّ توقيع صلح بينهما، وكان أقرب إلى الهدنة ليُعيد كل فريق ترتيب أوراقه لمعاودة الهجوم مرة أخرى، وبناءً على توقيعِ الصُّلح عاد طوسون باشا إلى القاهرة، ولكن الصُّلح لم يدُم أكثر من سنة، فقد قام الإمام عبد الله بن سعود بعد خروج طوسون باشا بعملياتٍ عسكريةٍ واسعة النطاق ضد المناطق والقبائل التي أعلنت ولاءها لمُحمَّد علي باشا حتى وصلت قواته إلى مناطق قريبة من المدينة المنورة.

وهنا أدرك مُحمَّد علي باشا أنَّ عليه التجهيز لتسييرِ حملة جديدة إلى بلاد الحجاز ونجد.

فهرس المراجع المُعتمد عليها

أولاً: الكتب.

١ . أشراف مكَّة المكرمة وأمراءها في العهد العثماني، إسماعيل حقي جارشلي، الدار العربيَّة للموسوعات، ٢٠٠٣م.

٢ . آل سعود، أحمد علي، طبع مكَّة المكرمة، ١٣٧٦هـ .

٣ . الألقاب والوظائف العُثمانيَّة، مصطفى بركات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤ . الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٠م.

٥ . ابن مُضَيَّان الظاهري وعلاقته بالحملة المصرية في عهد الدَّولة السُّعودية الأولى، فائز بن موسى البَدْراني الحربي، دار البَدْراني، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٦ . البلاد العربيَّة السُّعودية، فؤاد حمزة، القاهرة، دار الآفاق العربيَّة، ط١، ٢٠٠١.

٧ . تاريخ البلاد العربيَّة السُّعودية (الدَّولة السُّعودية الأولى)، د.منير العجلاني، الطبعة الثَّانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٨ . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، إبراهيم بن صالح ابن عيسى، من ٧٠٠هـ، إلى ١٣٤٠هـ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربيَّة السُّعودية، الرياض، ١٤١٩هـ .

٩ . تاريخ الجزيرة في عصر الشَّيخ مُحمَّد عبد الوهاب، حسين خلف الشَّيخ خزعل، دار الكتب، بيروت، دون تاريخ نشر.

١٠ . تاريخ الدَّولة السُّعودية الأولى وحملات مُحمَّد علي على الجزيرة العربيَّة، فيلكس مانجان، ترجمه د. مُحمَّد خير محمود البقاعي، إصدارات دارة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١١. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، من دون تاريخ.

١٢. تاريخ العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٣. تاريخ العربيَّة السُّعودية، إليكسي فاسيلييف، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٤. تاريخ مكَّة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، نادي مكَّة الثقافي، مكَّة المكرمة، دون تاريخ نشر.

١٥. تاريخ ملوك آل سعود، سعود بن هذلول، طبعة عام ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

١٦. تاريخ المملكة العربيَّة السُّعودية، عبد الله الصالح العثيمين، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٧. تاريخ نجد، سنت جون فلبي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.

١٨. تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، المُجلد الخامس من الأعمال الكاملة عام ١٩٨٠م.

١٩. تاريخ نجد والدَّولة السُّعودية، عبد الله بن يوسف الشبل، مطابع جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية، من دون تاريخ.

٢٠. تاريخ الوزير مُحمَّد علي، مُحمَّد خليل الرجبي، دار الآفاق العربيَّة، القاهرة، ١٤١٧هـ.

٢١. تحفة المُستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، مُحمَّد بن عبد الله آل عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثَّانية، ١٤٠٥هـ.

٢٢. تحفة المُشتاق في أخبار نجد والحِجاز والعراق، عبد الله بن مُحمَّد البسام، تحقيق: إبراهيم الخالدي، شركة المُختلف للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٠م.

٢٣. ثورات حوران على حكم ابراهيم باشا (١٨٣١-١٨٤١)، رسالة ماجستير، إعداد علي يوسف البلخي، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ١٩٨٥م، (رسالة غير منشورة).

٢٤ . الجداول الأسرية لسُلالات العائلة المالكة السُّعودية، عبد الرحمن الرويشد، دار الشبل، الرياض، ١٩٩٨م.

٢٥ . الجواهر النفاس في آثار نجد الأُخَرْ، إبراهيم بن مُحمَّد بن عبد الوهاب، ج٢، دون تاريخ نشر.

٢٦ . جيوفاني فيناتي (حياته ومغامراته في جزيرة العرب)، طبع ١٨٢٩م.

٢٧ . حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها، د.فاطمة بنت حسين القحطاني، دارة الملك عبد العزيز، ٢٠١٠م.

٢٨ . الحملة المصرية في شبه الجزيرة العربيَّة (١٨١١-١٨١٨م)،صلاح العقاد مقال منشور في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربيَّة، العدد (٦) من السنة الثَّانية عام ١٣٩٦هـ .

٢٩ . حياة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، بحث منشور ضمن مطبوعات جامعة الإمام في أسبوع الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب، مُحمَّد بن أحمد العقيلي.

٣٠ . الدُرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مطابع شركة المدينة، جدة، الطبعة الثَّانية، ١٣٨٥هـ .

٣١ . الدُرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، مُحمَّد البسام، تحقيق: سعود العجمي، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، دون تاريخ نشر.

٣٢ . الدرعية العاصمة الأولى، عبد الله بن مُحمَّد بن خميس، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٣ . دليل الخليج، إعداد وترجمة قسم الترجمة بمكتب سمو أمير دولة قطر، الدوحة.

٣٤ . دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، رسول كركوكلي، نقله عن التركية موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، من دون تاريخ.

٣٥ . الدَّولة السُّعودية الأولى، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثَّانية، دار نافع للطباعة، ١٩٧٥م.

٣٦ . الدَّولة السُّعودية الأولى ومزاعم المُتعصبين العثمانيين، عبد الصمد بن إبراهيم الحديثي، مركز سلف للبحوث والدراسات.

٣٧. رحلة عبر الجزيرة العربيَّة خلال عام ١٨١٩م، فورستر سادلير، ترجمة أنس الرفاعي، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠١٣م.

٣٨. روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، حسين ابن غنام، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، نشر عبد المحسن بن عثمان، أبابطين، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٣٩. عصر مُحمَّد علي، عبد الرحمن الرافعي، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤٠. علماء نجد في ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ج٤، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.

٤١. عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤٢. العربيَّة السُّعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء، هارت سانت جون فيلبي، ترجمة عاطف فالح يوسف، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٤٣. لمحة عامة إلى مصر، أ ب كلوت بك، مكتبة طريق العلم، ٢٠٢٠م.

٤٤. مجلة الفيصل، العدد: ٢٥٢، تصدر عن مركز فيصل للبحوث، الرياض، المملكة العربيَّة السُّعودية.

٤٥. مخطوط الدَّولة السُّعودية الأولى باللغة الفرنسية، صلاح العقاد.

٤٦. معجم معالم الحِجاز، عاتق بن غيث البلاذري، دار مكَّة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ.

٤٧. المعجم الموسوعي للمُصطلحات العُثمانيَّة التَّاريخية، د سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م.

٤٨. معجم اليمامة، عبدالله بن محمد بن خميس، ج٢، مطبعة الفرزدق، ١٩٧٨م.

٤٩. مواد لتاريخ الوهابيين، جوهان بوركهارت، ترجمة عبدالله العثيم، دون دار نشر، ١٩٩١م.

٥٠. مُلاحظات عن البدو الوهابيين، جون لويس بوركهارت، ترجمة: صبري مُحمَّد حسن، طبع المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٥١ . من وثائق الدَّولة السُّعودية الأولى في عصر مُحمَّد علي، عبد الرحيم عبد الرحمن، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٣م.

٥٢ . موجز لتاريخ الوهابي، هارفرد جونز بريدجز، تحقيق: د عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٣ . موقف الأهالي في نجد والحِجاز من الحملات العُثمانيَّة على الدَّولة السُّعودية حتى عام ١٢٣٣هـ، رسالة ماجستير إعداد: أحمد بن صالح الدهش، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ.

٥٤ . نُزل القبيلة العربيَّة بين الأصالة والمُعاصرة، نزل صاحب السمو الأمير سعود بن مُحمَّد بن عبد العزيز آل سعود إنموذجاً - دراسة اجتماعية أدبية– ميدانية في بادية الرياض، د. إسماعيل بن مُحمَّد السلامات، دمشق، ٢٠٠٣م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Arabia in early maps ,G.R.Tibitts,Falcon Oleandar . 1752.

ثالثاً: الوثائق:

١ . الأرشيف العثماني، اسطنبول، تصنيف: HAT.344.19630

٢ . الأرشيف العثماني، اسطنبول، تصنيف: HAT.345.19671

٣ . دارة الملك عبد العزيز، الوثائق العُثمانيَّة، الوثيقة رقم ١٨/٢، تاريخ ٢١ شعبان، ١٢٣٠هـ.

٤ . دارة الملك عبد العزيز، الوثائق العُثمانيَّة، الوثيقة رقم (١/٢-٩١) ورقمها ضمن الوثائق التركية ١٩٦٧١، تاريخ ١٢٣٠هـ.

٥ . دارة الملك عبد العزيز، الوثائق العُثمانيَّة، الوثيقة رقم (٢/١-١٨) ورقمها ضمن الوثائق التركية ١٩٦٣٠، تاريخ ٣١شعبان، ١٢٣٠هـ.

٦ . دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة رقم ٣، الوثيقة رقم تاريخ ١٨٢٨/١/١٥م

٧ . دار الوثائق المصرية، وثائق بحر بر، المحفظة رقم ٤، وثيقة رقم ٣٣، ١٢٣٠هـ.

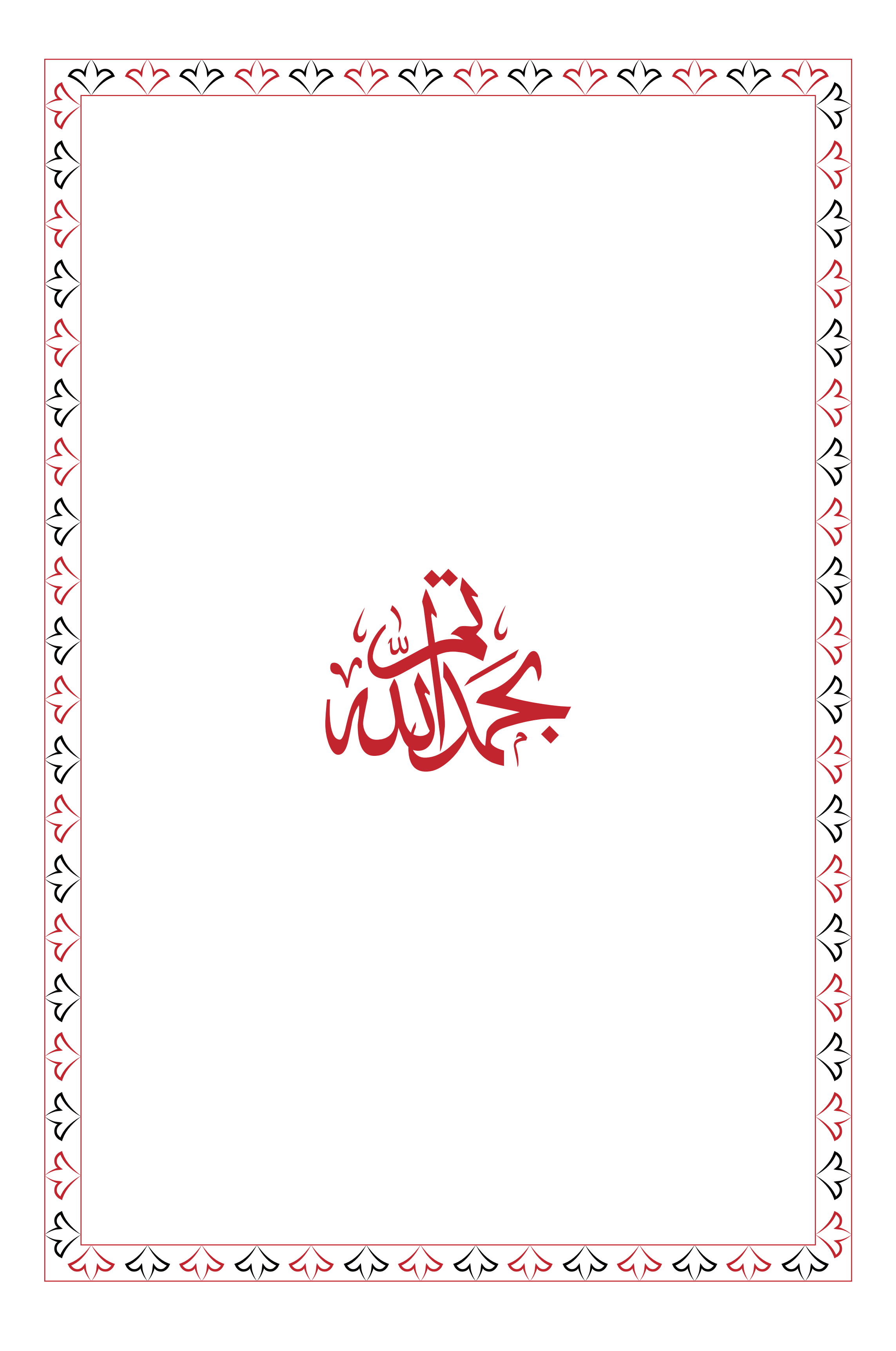
رابعاً: المواقع الإلكترونية:

1. (https: //twitter.com/kssm1388/status/625857895523966976?lang=ar)
2. (https: //ar.wikipedia.org/wiki)
3. (https: //ar.wikipedia.org/wiki/)
4. (https: //lite.islamstory.com/ar/artical/10824).
5. (https: //alhtoon.com/271498).
6. (https: //alhtoon.com/271498).
7. (https: //www.zyadda.com/battle-of-the-yellow-valley).
8. (https: //www.aleqt.com/2019/05/24/article_1605281.html).
9. (www.lahlooba.com/forum/pictures/topic-t331.html).
10. (https: //twitter.com/nonet911/status/625199327221186560?lang=it)
11. (https: //lovin.co/saudi/ar).
12. (https: //www.gafrd.org/posts/390431).
13. (https: //twitter.com/shpsevents/status/574920626793742337?lang=hi).
14. (https: //www.almrsal.com/post/205921).
15. (https: //www.al-jazirah.com/2016/20160905/wo2.htm).
16. (https: //www.alarabiya.net/saudi-today/2016/02/20/).
17. (https: //www.qpedia.org/topics/11154.html).
18. (https: //www.wikiwand.com/ar/).

فهرس الموضوعات


تم بحمد الله

هذا الكتاب

يتفرد ببليوغرافيّاً بعنوانه على مستوى مكتبات الخليج العربي ، بدراستهِ لـ: "حَمْلَـةُ طُوسُون بَاشا على الدَّولة السُّعودية الأولى" (١٢٢٦- ١٢٣٠هـ/ ١٨١١- ١٨١٥م) دراسة مُتخصصة تهدف إلى استنباط الوجه الحضاري المُشرق و المُشرِّف، و إلى ترسيخ القيم الوطنية الأصيلة ليوم "الـتأسيس السعودي" (٣٠/ ٦/ ١١٣٩هـ) في نِضال حُكام الدَّولة السُّعودية الأولى ومُقاومتهم للحملة العسكرية على بلادهم، ودحرِ فلول جيشها حتى أوكاره.

ولتحقيقِ أهداف هذه الدِّراسة استخدم الباحث تقنيات منهج البحث التاريخي وأدوات المنهج الوصفي التحليلي في تفسير الحدث، واعتمد أهم المصادر التاريخيّة التي وثقت جولات الحملة الغاشمة وأخبارها ونتائجها.


ISBN 978-603-04-3971-3
9786030439713